ذمَارْ اليَمَنية

مسيرة تاريخية حضارية

الدكتور
صلاح أحمد البهنسي
كلية الآثار جامعة عين شمس

ذِمَارْ اليَمَنية مسيرة تاريخية حضارية

إعــداد

الدكتور

صلاح أحمد البهنسي

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

دار الوطن للنشر والتوزيع

ش العشرين – فيصل – الجيزة- جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع

٢٠٢٣/٩٦٤٦

I.S.B.N.: 978-977-6932- 74 - 4

دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة، ولا يسمح بإعادة طبع أي جزء من الكتاب أو نسخه أو تصويره بأي شكل من الأشكال سواء إلكترونيا أو عبر الأقراص المدمجة ومن يخالف ذلك يتعرض للمسائلة القانونية إلا بإذن خطي.

مكتبة خالد بن الوليد

للطباعة والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي صنعاء شارع العدل

تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)

ت : (٢٢٧٨٥٥) ص. ب : (٢٣٧٠)

القرطاسية : (٢٧٠٩٦١)

دار الكتب اليمنية

للطباعة والنشر والتوزيع

صنعاء الدائري الغربي – جولة القادسية

تلفون: (٢١٥٢٤٣)

فاكس: (٢١٥٣٢٣)

فرع عدن كريتر – الميدان –

تحت فندق العامر فرزة الشيخ

عثمان ت : (٠٢/٢٦٥٧٠٦)

مركز خالد بن الوليد–

الدائري الغربي–تقاطع شارع

الرباط ت : (٢١٥٦٩٩)

فرع شميلة – جوار برافو سنتر

– ت: (٦١٧٦٦١) .

فرعنا خارج اليمن

الدار اليمنية للكتب والتراث

القاهرة - ٣٨ ش ناصر الثورة

متفرع من ش فيصل الرئيسى -

الدور الأول - الجيزة

ت: ٠١٠٩٢٣٠٧٨٨٤

مركز خالد بن الوليد

للتجارة والتسويق

صنعاء الدائري الغربي

أول شارع الرباط ت: 215699

مكتبة خالد بن الوليد

للطباعة والنشر والتوزيع

الجمهورية اليمنية - صنعاء

جوار وزارة العدل ص.ب(2370)

تلفاكس: 224694 - 227855

KHALED BOOK STORE

دار الكتب اليمنية

للطباعة والنشر والتوزيع

ج.ي - صنعاء - الدائري الغربي

تلفون: 215243 - ص.ب(2370)

مكتبة خالد بن الوليد

للطباعة والنشر والتوزيع - فرع عدن

كريتر - جوار فندق العامر

تلفون: 265706 - 269810 / 02

فرع شميلة

جوار برافو سنتر

تلفون:

01 617661

إهـداء

تـوارى الكثيـر مـن معـاني الإخـاء والصـداقة والوفـاء، بعـد أن غربـت شـمس صـديق عمـري ورفيـق دربـي السـيد محمـود البنـا، وكانـت قـد جمعتنا مواقف وضمتنا مواضع ومنها ذمار، التي عايشت فيها رجالاً أوفيـاء كوفـاء الأرض لمـن يرعاهـا، شـوامخ كشـموخ الجبـال وسـمو ذُراها.

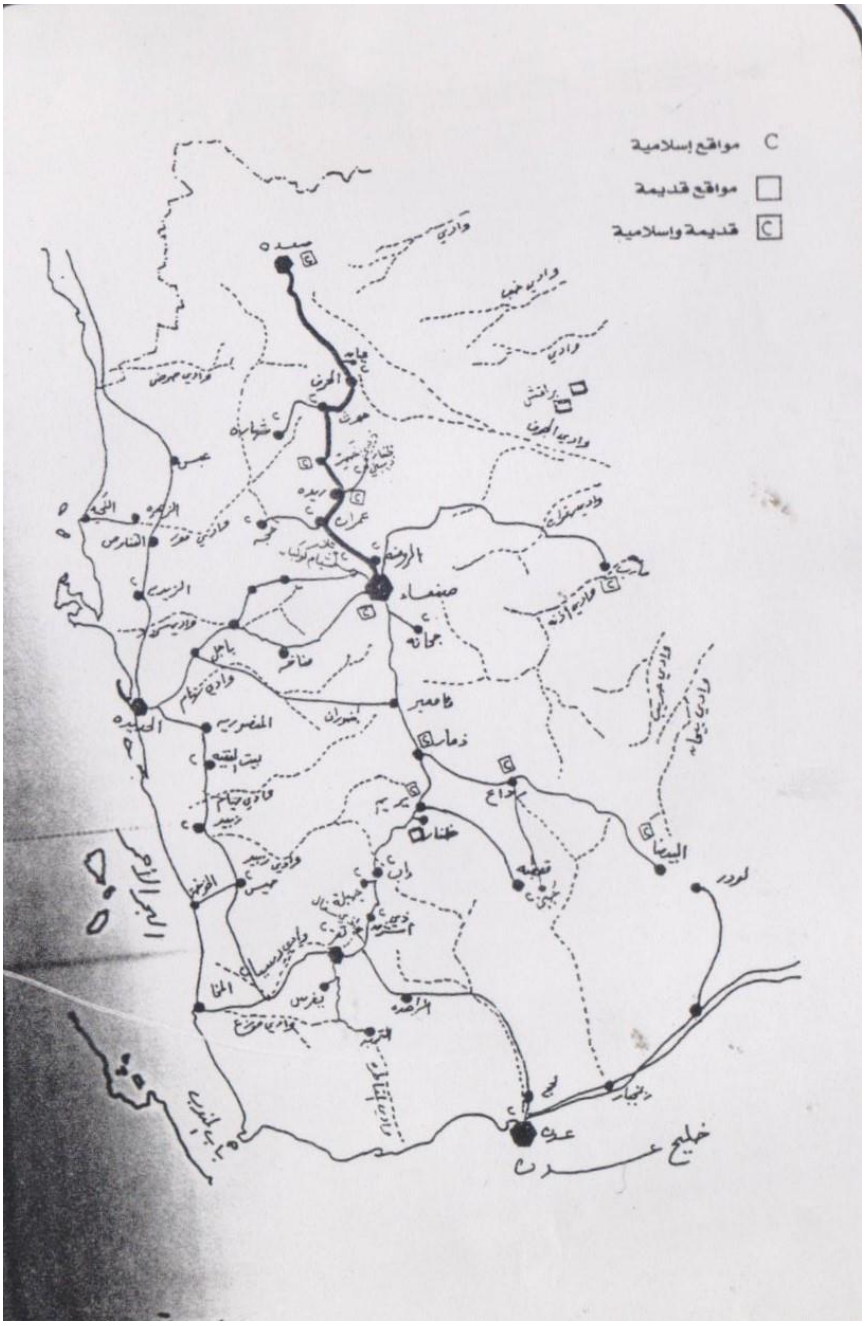

خريطة (١): الطرق الرئيسة بالجمهورية اليمنية ومنها ذمار

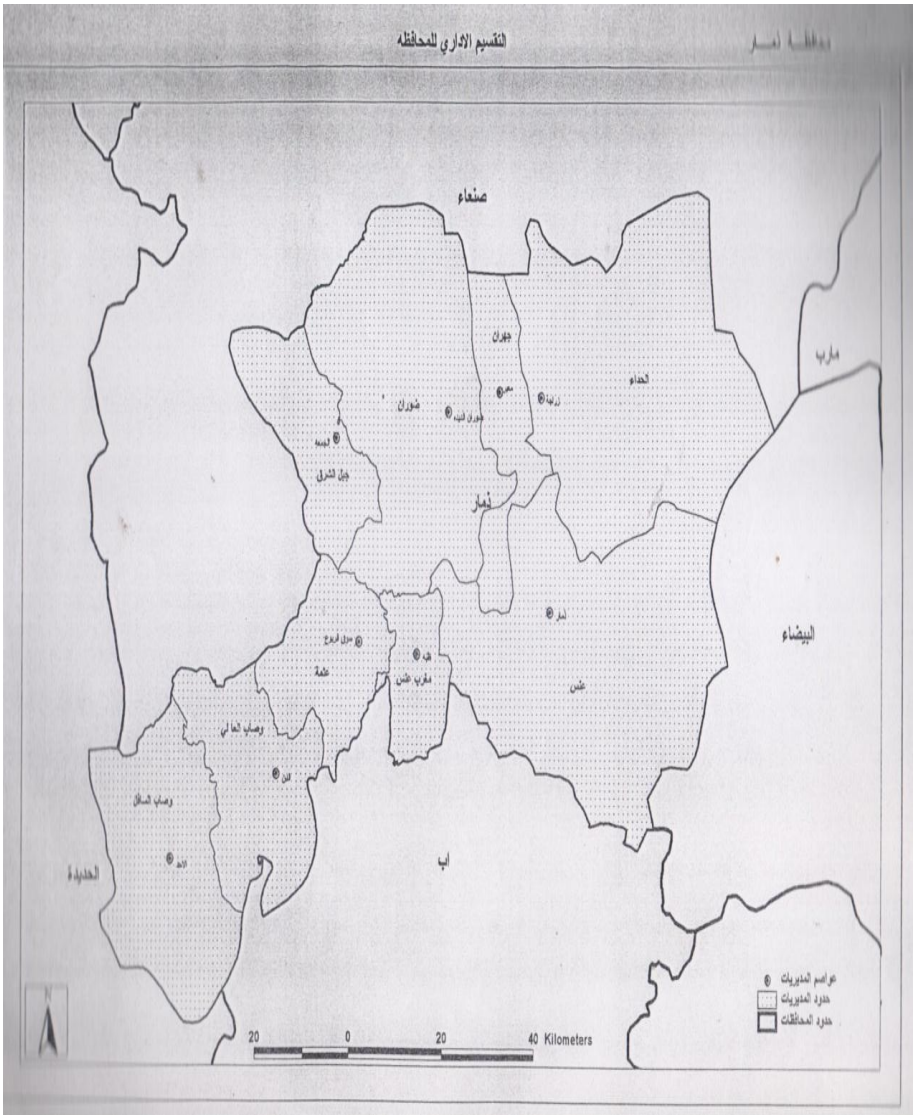

خريطة (٢): التقسيم الإداري لمحافظة ذمار

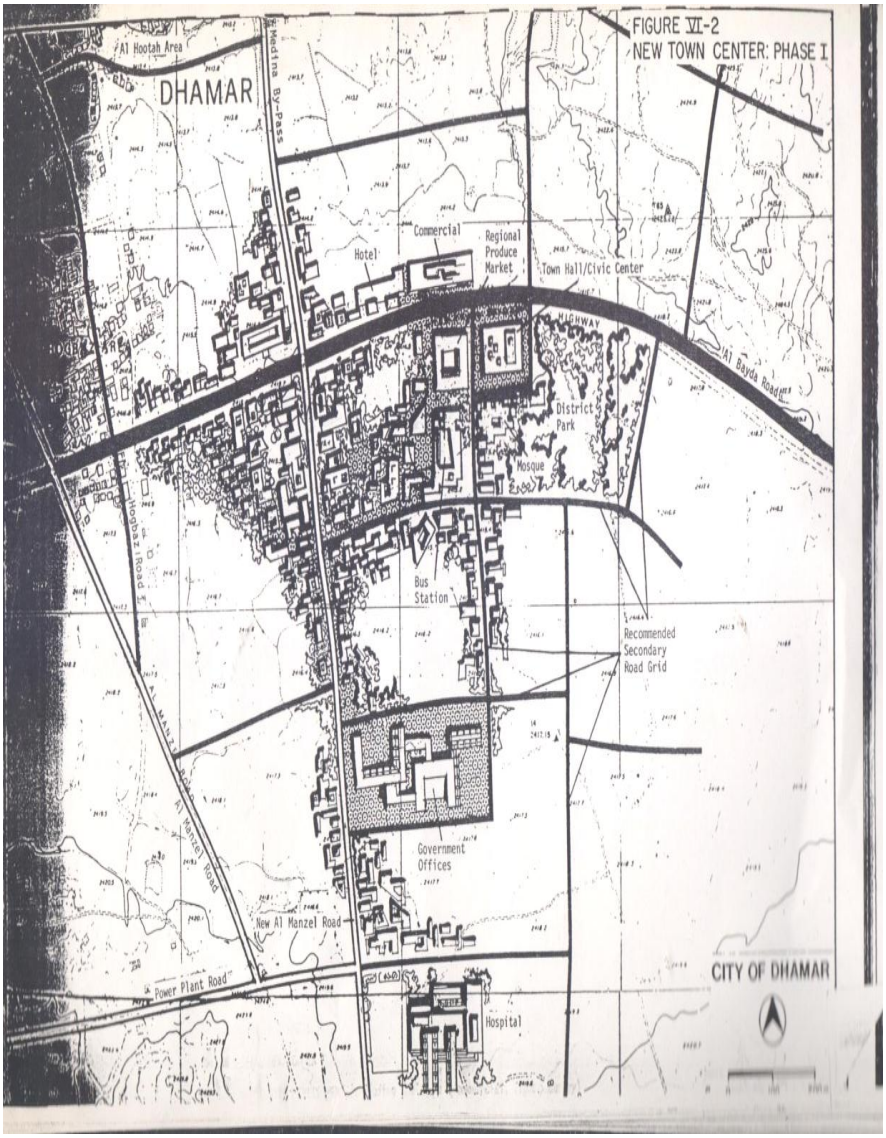

خريطة (٣): الشوارع الرئيسة و بعض المنشآت بمركز مدينة ذمار

خريطة (٤): مواقع سماسر مدينة ذمار

مقدمة

قضيت بمدينة ذمار اليمنية خمسة أعوام دراسية من سنة ١٩٩٩م حتى ٢٠٠٤م، أستاذًا للآثار الإسلامية بكلية الآداب والألسن.وقد أتاحت لي تلك الفترة، ليس دراسة آثار مدينة ذمار وما حولها فحسب، وإنما التعرف عن قرب على عدد كبير من الآثار في بقاع عديدة من القطر اليمني، وكان ذلك المنبع والدافع لهذا الكتاب. وإن كانت تلك السنوات قد أمدتني بمعرفة عن مظاهر الطبيعة وتفردها في اليمن، والكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية وأوجه النشاط البشري، والعادات والتقاليد المتبعة في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية، فإن ذلك سيَرِد فيما يتضمنه كتابنا التالي بعنوان " الرحلة البهنسية في البلاد العربية والأوروبية ". لكننا خصصنا هذا الكتاب لعرض جوانب

من المسيرة التاريخية والحضارية في ذمار على مر العصور وخاصة الحضارة الإسلامية، ممثلة بشكل أساسي في فن العمارة بمختلف أنماطها، وما يرتبط بها من فنون، خاصة وأن لواء ذمار الذي يضم اثنتى عشرة مديرية، من مواطن الآثار في اليمن، حيث يضم العديد من المواقع الأثرية، ومنها ذمار القرن والحدا بينون والنخلة الحمراء وقصر السرايا وجبل كنن وشوكان وبردون وجبل ضرغام وتنن وقرية الجلب وجبل عزان ومنطقة رباح ووادي المسابرة ومواقع في عنس وآنس.

وننوه إلى أنه توجد مدينتان تحملان اسم ذمار؛الأولى قرية ذمار القرن، التي تبعد أربعة كيلو مترات جنوب ذمار الحالية، وهي مدينة ذمار القديمة التي شيدها الحِميَريون (الريدانيون)، الذين كانوا يحرصون على بناء مدنهم على المرتفعات الواعرة التي يصعب على أعدائهم النَيل منها.ومن المحتمل أنها

دمرت بفعل الزلازل التي ضربت المنطقة سنة ٥١٦م، في عهد كرب يعفر، أو على أيدي الأحباش الذين غزوا المنطقة سنة ٥٢٥م. أما الثانية فهي مدينة ذمار الحالية، التي يرجح أنها شيدت في بدايات العصر الإسلامي، في الجانب الشمالي الشرقي من قاع بلسان في وادي الجنات، وهي التي تضم معظم العمائر الإسلامية التي يتناولها هذا الكتاب.

ويقع الكتاب في سبعة فصول يسبقهم مقدمة وتمهيد ويعقبهم خاتمة وملحق بمصطلحات العمارة التقليدية في مدينة ذمار، وقائمة بالمصادر والمراجع العربية والمعربة والأجنبية، التي استعنَّا بها في مادة الكتاب. كما زودنا الكتاب بالخرائط والأشكال واللوحات التي توضح مادته. ويشتمل التمهيد على إطلالة على أهم المنجزات الحضارية اليمنية القديمة في مجال العمارة بشكل خاص، واستمرارية بعض تقاليدها وعناصرها في فن العمارة اليمنية في العصر الإسلامي، وأهم الإبداعات اليمنية في مجال العمارة وما يرتبط بها من فنون تطبيقية، وما كان لليمنيين من دور فعال في بناء الصرح الحضاري للكثير من بلاد العالم الإسلامي.ويعرض الفصل الأول لثلاث نقاط وهي اسم وجغرافية وتاريخ مدينة ذمار، وتأثير العوامل الجغرافية في التخطيط العمراني للمدينة، وتشكيل عمائرها وما تشتمل عليه من وحدات وعناصر معمارية، كما كان للظروف السياسية وما نتج عنها من صراعات، دورها في تدمير وتخريب الكثير من عمائر ذمار، ومن ذلك – على سبيل المثال –إنه عندما دارت عدة معارك بين المتنافسَين الزيديَيْن للسيطرة على صنعاء وذمار، استغل الظافر عامر ذلك وقدم بجيش تمكن من دخول ذمار مرة ثانية وهدم القلعة وبعض المنازل، وهو أمر مرتبط بالغزو في كل الفترات التاريخية؛ فعندما عاد العثمانيون إلى صنعاء سنة ١٨٧٠م، هدموا قصر المتوكل الذي بناه من سنة

١٧١٦م إلى سنة ١٧٢٧م. ويتناول الفصل الثاني الآثار القديمة بمنطقة ذمار، وأهمها بالطبع حصن هرَّان شمال مدينة ذمار، الذي يضم بالإضافة إلى بقايا الأسوار وما يتخللها من أبواب وأبراج والحصن والخندق، بعض الأساسات وأجزاء من جدران لمباني سكنية، وآبار للمياه وهري لحفظ الغلال "، ومجموعة من المقابر.وخصص الفصل الثالث للمساجد الأثرية في ذمار، ومنها الجامع الكبير، الذي يعد من أقدم مساجد اليمن والعالم الإسلامي بشكل عام، حيث يرجح بناؤه في العقد الأول من الهجرة الشريفة. وإن كان زلزال شهر ديسمبر سنة ١٩٨٢م قد أتى على معظم عمارته، فإنه من خلال المقارنة بين ما كان عليه من قبل بوضعه الحالي يتضح أنه قد أعيد بناء معظم تكوينه المعماري على نفس طرازه الأصلي، مما أبقاه مُعبرًا عن فن العمارة في ذمار في فترة نشأته الأولى، ومسجد ومئذنة الصلاحي، التي تعد أقدم المآذن الباقية في مدينة ذمار، والمسجد الشمسي الجامع، الذي يرد في معظم المراجع التي تناولته بمسمى المدرسة الشمسية.وأمكن تصحيح هذا المسمى من خلال بقايا الكتابات المنقوشة على الجدار الشرقي لبيت الصلاة من الداخل والخارج، ومناقشة الآراء التي ذكرت حول تاريخ بناء المئذنة، وتخصيص دراسة تحليلية لكل من التكوين المعماري والزخرفي للمسجد، ومسجد الأمير سنبل الذي شملت الدراسة تكوينه المعماري والزخرفي والكتابات المسجلة على جدرانه واللوحات التأسيسية، ومناقشة الرأي القائل بأنه كان مغطى بقبة اعتمادًا على سمك الجدران، حيث أوردنا أكثر من قرينة بأنه كان مغطى بسقف مسطح، ومسجد دادية الذي يطلق عليه قبة دادية، وقد فندنا الرأي القائل بأنه كانت له منارة قبل إنشاء المنارة الحالية في القرن العشرين، وذلك اعتماداً على المقارنة بالمساجد المعاصرة له في مدينة ذمار، وعلى كتابات الرحالة الذين زاروا المدينة، ومسجد الحسين بن

القاسم، الذي يضم ضريحه، ويعد واحدًا من أجمل مساجد ذمار.ويتناول الفصل الرابع أضرحة أئمة الزيدية بمدينة ذمار، وهي ضريح الإمام يحيى بن حمزة وضريح الإمام المطهر بن محمد بن سليمان وضريح الإمام الحسين بن القاسم، وذلك من حيث التكوين المعماري والتشكيل الزخرفي، والذي تبقت نماذج منه في كل من ضريح الإمام يحيى بن حمزة والإمام الحسين بن القاسم، بينما افتقد ضريح الإمام المطهر بن محمد بن سليمان الجانب الزخرفي. وقد أمكن من خلال كتابات الشواهد الثلاثة بمسجد الحسين بن القاسم التعرف على أسمي اثنين من راقمي شواهد القبور في تلك الفترة.ويشتمل هذا الفصل على دراسة لضريحين في نطاق مدينة ذمار، وهما: ضريح الإمام أبي الفتح الديلمي في قاع الديلمي شرق ذمار، وضريح المهدي لدين الله بن محمد صاحب المواهب، الذي تختلف كتابات شواهد القبور به عما كانت عليه في أضرحة مدينة ذمار. ويتناول الفصل الخامس العمارة السكنية ومنشآت الرعاية الاجتماعية في مدينة ذمار، ويشمل ذلك السمات

المعمارية المميزة لعمارة المنزل الذماري، والعوامل الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية المؤثرة في ذلك، كما تناولت الدراسة نموذجين من منازل مدينة ذمار؛ أحدهما يمثل منازل علية القوم وهو منزل آل سلامة، والآخر يمثل المنازل البسيطة وهو منزل حارة الشيخ. ولأن قاع اليهود في ذمار يعد الحي اليهودي الوحيد الباقي على معظم حالته في اليمن، فقد ضمنًّا هذا الفصل دراسة لتخطيطه العمراني والسمات المميزة لمنازل اليهود به.ومن منشآت الرعاية الاجتماعية التي تناولناها في هذا الفصل حمام بهرام باشا، والأسبلة التي من أحسن نماذجها بالمدينة سبيل مسجد الربوع.

وخصص الفصل السادس للمنشآت التجارية في مدينة ذمار، ويشمل دراسة للعوامل التي جعلت من ذمار مركزاً تجارياً، ترتب عليه تنوع الأسواق التي يخصص كل منها لسلعة أو حِرفة بعينها، وكثرة المنشآت التجارية، والتعريف بمسمياتها في مختلف بلاد العالم الإسلامي، وأنواع السماسر في اليمن ومنها ذمار، والسمات المعمارية والزخرفية المميزة لها، وأنهينا الفصل بدراسة لنموذجين من سماسر ذمار، وهما سمسرة سلامة وسمسرة علوي. ويتناول الفصل السابع الآثار الدارسة والمتاحف بلواء ذمار، وتتمثل الآثار الدارسة في سور المدينة والقصر والتكية ودار ضرب السكة ومسجد الأسدي ومسجد الويس، وبعض التحصينات العثمانية في نطاق لواء ذمار، وهي معلومات استقيناها من مصادر تاريخية شحيحة في معلوماتها عن تلك الآثار الدارسة، مما أدى بالتالي إلى قلة المعلومات عنها في كتابنا هذا، والأمر يحتاج إلى إجراء أعمال تنقيب من قِبَلْ المسؤولين عن آثار ذمار، للكشف عن أساسات تلك العمائر، للتعرف على تخطيطها المعماري. أما المتاحف فقد تناولنا منها متحف بينون باعتباره نموذجاً مميزاً لمتحف الموقع، حيث يقع على بُعد حوالي ثلاثمائة متر إلى الشمال من موقع بينون الأثري، في قرية بني أسلم إحدى قرى عزلة ثوبان بالحدا، وهو أَقْدم متحف في لواء ذمار، إذ يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١٩٩٠م، كما تناولت الدراسة متحف ذمار الإقليمي، لما له من أهمية في التعرف على جوانب من تاريخ المنطقة والحرف التي كانت منتشرة فيها والعادات التي كانت سائدة بها. وقد ذيَّلنا الدراسة بملحق لأهم مصطلحات العمارة في ذمار، التي وإن اتفقت أحياناً مع غيرها من المدن اليمنية، إلا أنها كثيراً ما تختلف عن مثيلاتها في بقية بلاد العالم الإسلامي، مما يكسبها شخصية يمنية متميزة.وقد جاءت هذه المصطلحات مكملة لمادة الكتاب، حيث

أن بعضها لم يرد ضمن متنه؛ ومن ذلك مسميات بعض المواد والعناصر المعمارية والأساليب المستخدمة في البناء.

والله نسأل أن نكون قد وفقنا فيما قصدنا، وعلى الله قصد السبيل

د. صلاح أحمد البهنسي

تمهيد:

كانت اليمن أحد مراكز الحضارات الإنسانية القديمة، التي أسهمت في مسار التاريخ الإنساني، حيث أثرت وتأثرت بالحضارات المعاصرة. وازدهرت هذه الحضارة وبلغت درجة من الرقي جعل الأغريق والرومان يطلقون على اليمن بلاد العربية السعيدة؛لكثرة خيراتها، وطيب هوائها وزروعها، وتقدم فنونها وصناعاتها ؛ فقد ذكر الرحالة اليوناني استرابون في القرن ١ ق. م أن سقوف أبنية مأرب مصفحة بالذهب والعاج والحجارة الكريمة وفيها الآنية المزخرفة مما يبهر العقول [١] كما ذكر "أغافر سيدس" للسبأيين في منازلهم من الذهب والفضة وعندهم الأَسِرَة والموائد من الفضة، والرياش من أفخر الأنسجة وأغلاها، وقصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب والمُنَزَلَة بالفضة، ويعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صفائح الذهب المرصعة بالجواهر، وقال علقمة في بينون" واسأل بينون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر"[٢].

وقد برع اليمنيون القدماء في فن العمارة، وكانوا أسبق الأمم إلى هندسة المنشآت المائية، وبصفة خاصة السدود، ومنها ما لا يزال التاريخ يلهج بذكره مثل سد مأرب وسد أضرعة وسد هكر، كما توجد سدود في نهم ورداع وأهمها سد هجر صباح الذي بناه بني خولان في عهد الملك الحِميَري " كربئيل". وقد ذكر الشاعر أسعد تبع أن في أرض يحصب بمنطقة يريم والمناطق المجاورة لها ثمانين سداً. ويعد سد مأرب رمز الحضارة السبئية وعَلمُها الثابت، وأقدم

(١) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ص ٢٥ – ٢٧

(٢) حسين بن علي الونس: اليمن الكبرى، ج ١، ط ٢، صنعاء، ١٩٩١م، ص ٢٤٩

خزان للمياه ذكره التاريخ.وكان طوله ٧٢٠م وارتفاعه ١٨م وسُمك جدرانه ٢٠م. وقد تفجر السد وتعرض للترميم أكثر من مرة، كان أهمها في فترة حكم أبرهة الحبشي لليمن[١] (لوحة١ ؟). كما يعد سد ناعط من أهم السدود في اليمن (لوحة ٢).وفي غيمان حفرت خزانات المياه الضخمة في الجبال، وحُجِبت عنها الشمس منعاً للتبخر، وفي عدن صهاريج المياه التي تستخدم لخزن مياه المطر، وفي قرية العدن بمديرية السلفية بمنطقة ريمة يوجد قنوات للري ترجع إلى الحضارة اليمنية القديمة، وهي قنوات من الحجر مُحكَمة البناء، مغيبة في باطن الأرض، مازالت مستخدمة[٢]

واستمر في العصر الإسلامي بناء السدود إحدى المهارات المعمارية التي ينفرد بها المعمار اليمني، فقد بنى الإمام المهدي العباسي من آل القاسم المتوفى سنة ١١٨٩هـ/ ؟ سداً عظيماً بين جبلين في مخلاف الحبيشية بالقرب من دِمت يعرف بالمحسنة. واستخدم في بناء السدود أحجار ضخمة متداخلة عن طريق وجود تجويف في إحداها ورأس بارز في الأخرى، ولزيادة التماسك كان يصب عليها الرصاص المصهور. وهي طريقة من الطرق التيَ استخدمت

(١) للمزيد انظر، شميدت، يورجن: سد مأرب، تقارير أثرية من اليمن، ج ١، ترجمة عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، المعهد الألماني للآثار بصنعاء، ١٩٨٢م، ص ص ١٣ – ١٨.

(٢) محمد علي العروسي: ريمة، مجلة حوليات يمنية، المركز الفرنسي للآثار، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ٦٢

في بناء قصر "مدر".واشتهر في طريقة البناء بتداخل الحجارة المهندسون "سمه علي ينوف وابنه يشع أمر بين أوس عم يصرعم"[١].

كما برع اليمني القديم في حفر ونقر الأنفاق.ويضم لواء ذمار نماذج متميزة منها، ومن ذلك نفق منقور في الصخر، يربط بين وادي زيادة غرب أسفل مرتفع الضليعية ووادي غول لوبار شرق أسفل مرتفع الضليعية يبلغ طوله ٢٦٠م وارتفاعه ما بين سبعة وعشرة أمتار، وعرضه ما بين ٢، ٤٠ و٢ ، ٦٠ م. كما نقر نفق بجبل المعلق إلى الشرق من مرتفع الضليعية، يبلغ طوله ٧١م وعرضه٥م وارتفاعه ٤، ٥م، لتصريف مياه الأمطار إلى وادي غول لوبار.وذكر " الهمداني " أن نفق "بينون" الذي حفر في بطن الجبل، ينفذ الماء منه من جانب إلى الآخر إلى مسافة مائة متر، ويمر منه الجمل بحمله، حيث كان يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار[٢] بينما ذكر باحثان أن نفق بينون طوله ٨٥م وعرضه ٣,٣٥م وارتفاعه ٦م [٣].ومن المنشآت المائية خزانات المياه، ومن

(١) عبد السلام علي عثمان المخلافي: صفحات من تاريخ اليمن، مجلة الإكليل، ع ٢، السنتة الخامسة، خريف ١٩٨٧م، ص ٦٤

(٢) للمزيد عن نفق بينون انظر ، الهمداني، الحسن بن أحمد(ت بعد ٣٣٦هـ): الإكليل، ج ٨، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع، دمشق، ١٩٧٩م، ص ٥٤. الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، ط ١، دار اليمامة، ؟ ١٩٧٤م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠م ص ١٩٠

(٣) ربيع القيسي، صباح الشكري: دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨١م، ص ص ٨٤- ٨٥

أمثلتها في لواء ذمار مجموعة من خزانات المياه حفرت في موقع حَمَّة ذئاب ومنطقة حورور.

وتوجد على سفح جبل نقم بصنعاء آثار قصر غمدان، الذي يعد أقدم ناطحة سحاب في التاريخ، إذ ورد أول ذكر له في النقوش التي ترجع إلى عهد الملك شعر أوتر، مما يرجح بناؤه في القرن ٢م.وقد وردت عدة روايات حول بانيه ؛ فقد ذُكر أن سام بن نوح هو الذي بني قصر غمدان، أو سليمان يعرب بن قحطان. وهناك رأي أن سليمان بن داود أمَر الجن ببناء ثلاثة قصور لملكة سبأ " بلقيس"، وهي قصر غمدان وقصر سلحين في مأرب وقصر بينون.بينما ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن اليشرح بن يحصب أخر ملوك القرن الأول الميلادي هو الذي بناه، واتفق معه في ذلك عالم الآثار " موللرMuller"[١] وقد ورد عند وصف الهمداني لقصر غمدان أن واجهاته الأربع كانت كل منها مبنية بأحجار مختلفة الألوان، الأبيض والأسود والأخضر والأحمر، وكانت أشرطة الرخام تفصل بين طوابق البناء، وهو تقليد معماري مازال متبعاً في العمارة اليمنية ويسمى حزام. ويعلو القصر" منظر". وقد ذكر أن المسلمين هدموا قصر غمدان في عهد عثمان بن عفان وأحرقوا الكتل الخشبية التي كانت بين الجدران [٢]. وقد بنى الملك بدر الدين حسن بن علي الرسولي قصراً كبيرًا مازال باقياً على أنقاض ذلك القصر، ويطلق عليه قصر السلاح. ويذكر أن الباب الذي على المدخل الذي بالجدار الشمالي بجامع

(١) عبد الله ثور: هذه هي اليمن، مطبعة المدني، صنعاء، ١٩٦٩م، ص ٣٠٢

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد: الإكليل، ج ٨، ص ٢٠. وعن قصر غمدان في النقوش اليمنية انظر ، مطهر علي الإرياني: قصر غمدان " الحقيقة والأسطورة "، مجلة دراسات يمنية، ع ٤، صنعاء، ١٩٨٠م، ص ١١٢وما بعدها.

صنعاء الكبير، المخصص لدخول الحاكم وخواصه يوم الجمعة، المصنوع من الخشب ومصفح بالحديد البزبز، وعليه كتابة بارزة بالمسند، منقول من قصر غمدان [١]. ويعد قصر بينون من مفاخر القصور اليمنية القديمة، وكان يتألف من خمسة طوابق وقاعتين، ويحيط به عدد من الأبراج – المحافد– من ثلاثة طوابق، وقد تعرضت بينون بما فيها من عمائر للتدمير من قِبَل الجيش السبئي[٢].

وقد حذق اليمني القديم في تخطيط المدن، التي خططت بعضها على شكل دائري، فقد اتخذت مدينة مأرب ومدينة نشق الشكل المستدير [٣]، أو الشكل البيضاوي، ومن ذلك صرواح السبئية، وبراقش وقرناو المعينية. كما أجاد تحصين المدن وإحاطتها بالأسوار المنيعة، فقد تبقت آثار من سور مدينة "قرناو" عاصمة دولة مَعِين، وما يتخلله من الأبواب والأبراج.ويعد المعبد من أهم مكونات المدينة اليمنية القديمة، وكانت المعابد اليمنية في مرحلة الانتقال من عصور ما قبل التاريخ إلى عصر الازدهار في بداية الألف الأول قبل الميلاد مكونة من بناء مستطيل له فناء مكشوف تفتح بوابته في منتصف الضلع الغربي، وفي مؤخره توجد ثلاث غرف غير مسقوفة تمثل المكان

(١) حسين أحمد السياغي: معالم الآثار اليمنية، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٨٠م، ص ١٨

(٢) مهيوب غالب: إشكالية ظهور بعض المدن الحميرية (ظفار – بينون – سمعان) مجلة سبأ، ع ١٣، جامعة عدن، ديسمبر ٢٠٠٤م، ص ٢١

(٣) فهمي الأغبري: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤م، شكل ٩،.

المقدس وتطل أبوابه على الفناء [1].ويتبع معبد بنات عاد في الجوف ويرجع إلى القرن ٥ – ٤ ق. م هذا التخطيط، حيث يتكون من فناء مكشوف تحيط به أربعة أروقة، ويوجد قدس الأقداس في الجهة الشرقية، يقابله المدخل في الجهة الغربية، وعلى نفس التخطيط معبد الإلهة الشمس ذات حميم في منطقة حقة همدان شمال صنعاء، ويرجع إلى القرن ١ ق. م. ومن أجمل المعابد اليمنية القديمة معبد الحقة "معبد أوام"، ويرجع إلى القرن ٧ ق.م.ومن المعابد الباقية بمدينة السوداء المعينية معبد "عثتر". وتتميز معظم المعابد اليمنية القديمة بالشكل البيضاوي، ومنها معبد "أوام" أو معبد الشمس في مأرب، ومعبد "بران" وعرش بلقيس، التي لاتزال بعض الأعمدة الحجرية الضخمة لهذين المعبدين قائمة حتى الآن.وكانت العبادة اليمنية القديمة تتم في فناء المعبد، حيث تقوم العبادة الكوكبية على عدم وجود عازل بين العبد وربه.

وتضم بلاد اليمن بعض المواضع التي ترتبط بالأنبياء وذويهم، ومن ذلك مقابر النبي هود، التي توجد على بعد حوالي ٧٢ ميلًا إلى الشرق من مدينة تَرِيم، والنبي صالح في منطقة حضرموت. كما يوجد قبر عبد المُطَّلِب جد الرسول – صلى الله عليه وسلم – على رأس جبل ردمان.وتوجد في زقاق المبيضين جنوب بيعة اليهود بمدينة صنعاء القديمة بعض آثار كنيسة القليص، التي بناها إبرهة الحبشي في عام الفيل، بعدما لم ينجح في الاستيلاء على الكعبة المشرَّفة. وهدمها الربيع بن زياد عامل أبي العباس السفاح على

(١) منير عبد الجليل العريقي: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم (١٥٠٠ ق. م حتى ٦٠٠م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٦٢ شكل ١١ أ، ب.

اليمن[١]. ويقال أن موضع القليس في حارة القطيع قرب مسجد نصير غربي قصر السلاح [٢]..ومن تلك الآثار إسطوان ضخم في سوق العطارين وآخر في درب دمشق، كما توجد بعض أعمدتها وتيجانها في الجامع الكبير بصنعاء، وقد نقش على بعضها شكل صليب.

ومن الفنون التي مارسها اليمني القديم فن التحنيط، وكانت المومياوات تُلف في جلود البقر المدبوغة بدلاً من لفائف الكتان التي كانت مستعملة عند قدماء المصريين، وعثر على معظم المومياوات في قبور صخرية في شبام الغراس شمال شرق صنعاء، ومنها خمس مومياوات مُحَنَّطة ترجع إلى القرن الثالث ق. م ، محفوظة بمتحف كلية الآداب بجامعة صنعاء.كما توجد بعض المومياوات المُحَنَّطة معظمها لأطفال بمنطقة سمعان " مَصْنَعة ماريا " الصخرية، إلى الغرب من مدينة ذمار، وترجع إلى أواخر الفترة السبئية وبداية الفترة الحِمْيَرية [٣]..ومما يذكر في ذلك أن العلاقات بين اليمن ومختلف بلاد الشرق كانت قائمة بأشكال مختلفة؛ فكانت اليمن بفضل خصوصية تضاريسه وطقسه، ينتج المر واللبان والصمغ والبلسان، التي كانت مطلوبة منذ أقدم

(١) عفيف البهنسي: الجامع الكبير بصنعاء، ط ١، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٩٦م ص ص ٣٨ – ٣٩

(٢) محمد متولي: التحضر في الجمهورية العربية اليمنية، التحضر في الوطن العربي، ج ١، الأقطار الأسيوية، معهد البحوث والدراسات العربية، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٦٦٥

(٣) من خلال زيارات ميدانية قمت بهاإلى الموقع عامي ٢٠٠٠ – ٢٠٠١م

العصور في الشرق الأوسط كله، للعبادة وتطييب الموتى [1]. وقد عثر في مصر على تابوت من الخشب يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، عليه كتابة بخط المسند تشير إلى أنه لرجل يمني يدعى " زيد إل " كان يعيش في مصر كمستورد للطيب للمعابد المصرية، وقد وهب تابوته إلى سرابيس وألهة مصر. وقد أدى انتشار الطيب اليمني إلى انتقال نوع من المذابح اليمنية ذات النذور من الطيب على شكل مكعب.

وقد حافظ أهل اليمن في العصر الإسلامي على إبداعهم في مجال العمارة وشيدوا على امتداد ذلك العصر عمائر بديعة في تصميمها وعناصرها المعمارية؛ فقد عرفت اليمن بناء المساجد قبل بلدان العالم الإسلامي الأخرى، حيث ذكر الكاشوري أن بعض المشايخ ذكروا أن مسجد ضهر بنيى سنة سنة، ويعني ذلك أنه بني في السنة الأولى من الهجرة، وبنيى مسجد صنعاء سنة ست من الهجرة [2]. ويرجع جامع الجَنَدْ إلى سنة ٩هـ، كما أن جامع الأشاعر بزبيد ثالث مسجد باليمن بعد جامع صنعاء وجامع الجَنَد، فقد بناه الصحابي الجليل أبو موسى الأشعَري في السنة العاشرة من الهجرة، عندما أرسله الرسول– صلى الله عليه وسلم – إلى تهامة للدعوة إلى الإسلام، ويرجع جامع ذمار الكبير إلى العقد الأول من الهجرة الشريفة. ولا تقتصر أهمية مساجد ومدارس اليمن على قِدَمِها التاريخي، وإنما لدورها في مجال العلوم، ومن ذلك مدارس زَبيد التي ينتسب إليها العلماء في مختلف فروع المعرفة، حيث أقيمت

(١) ريكمنس، جاك: حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، ع ٢٨، أبريل– مايو– يونيو ١٩٨٧م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ص ١١٣

(٢) الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني: ت ٤٦٠هـ: تاريخ مدينة صنعاء، ط ٣، تحقيق حسين عبد الله العمري، دار الفكر العربي، بيروت – دمشق، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص٧٩.

أولى المدارس في اليمن في مدينة زبيد منذ أوائل عهد الدولة النجاحية (٤١٢-٥٥٤هـ/١٠٢١- ١١٥٩م). ويعد الجامع الكبير بزبيد واحداً من أقدم المساجد الباقية في اليمن، فقد شيده الوزير الزيادي حسين بن سلامة(٣٩٢ – ٤٢٦هـ / ١٠٠٢ – ١٠٣٥م).وعند وصف الرحالة المقدسي لجامع زبيد ذكر "استرعى نظري في مسجدها الجامع أني رأيت الأرض مقورة تحت منبره، ليتصل صف المصلين، وهذا من نوادر ما شهدته عيناي في بلاد الإسلام" [١].

وقد تبقت في اليمن آثار الدول التي تعاقبت عليها في العصر الإسلامي، ومنها الدولة الزيادية(٢٠٤-٤٠٩هـ/ ٨١٩- ١٠١٨م)، التي اختط محمد بن زياد-والي الخليفة العباسي المأمون على اليمن- مدينة زبيد سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م واتخذها عاصمة لملكه[٢]. ، والدولة اليعفرية في صنعاء وشبام (٢٤٧ – ٣٨٧هـ / ٨٦١ – ٩٧٧م)، ومن أهم آثارها جامع شبام كوكبان، الذي بناه أسعد بن أبي يعفر، وهو مشابه لجامع صنعاء من حيث التخطيط، والدولة النجاحية في زَبيد(٤١٢- ٥٥٤هـ/١٠٢١- ١١٥٩م) والدولة الصليحية في صنعاء(٤٣٩ – ٥٣٢هـ/ ؟١١٣٧م) التي أسسها علي بن محمد الصليحي، الذي شيدحصن مسار بحراز وحصن عفارة ليكون مقرًا لأتباع الفاطميين [٣]. وفي سنة ٤٥٨هـ/ ؟ اختط أخوه عبد الله محمد الصليحي مدينة جبلة وسكنها

(١) عبد الفتاح شلبي ؛ المقدسي البشَّاري، قصص الرحالة والمكتشفين، ع١٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٢٩.

(٢) للمزيد عن الدولة الزيادية انظر، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال، مجلة الإكليل، ع ٢، السنة السابعة، صيف ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ص ص ٣٤ – ٤١

(٣) بريتون، جان فرنسوا: البيت الشاهق، مجلة دراسات يمنية، ع ٤٥، صنعاء، ١٩٩٢م، ص ٢٦٤ وما بعدها. انظر أيضاً، -عبده معين عبد الملك سعيد: أصول النمط البرجي في العمران اليمني التقليدي، دراسة تحليلية مقارنة للمسكن والمسار في مدينتي صنعاء وشبام، رسالة ماجستير، كلية الهندسة جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م

مع زوجته أروى بنت أحمد وجعلها عاصمة لملكه، وأنشأت زوجته جامعًا بها ودفنت به، والدولة الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ/١٢٢٩ – ١٤٥٤م) وكانت الجَنَد عاصمة لها، وبعدما قُتِل عمر بن علي بن رسول سنة ٦٤٧هـ، ١٢٤٩م نقل ابنه المظفر عاصمة دولته إلى تعز. وقد خلَّفت دولة بني رسول عدداً من المدارس، فقد أنشأ السلطان المنصور عمر بن رسول المتوفى سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م المدرسة المنصورية العليا والمنصورية السفلى في زبيد، وأنشأ ابنه المظفر المدرسة المظفرية في تعز سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م، وأنشأ الأشرف إسماعيل بن الأفضل بن المجاهد الرسولي سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م المدرسة الأشرفية في تعز، وأنشأ الملك الظاهر يحيى بن الملك الأشرف إسماعيل المتوفى سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م ١٤٤٧م المدرسة الظاهرية في تعز،

- وأنشأت زوج الملك الظاهر يحيى بن الملك الأشرف الرسولي المتوفاة سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦م ١٤٣٧م المدرسة الياقوتية [1]. واتخذت الدولة الطاهرية عواصم لها في عدن وتعز وزبيد، لكن السلطان عامر بن
- عبد الوهاب(٨٥٥ – ٩٢٣ هـ / ١٤٥١ – ١٥١٧م) اتخذ من كل من المقرانة ورداع وجُبَن عواصم لدولته. و كان طراز المدرسة قد ترسخ في العمارة اليمنية منذ العصر الأيوبي، ومن مفاخر المدارس الطاهرية المدرسة العامرية برَدَاع، التي أنشأها السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م، كما أنشأ المدرسة الوهابية في زبيد، وتعد المدرسة المنصورية في جُبَن من أحسن مدارس العصر الطاهري (لوحة ٣).كما تبقت الكثير من آثار الدولة العثمانية في مختلف المدن التي خضعت لحكمهم ومنها ذمار، فقد خضعت اليمن للحكم

(١) للمزيد عن مدارس تعز انظر، آمال حامد المصري: مدارس مدينة تعز باليمن في عصر بني رسول ٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩– ١٤٥٤م، دراسة أثرية حضارية، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م

العثماني مرتين، تبدأ الأولى من سنة٩٤٣هـ / ١٥٣٨م حتى سنة ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م، ويبدأ العصر العثماني الثاني من سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م حتى سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، وآثار دولة الأئمة الزيدية(١٣٣٦ – ١٣٨٢هـ/ ١٩١٨– ١٩٦٢م) في معظم أنحاء اليمن ومنها مدينة ذمار.

وقد شاركت نساء حُكَّام اليمن في أعمال التشييد والبناء؛ فقد بنيت فاطمة بنت الأسد بن إبراهيم بن أبي الهيجاء زوجة الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي الكردية الأصل، والتي كانت من أعيان ذمار مسجد الأبهر في صنعاء، واستقدمت له عمالًا من خارج اليمن، نفذوا زخارفه على طراز زخارف الجامع الكبير في صنعاء.وكانت لزوجات بعض حكام الدولة الرسولية دورهن في تشييد المدارس ؛ فقد أنشأت الحرة مريم زوج السلطان المظفر يوسف بن عمر بن رسول مدرسة بذي عقيب شمال غرب جبلةودفنت بها، وشيدت الجهة فاتن ابنة السلطان المؤيد داوودالمدرسة الفاتنية، وشيدت الجهة فرحانة زوجة الأشرف إسماعيل المدرسة الفرحانية، والمدرسة الياقوتية التي شيدتها الجهة ياقوت زوجة السلطان المظفر يحيى بن الملك الأشرف الرسولي المتوفاة بعد سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦–١٤٣٧م، وأقامت بنت الرصاص زوجة محمد المهدي مسجدا وقبة في قرية المواهب، التي أسسها المهدي محمد بن أحمد سنة ١١٣٠هـ/١٧١٨م شمال شرقي ذمار[١].

وتضم مدينة ذمار أضرحة ثلاثة من أئمة الزيدية، وهم الإمام يحيي بن حمزة، المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٩ – ١٣٥٠م، والإمام المطهر بن محمد بن سليمان المتوفى سنة ٨٧٩هـ /١٤٧٤م، والإمام حسين بن القاسم المتوفى سنة

(١) الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني(ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م) : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط٢، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء، ١٩٨٨م، هامش ٣ ص ص ٤٧٠ – ٤٧١.

١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م. أما في نطاق لواء ذمار فيوجد في ضوران آنس غرب ذمار، مسجد وضريح الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، المتوفى سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٧م، والذي بناه الحسن بن القاسم شقيق المتوكل على الله إسماعيل أخِرْ أئمة الدولة القاسمية. وبفعل زلزال ١٣ ديسمبر عام ١٩٨٢م انهار سقف ومئذنة المسجد ومعظم جدرانه، التي أشارت بعض ما تبقَّى من الكتابات المنقوشة عليها أن المسجد أسس سنة ١٠٦٣هـ(١٦٥٣م). ولم يتبق منه سوى المحراب وبعض الجدران. والميضاءة. أما ضريح الحسن بن القاسم الذي يجاور المسجد فقد سقطت قبته، كما تحطمت التركيبة الخشبية [١].، وفي قاع الديلمي إلى الشرق من مدينة ذمار، يوجد ضريح الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح الديلمي، الذي تهدمت الأجزاء العليا من قبره، ولكن تبقى شاهد قبره.كما تضم مدن جبلة وحراز ومناخة مزارات طائفة الإسماعيلية الشيعية.

وتعد المباني الطينية الشاهقة الارتفاع، التي تصل إلى ثمانية طوابق في حضرموت، وكذلك مباني الآجر المزخرفة بالزخارف الجصية البديعة في كل من صنعاء وزبيد وبيت الفقيه وحيس من إبداعات العمارة والفنون في اليمن.

(١) تسمى ضوران على اسم " ضوران بن أنِس بن الهان" من ملوك حِمْيَرْ، وقد اتخذها الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن محمد القاسم مقرًا لدولته. وعند ظهر يوم الاثنين ٢٧ صفر ١٤٠٣هـ/ ١٣ ديسمبر ١٩٨٢م ضرب زلزال عنيف لواء ذمار. وقد تشققت جدران حوالي ٦٥ % من منازل مدينة ذمار، وقتل ١٦٠٠ شخص وشرد ٣٠٠ ألف شخص وتهدمت تمامًا ٩٦ قرية.(معلومات شفهية من كبار مثقفي مدينة ذمار ممن عاصروا الزلزال)

وتنفرد واجهات منازل صنعاء بالنوافذ الوهمية في الطوابق المخصصة للنساء، وتبدو من الخارج وكأنها نوافذ حقيقية[١].

وكما حذق اليمني القديم في تحصين مدنه، فقد أجاد اليمنيون في العصر الإسلامي تحصين مدنهم أيضاً، ويعد سور مدينة صعدة، ويرجع إلى القرن ٣هـ/ ٩م، من أحسن أسوار المدن حالاً في اليمن، حيث يحتفظ بمعالمه الأصلية.ويحيط بمدينة ثلا سور حجري، يعد من الأمثلة القليلة لهذا النوع من الأسوار. كما يحيط بتعز سور تتخلله أربعة أبواب. وتعد مدينة حَجْة في شمال اليمن من أكثر المدن احتفاظاً بقلاعها، ومن أهمها حصن الجاهلي ونعمان والقاهرة. ومن الإبداعات المعمارية في اليمن في العصر الإسلامي بناء الجسور، ومنها جسر شهارة الذي بني في نهاية القرن ١٢هـ/١٨م، ويربط بين جبلين شاهقين تقع عليهما مدينة شهارة (لوحة٤ ؟).

وكانت العمارة اليمنية القديمة نبعًا نهلت منه العمارة الإسلامية في اليمن الكثير من أساليب البناء والعناصر المعمارية والزخرفية، ومن ذلك – على سبيل المثال – الاحتفاظ بالشكل الدائري والبيضاوي في تصميم المدن، كما كان عليه الحال في المدن اليمنية القديمة، فكانت مدينة زبيد عندما أنشأها الوالي العباسي محمد بن عبد الله بن زياد سنة ٢٠٤هـ/٨٢٠م على شكل دائري، واتخذت منذ العصر الأيوبي الشكل البيضاوي [٢]، كما يأخذ محيط

(١) غازي رجب محمد: البيوت القلاعية في اليمن، مجلة سومر، مجلد ٣٧، ج ج ١، ٢، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨١م، ص ١٦٣.

(٢) عبد الله عبد السلام الحداد: المنشآت العسكرية في مدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية ٢٠٤ – ٩٢٣هـ: ٨١٩ – ١٥١٧م، دراسة أثرية معمارية رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٢٤.

مدينة شبام الشكل المستدير[١]. ومن أساليب البناء اليمنية القديمة التي استمرت في العمارة الإسلامية، ارتداد مداميك البناء في الأجزاء العليا من الجدران، فكان جامع ذمار الكبير قبل هدمه مبنيًا بطريقة ارتداد المداميك. ومن ذلك أيضًا وجود فواصل من الخشب بين مداميك البناء من الحجر وغيره، فكان سور مدينة يثل "براقش"مبنياً من الأحجار والأخشاب[٢]. كما كان سور مدينة مَعِين " قرناو" مبنيًا من الأحجار المصقولة والأخشاب[٣]. ووجدت هذه الطريقة في مسجد تمور شمال شرق النادرة بلواء إب.كما بني مسجد العباس في خولان أسناف على مكان مرتفع، ويرتكز سقفه على ٣٦٥ عموداً بعدد أيام السنة، وذلك شبيه بما كانت عليه بعض المعابد اليمنية الصغيرة[٤].ويوجد على مئذنة جامع ظفار ذي بين زخرفة على شكل أفاعي فاغرة فاها، ورسم الحيات رمز يمني قديم، ينذر بالشؤم لمن يعتدي على المبنى[٥]. ويعلو مداخل كثير من المنازل والسماسر فتحات ضيقة للتهوية، وهي شبيهة بما كان في المعابد اليمنية القديمة. بالإضافة إلى ما كان يستفاد به من أعمدة وتيجان وأحجار من العمائر اليمنية القديمة، وهو أمر يلاحظ بيسر في مختلف المدن والعمائر الإسلامية، ففي جامع المهدي الذي يقع عند الطرف الشرقي من شبام الغراس،

(١) محمد عبد الله باسلامة: شبام الغراس، ط ١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ١٤١١هـ ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص ٧٥.

(٢) فهمي الأغبري: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، ص ٢٩، ص ٧٦.

(٣) محمد توفيق: آثار معين في جوف اليمن، النقش الأول، القاهرة، ١٩٥١م ص ٣١٧.

(٤) سولانج ,أوري: صفحات من تاريخ مسجد العباسي، مجلة حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ٤٧.

(٥) فنستر، بربارة: مسجد ظفار ذي بين، تقاريرأثرية من اليمن ص ٨٥

يوجد ضمن أحجاره أحجار قديمة، كما توجد أحجار عليها كتابات بخط المسند في كثير من المساجد والمنازل في شبام وغيرها من المدن اليمنية[١]، ومن ذلك نقش حميري على مدخل جامع ناعط (لوحة ٥) وقد ورد أن السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب لما عَمَّر المقرانة وجُبَن نقل أحجارها من ظفار يريم[٢]). كما استمر تنفيذ بعض الزخارف اليمنية القديمة على العمائر الإسلامية، حتى ما كان منها مرتبطًا بنواحي عقائدية، ومن ذلك شكل الهلال وقرص الشمس، التي نجد مثالًا لها في حنية مستطيلة بالجزء العلوي من الجدار، إلى الغرب من مدخل مسجد تمور شمال شرق النادرة بلواء إب، كما كانت واجهات المنازل تزخرف بأشرطة على شكل أهلة وأقراص الشمس مقلوبة ومعدولة بالتبادل، ومن ذلك الشريط الزخرفي على الجدار الخارجي لمنزل من القرن ١٩م بذمار[٣].ويوجد ضمن أحجار واجهة منزل بمدينة " ناعط " حجر عليه نقش لشكل حية وكف (لوحة ٦).

وكان لأهل اليمن دورهم في البناء الحضاري الإنساني، فقد ساهمت حضارة اليمن إلى جانب الحضارة المصرية القديمة وحضارة بلاد الرافدين في وضع الأسس والنظريات لقواعد وأصول البناء باستخدام المواد المختلفة مثل

(١) للمزيد انظر، صلاح أحمد البهنسي: إستمراريةبعض الأساليب المعمارية والفنية اليمنية القديمة في العمارة الإسلامية في اليمن، كتاب تقديري للآثاري الكبير الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية، الكتاب الأول، ج ٢، العمارة، مجلة كلية الآداب جامعة سوهاج، ٢٠٠٨م، ص ص ٢٩٧ – ٣٣٥.

(٢)حسين أحمد السياغي ؛ معالم الآثار اليمنية، ص.

(٣) صلاح أحمد البهنسي: استمرارية بعض الأساليب المعمارية، ص٣١٧.

الحجر والآجر[١]. وأنشأ اليمنيون في القرن ٢م مملكة اكسوم التي سميت بعد ذلك الحبشة نسبة إلى قبيلة" حبشت" جنوب غرب الجزيرة العربية. كما ذُكِر أن أول من اتخذ باباً لمسكنه في مكة من اليمنيين حاطب بن بلتعة، ثم اتخذ المكيون أبواباً لمساكنهم[٢]. وعلى أكتاف اليمانية ارتفع عرش الدولة الأموية في الشام ، وتمكين دولة عبد الرحمن الداخل في الأندلس. ولم يقتصر دورهم على النواحي السياسية والحربية، بل كان لهم دورهم الفعال في النواحي العمرانية والمعمارية في الكثير من بلاد العالم الإسلامي؛فقد خطط معاوية بن حديج مدينة الفسطاط بمصر، وأرسله معاوية بن أبي سفيان على رأس حملة لفتح المناطق الوسطى من إفريقية، لكنها لم تنجح في مهمتها، واستشهد الصحابي الجليل " عبد الله بن أبي زمعة البلوي " عند منطقة" جلولة ".ومن المدن التي أسهم اليمنيون في تخطيطها وبنائها البصرة والكوفة والقيروان[٣]. وقام شريك المرادي بتخطيط مدينة حمص. ومن أشهر اليمنيين الذين شاركوا في بناء المساجد بالأندلس حنش بن عبد الله الصنعاني، الذي أسس مسجد سرقسطة الجامع سنة ٩٥ هـ/٧١٤م[٤]،كما هدم السمح بن مالك الخولانى صاحب الأندلس سور مدينة قرطبة واستخدم أحجاره في ترميم قنطرة قرطبة وذلك بأمر

(١) محمد حماد: الإنشاء والعمارة، ط ١، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٥.

(٢) عادل محيي الدين الألوسي: ذمار في الإسلام حتى أواخر القرن الثالث الهجري، كتاب ذمار عبر العصور، إشراف أحمد محمد الحضراني، متابعة وجدان الصائغ، دار جامعة ذمار للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م، ص ١٢٧

(٣) يووسف محمد عبد الله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، جزءان، ط ٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٩٠م، ص ٣٤٢.

(٤) عبد العزيز سالم ؛ سرقسطة، دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب، ؟ ص ٥٤.

الخليفة عمر بن عبد العزيز عام ١٠١هـ/٧١٩م[١]وقد عاون عبد الرحمن بن سعيد العنسي أحمد بن باسة في بناء جامع أشبيلية في عصر الموحدين[٢]. وقد تركت القبائل اليمنية التي استقرت في الأندلس بصمات واضحة في القرى المحيطة بأشبيلية مثل قرية مقرانة[٣]، التي ربما يكون الاسم مقترنا بتلك القبائل حيث توجد باليمن مدينة مقرانة، التي اتخذهاالسلطان عامر بن عبد الوهاب(٨٥٥ – ٩٢٣ هـ / ١٤٥١ – ١٥١٧م) عاصمة للدولة الطاهرية[٤]. ونظراً لما كان لهم من إسهام في تأسيس وعمارة المدن الأندلسية، لذلك ليس غريبًا أن تسمى بعض قلاع الأندلس بأسماء بعض القبائل أو المدن اليمنية، مثل قلعة همدان في غرناطة، وقلعة خولان في أشبيلية، وقلعة يحصب[٥]. وهو أمر تكرر في الكثير من البلاد التي هاجر اليمنيون إليها ؛فقد هاجرت بعض قبائل سماوة حِمْيَر في اليمن إلى العراق واستوطنت المنطقة التي عرفت باسم لسماوة، حيث أعطوا المنطقة الجديدة اسم المنطقة التي كانوا يسكنونها باليمن.

(١) السيد عبد العزيز سالم: قصور أشبيلية في العصر الإسلامي،بحوث إسلامية، ص٤٤٦.السيد عبدالعزيز سالم، الفن العربي للتحصينات وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس، بحوث إسلامية، القسم الثاني،، ص ٥٩٦

(٢) حسين مؤنس ؛ رحلة الأندلس، حديث الفردوس الموعود، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت ٦٥٨هـ: الحلة السيراء، ج٢،تحقيق حسين مؤنس،القاهرة،١٩٦٣ م،ص ١٤٠

(٤) السيد عبد العزيز سالم: قصور إشبيلية في العصر الإسلامي، بحوث إسلامية ص ص٤٦٤-٤٦٥.

(٥) حسين بن علي الونسي: اليمن الكبرى، ج ١، ط ٢، صنعاء، ١٩٩١م، ص ٢٦٣.

وقد انتقلت طريقة الدور المتعددة الطوابق، التي اشتهر اليمنيون ببنائها، وتوجد أمثلتها في صنعاء وحضرموت بصفة خاصة، إلى بعض بلاد العالم الإسلامي ومنها مصر. فقد ذكر الرحالة المقدسي الذي زار مصر في القرن ٤هـ / ١٠م أن منازل مدينة الفسطاط من أربع طبقات إلى عشر وأكثرها من خمس ترتفع كالمنارات، ويسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس [١]. وتعد طريقة المصندقات التي استخدمت في تكسية أسقف المساجد باليمن، البداية الحقيقية لظهور أسلوب الحشوات المُجمَّعة التي أصبحت أسلوباً مميزاً في إعداد زخارف الأخشاب في العصر الإسلامي. ويرجح أن تكون مآذن منطقة نَجْدْ بالسعودية الإسطوانية الأبدان، ومنها مئذنة مسجد سدوس، ومآذن مناطق سدير وعنيزة وبريدة وفي منطقة العارض والمَحْمَل، متأثرة بالمآذن اليمنية الاسِطوانية، وإن كان البعض يُعْزي انتشار هذا الطراز في منطقة نَجْدْ إلى تأثيرات عراقية[٢].

ومن أهم الصناعات التي اشتهرت بها اليمن في العصر الإسلامي، صناعة الأواني الفخارية التي حازت فيها مدينة حيس مكان السبق بين غيرها من المدن اليمنية. وصناعة النسيج التي كان لليمن مكانة مرموقة فيها قبل العصر الإسلامي، فكان أول من كسي الكعبة بنسيج الوصايل اليمني" تبع باكرب أسعد". كما كُفِّن النبي – صلى الله عليه وسلم – في سبعة أثواب يمانية سحولية.وكانت أقمشة زبيد اليمنية تُحمَل إلى إيران، التي كانت لها شهرة هي الأخرى في صناعة المنسوجات[٣]. وقد ذكر القلقشندي " ولاتزال ملوك اليمن تجلب من مصر والشام طوائف من أرباب الصناعات لقلة وجودهم في

(١) عبد الفتاح شلبي ؛ المقدسي البشاري، ص ٦١.

(٢) محمد عبد الستار عثمان: مسجد سدوس دراسة آثرية معمارية، ؟ ص ٤٠٦.

(٣) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨١ ص ٥٨٢، مصطفى عبد الله شيحة مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، وكالة سكرين، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧م، ص ١١٣.

اليمن[١]. ومن الصناعات التي كان يجلب لها صناعا من مصر الملابس الحريرية، " التي كان يجلب لها صناع من الإسكندرية إلى زبيد[٢].

ومن الفنون التي أجادها اليمنيون الستائر الجصية المفرغة أو المعشقة بالزجاج، التي اختلف استعمالها باختلاف الظروف المناخية لكل منطقة؛ فبينما كانت ستائر الزجاج المعشق في الجص منتشرة في المنطقة الشمالية والوسطى من اليمن، نظرًا للبرودة التي تسودها فترة طويلة من العام، كانت زبيد تستعمل الستائر الجصية المخرمة بسبب الحرارة الشديدة، ولم تستعمل الستائر المعشقة بالزجاج إلا في فترة الحكم الزيدي (١٣٣٦ – ١٣٨٢هـ/ ١٩١٨– ١٩٦٢م) كما في دار الحكومة[٣]..

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى بصناعة الإنشا، ١٤ جزءًا، المطابع الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ج ٥، ص ٣٦.

(٢) الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن، ت ٨١٢هـ: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، جزءان، القاهرة، ١٩١١م، ج ٢، ص ١٥٨.

(٣) عبد الله عبد السلام الحداد: المنشآت العسكرية في مدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية ٢٠٤ – ٩٢٣هـ: ٨١٩ – ١٥١٧م، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٣٠

الفصل الأول

اسم وجغرافية وتاريخ ذمار

أولًا: اسم ذمار

ورد ذكر ذمار كثيراً في النقوش اليمنية القديمة بلفظ هجرن / ذمر أي مدينة ذمار [١]. وكلمة "هجر"تعني المدينة المسورة [٢]. كما وردت في النقوش الحِمْيَرية ومنها نقش "البرت جام 5771576" الذي يتناول الحرب التي دارت بين اليشرح يخصب وشمر ذي ريدان الحِمْيَري، والتي دارت أولى حلقاتها بين" هَرَّان "شمال ذمار" وذمار، حيث انتصر اليشرح يخصب وعاد إلى صنعاء، بينما احتمى شمر ذي ريدان في ذمار. ويشتمل التمثال البرونزي الذي عثر عليه في" النخلة الحمراء" بمديرية الحدا من أعمال لواء ذمار، ومحفوظ الأن بالمتحف الوطني في صنعاء، على كتابة حميرية ضمنها لفظ "ذمار علي"، وهو ذمار علي يهبر ملك سبأ وذو ريدان (١٥-٣٥م).

ونظراً لوجود أكثر من حاكم في تاريخ اليمن القديم يحمل اسم ذمار، فقد اختلفت الآراء حول نسبة اسم المدينة إلى أيهم؛ فينسب البعض ذمار إلى ذمار علي وتريه نعم الذي حكم حوالي سنة ٦٨٠ ق. م، وهو بذلك أقدم ملوك سبأ وذي ريدان، وكانت سبأ في عهده تهيمن على الهضبة الغربية وضمنها ذمار الحالية وما حولها، بينما ينسبها آخرون إلى ذمار علي ينف)

أو ذمار علي بيَن، أو ذمار علي ذرح، ذمار علي يهبر (يهبآر) [٣]، فإن كان ذلك الأخير فإن المدينة تكون قد بنيت في أوائل القرن الأول للميلاد.

---

(١) مجموعة مؤلفين ؛ الموسوعة اليمنية، الطبعة الأولى، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ١٩٩٢م، ص ص ٤٧٢-٤٧٣.

(٢) فهمي الأغبري: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، ص ١١.

(٣) أحمد صالح العبادي: أوضاع ذمار والقبائل المحيطة بها أثناء الصراع السبئي الحميري في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، مجلة الوثيقة، ص ٤١

وربما تكون المدينة قد سميت باسمه [١]. وذكر ياقوت الحموي أن ذمار مُسماة بذمار بن يحيى بن يحصب بن دهمان بن سعيد بن عدي بن مالك بن سدد بن حِميَر بن سبأ.كما ذكر أن قريشاً لما هدمت الكعبة وجد في أساسها حجر منقوش عليه بخط المسند عبارات نصها "لمن مُلك ذمار ؟ لحمير الأخيار ٠٠ لمن مُلك ذمار ؟ للحبش الأشرار؟ ٠٠ لمن مُلك ذمار ؟ لفارس الأحرار ٠٠ لمن مُلك ذمار ؟ لقريش التجار ٠٠ ثم حار محار، أي رجع مرجعاً " [٢].وفي هذا النقش ذكر للقوى التي تعاقبت على حكم ذمار. ويتعلق ذلك كله ب " ذمار القرن" التي تقع إلى الجنوب قليلاً من مدينة ذمار الحالية.

أما مدينة ذمار الحالية، التي شيدت في بدايات العصر الإسلامي، فقد ورد ذكرها في كتابات كثير من الرحالة والمؤرخين، فقد أورد البخاري أن ذمار اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ينسب إليهم نفر من أهل العلم منهم أبو هشام عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، وقال قوم أن ذمار اسم لصنعاء، وصنعاء كلمة حبشية أي حصين، وقال القزويني أن أبا الربيع سليمان الريحاني شاهد على مرحلة من ذمار آثار عمارة قديمة بقى منها عدة أعمدة من الرخام

(١) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله، ت ١١٤٧هـ: تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي (١٠٤٥-١٠٩٠هـ/١٦٣٥-١٦٨٠م)، المسمى "طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى"، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، ط ١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٥م، حاشية ٣، ص ٦٤.

(٢) ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي، ت ٦٢٦هـ: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج ٣، ص ٧، ج ٥، ص ٦٩ الحجري، القاضي محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج ١، ص ٣٤٢.

ودونها مياه غزيرة جارية، وأهل تلك البلاد متفقون على أنها عرش بلقيس [١]. ويتضح من الأوصاف الأخيرة أن المقصود قرية ذمار القرن.وذكر العلَّامة أبو الفيض محمد بن المرتضى الحسيني الزبيدي في كتابه "تاج العروس شرح القاموس"عند حديثه عن مدينة ذمار "وهي الآن مدينة عامرة كبيرة ذات قصور وأبنية فاخرة ومدارس علم وخرج منها فقهاء ومُحَدِّثون، سميت بقيل من أقيال اليمن، يقال أنه شمر بن الأملوك الذي بنى سمرقند. وذكر محمد الخانجي صاحب "معجم العمران في المستدرك على معجم البلدان" "وبها قلعة ومدرسة للزيدية وبيوتها نحو سبعة آلاف بيت وسكانها نحو ثلاثين ألف" [٢].

ثانيًا: جغرافية ذمار

تقع محافظة ذمار بين دائرتي عرض ١٤، ١٥ شمالاً، وخطي طول ٤٣، ٥ – ٤٤، ٨ شرقاً، وترتفع ٢٤٠٠ متر عن مستوى سطح البحر [٣].وتقع مدينة ذمار في الجهة الشمالية الشرقية من قاع بلسان في وادي الجنات، شرقها قرية

(١) الحجري، القاضي محمد بن أحمد ؛ مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، ط ١، ١٩٨٤م، ص ص ٣٤١-٣٤٢.

(٢) الطالبي، الحسن بن الحسين بن حيدرة إسماعيل القاسمي الحسني ؛ مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرا بها حقق من أهل الأمصار، تحقيق عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحوثي، ط ١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ٢٠٠٢م، ص ٢٤.

(٣) محمد حزام العماري، عباد البراق: الخصائص الجغرافية لمحافظة ذمار، كتاب ذمار عبر العصور، إشراف أحمد محمد الحضراني، متابعة وجدان الصائغ، دار جامعة ذمار للطباعة والنشر، ط ١ ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م، ص ٢٦١.

الملة، وفي الشمال الشرقي منها قرية يفع[١]. وتبعد حوالي مائة كيلو متر إلى الجنوب من مدينة صنعاء، كما تبعد عن ساحل البحر الأحمر ١٠٠ كيلو متر شرقًا. ويتصل بها من الشمال ناحية جهران وبلاد آنس، ومن شرقيها بلاد الحدا وبلاد رداع، ومن جنوبيها بلاد خبان وبلاد يريم، ومن غربيها بلاد وصاب وعُنْمة وبعض بلاد آنس(خريطة ٢)[٢].وتعد ذمار من مدن القيعان حيث تشغل قاع شرعة، مثلها في ذلك مثل صنعاء التي تقع في قاع الرحبة، ومعبر التي تقع في قاع جهران، ويريم التي تقع في قاع الحقل، وغيرها [٣].ويُقَسِّم الجغرافيون المدن اليمنية القديمة حسب مواقعها إلى عدة أنواع، فمنها ما هو قائم في الوديان قرب أسفل الجبال، ومنها ما هو قائم في القيعان على سفوح الجبال، ومنها ما هو قائم على قمم الجبال [٤]، ومنها المدن التي تقام على منحدرات الجبل أو الكتلة الجبلية[٥].

وترتفع مدينة ذمار عن سطح البحر حوالي ٢٤٠٠م، حيث تتخذ من المصاطب البركانية الصخرية موضعاً لها، وسط هضبة بركانية مغطاة جزئياً

(١) عبد العزيز الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط ٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٢٩.

(٢) الحجري، القاضي محمد بن أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ط ١، ص ٣٤١.

(٣) عباس فاضل السعدي ؛ السكان وتوزيعهم حسب الأقاليم الطبيعية في اليمن، دراسات يمنية، ع ١٠، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٢م، ص ٥٦.

(٤) محمد باسلامة ؛ شبام الغراس، ص ٥٩.

(٥) مصطفى عبد العال تمام ؛ مدينة صنعاء ومسيرة التطور الاستيطاني الحضري، مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء، العدد الثامن، ١٩٨٨م، ص ١٧٧.

بالرواسب، وترتفع تدريجياً عن الأحواض المحيطة بها، وهي من الشمال حوض معبر، ومن الجنوب حوض يريم، وبها مجموعة من الجبال البركانية وهي جبل هران في الشمال، وإلى الجنوب جبل ذمار القرن، وإلى الغرب مجموعة جبال صغيرة أهمها جبل يفع، وإلى الشرق جبل اللسي[١]. وهو واحد من أربع مناطق حول ذمار شهدت النشاط البركاني على مر العصور، وتصل حرارة مياهه إلى خمسين درجة مئويةأو تزيد[٢].وقد أدى ذلك إلى تنوع أحجار ذمار، فمنها الوردي والرمادي الفاتح، التي توجد في الجانب الغربي من المدينة، وصخور سوداء مخلوطة بمقذوفات بركانية فتاتية وزجاجية، وتنتشر في الجانب الشرقي والجنوبي من المدينة، ومنها جبل هران وجبل ذمار القرن وجبل الهيثا[٣].

وتقع الأحياء القديمة من مدينة ذمار في الجزء الشرقي من المدينة الحالية، حيث تشتمل على مجموعة الآثار التي ترجع إلى فترات مختلفة من العصر الإسلامي، وكان يمر بها الطريق القديم الذي يصل بين صنعاء وتعز. ويستدل من ذلك أن موضع المدينة في العصر الإسلامي قد تحول إلى الجنوب قليلاً عن موقع المدينة الحميرية القديمة التي كانت على قمة جبل هران، وإلى الشمال من المدينة الحميرية" ذمار القرن". أما الجزء الغربي فهو أحدث عمراناً، ويمتد بشكل طولي محاذياً للطريق الرئيس الموصل بين ذمار ومدن الجنوب اليمني.ويرجع السبب في اتخاذ الجانب الشرقي من ذمار موضعاً للاستيطان

(١) ياسين القيم، أحمد ياسين السامرائي ؛ أثر المحددات الطبيعية على النمو الحضري لمدينة ذمار، مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء، ع24 ، ٢٠٠١م، ص ١١٠.

(٢) فهمي هويدي: الرواجف هزت كرسي الزيدية، مجلة العربي، ع ٢٨٩، الكويت، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ / مارس(أذار) ١٩٨٣م، ص ١١٠.

(3) El-Anbaawy, M., Geology Of Yemen Arab Republic. Sanaa University, Publication, 1985.

لما يتميز به من ارتفاع نسبي عن الجانب الغربي، مما يجعلها بمنأى عن مخاطر فيضانات السيول الموسمية، حيث تتعرض منطقة ذمار لسيول وأمطار غزيرة في موسمين الأول من أواسط مارس حتى بداية شهر مايو والثاني من أواسط يوليو حتى نهاية أغسطس، ويبلغ معدل المطر السنوي على ذمار ٣٨٠ ملم إلى ٥٠٠ ملم. بالإضافة إلى صلابة تربة الجانب الشرقي واستقرارها. كما أن مدينة ذمار بها كمية مياه جوفية تشكل ٣.٢٥ من إجمالي المياه المنتجة في الجمهورية اليمنية. ومن الملاحظ أن هذا الأمر وجد في مدينة صنعاء ولنفس السبب، حيث أن الجزء الشرقي منها أقدم عن بقية أجزائها الغربية "بئر العزب"، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الجزء الشرقي من مدينة صنعاء كان معموراً قبل العصر الإسلامي بفترة طويلة[١].

واتبع في تخطيط مدينة ذمار القديمة نظام الحارات، حيث تنقسم إلى خمس حارات ؛ وهي حارة أو محلة الحوطة في الجانب الجنوبي الشرقي وحارة الجراجيش بالجانب الجنوبي الغربي، وحارة المحل في شمال المدينة، وحارة فرح وحارة الصلاحي. وتنقسم كل منها إلى مجموعة من الدروب والأزقة. وتشتمل كل حارة على مسجد وبستان "مقشامة"، وتنتهي الأزقة والدروب إلى السوق. وكما هي العادة فإن الشوارع أو الأزقة تتميز بالضيق وعلى جانبيها تقام المنازل. ومن أسواق مدينة ذمار سوق اللقمة وسوق المجن وسوق المنقالة وسوق المعطارة وغيرها[٢].ويفتقد تخطيط مدينة ذمار القديمة إلى أحد عناصر

(١) بونانفان، بول وغيميت ؛ صنعاء مسار مدينة عربية، معهد العالم العربي، باريس، ١٩٨٧م، ص ٢٠.

(٢) قامت شركة Louis Berger International بعمل خرائط للتخطيط العمراني لمدينة ذمار خلال سنوات ١٩٥٤، ١٩٧٠، ١٩٧٧، ١٩٨٣، ١٩٩٠، ١٩٩٥، ٢٠٠٠م.

التخطيط الحضري، وهي المتنزهات العامة والحدائق، وكان وجود الأشجار والنباتات يقتصر على المقاشم الملحقة بالمساجد، أو الحدائق الصغيرة الملحقة بعدد قليل من المنازل. وهذه السمة وجدت في كثير من المدن اليمنية ومنها مدينة صنعاء القديمة (١).

وحيث أنه يتحكم في عمران المدن في كافة العصور عدة عوامل، أشار كثير من المؤرخين والجغرافيين إليها، ومن ذلك ما أورده" ابن الربيع"من أن شروط تخطيط المدينة الإسلامية هي" سعة المياه المستعذبة، وإمكان الميرة

المستمدة، واعتدال المكان وجودة الهواء، والقرب من المراعي والاحتطاب، وتحصين منازلها من الأعداء والذعار، وأن يحيط بها سور يعين أهلها" (٢). كما ذكر"ابن أبي زرع" شروط الموقع الصالح لإنشاء المدينة، وأن " أحسن مواضع المدن أن تجمع بين خمسة أشياء؛ النهر الجاري، والمحراث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان إذ به صلاح حالها، وأمر سبلها، وكف جبابرتها"(٣). وقد توفرت لمدينة ذمار الإسلامية كثرة الماء والزروع، وجودة الهواءوالمراعي.كما ساعد على نمو المدينة وتطورها عدة

(١) انظر: عبد الرحمن الحداد: التراث المعماري في صنعاء القديمة(برنامج للحماية والتحسين) ؟، مجلة دراسات يمنية، ع ٢٧، ١٩٨٧م، ص ص ٤٢-٤٣.

(٢) ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد، ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م): سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦م، ص ص ١٠٥-١٠٧.

(٣) ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي، ت ٧٤١ هـ/١٣٤٠م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢ م، ص ص ٤١-٥١؛ محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص٨٧.

عوامل، ومنها العامل السياسي الذي يتمثل في وجود قلعة أو قصبة تضم قصر الحاكم، مما يدفع الأهالي إلى التجمع حولها. وكذلك العامل الاقتصادي ممثلاً في الأسواق التي تجتذب التجار والعملاء من المناطق المجاورة، مما يستلزم توفير أماكن لسكناهم وحفظ بضائعهم وإيواء دوابهم. ويتمثل العامل الديني في إنشاء المسجد الجامع، والذي يعد مركز المدينة ويلتف حوله بقية النسيج العمراني المكون لبنية المدينة.ويعد الجامع الكبير في ذمار نواة تخطيط مدينة ذمار بعد إنشائها في بدايات العصر الإسلامي. كما أن المركز الديني الذي تمتعت به ذمار كأحد أهم مواطن المذهب الزيدي في اليمن كان له أكبر الأثر في التطور الحضري للمدينة، وذلك نتيجة لما تم إنشاؤه بها من منشآت دينية وتعليمية وخدمية تفي بمتطلبات الوافدين إليها. وقد وصف بعض الرحالة والمؤرخين ذمار بأنها قرية كبيرة جامعة بها زروع وآبار قريبة يُنال ماؤها باليد، ويسكنها بطون من حمير وأنفار من الأبناء، ورأس مخاليفها بلد عنس، وساكنها اليوم بعض قبائل عنس بن مذحج [1].

ثالثًا: مجمل تاريخ ذمار:

لعبت منطقة ذمار دوراً هاماً في تاريخ اليمن القديم، فقد حدثت أوول مواجهة بين الملك السبئي إيل شرح يحضب والملك الحِمْيَري شمر يهحمد عند حصن هران وطالت ذمار " ذمار القرن " وهزم شمر يهحمد واحتمي بأسوار مدينة

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد ؛ صفة جزيرة العرب، ط ١، ص ٢٠٦، الحجري، القاضي محمد بن أحمد ؛ مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج ١، ط ١، وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب١٦/١، صنعاء، ١٩٨٤م، ص ٣٤٢.

ذمار[١].وقد ذكر جواد علي في كتابه "تاريخ العربية الجنوبية" أن ذمار كانت تمثل قبل الإسلام مع رداع وهكر أهم المدن اليمنية دوراً وموقعاً. ويرجح أن المقصود ذمار القرن، حيث أنشئت مدينة ذمار الحالية في بداية العصر الإسلامي. وفي فترة حكم الأحباش لليمن، التي تولى الحكم فيها أبرهة الحبشي، وبعد وفاته آل حكم اليمن إلى أخيه " المسروق "، إلى أن تغلب عليه سيف بن ذي يزن، بعد أن أمده حاكم فارس كسرى أنوشروان بألف مقاتل.وكان ذلك بداية للتدخل الفارسي في اليمن، وأصبح يُعَيَّن عليها حاكم من قِبَلهم، وحتى بعد مقتل بازان بن ساسان، ولى الرسول صلى الله عليه وسلم ابنه شهر بن بازان، إلا أن الأسود العنسي قتل شهر بن بازان واستولى على اليمن. وبعدما قُتِل الأسود العنسي، ولى الرسول عددًا من الولاة، منهم وبر بن يحنس الذي أنشأ جامع صنعاء، وفروة بن مسيك الذي أنشأ مسجد فروة ومصلى العيدين. واستمرت اليمن يولَّى عليها ولاة من قِبَل الخلافة، ومنهم عبد الله بن عباس بن عبد المُطَلب، الذي ولَّاه علي بن أبي طالب على صنعاء ومخاليفها ومنها ذمار، حيث كانت اليمن خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة مقسمة إلى ثلاثة مخاليف، صنعاء والجَنَد وحضرموت، وكانت ذمار تابعة لصنعاء [٢].وبعد أن ضعفت الدولة العباسية نال ذمار ما أصاب غيرها من المدن اليمنية، لكن نشاطها التجاري والزراعي أعاد لها قوتها وانتعاشها، وجعلها في المرتبة الثالثة

(١) عبد القادر بافقيه: توحيد اليمن القديم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٧م، ص ص ٢٧٢ – ٢٧٣. أحمد صالح العبادي: أوضاع ذمار والقبائل المحيطة بها، ص ٥٩.

(٢) عادل محيي الدين الألوسي: ذمار في الإسلام حتى أواخر القرن الثالث الهجري، كتاب ذمار عبر العصور، ، ص ص ١٢٣– ١٢٤.

بين المدن اليمنية بعد صنعاء وصَعْدة، ومركزاً من مراكز الإشعاع العلمي، وكان لجامعها الكبير، الذي يعد من أقدم مساجد اليمن، ويعود إلى فترة خلافة أبي بكر الصِدِّيق [1]، ويقال أنه بني بعد الجامع الكبير بصنعاء بأربعين يوماً، دور كبير في ذلك.

وأصبحت ذمار بعد انتشار المذهب الزيدي في اليمن بؤرة لقاء ثقافي وصراع فكري بين علماء المذاهب المختلفة، وتركز فيها أكابر علماء وفقهاء ومدرسي المذهب الزيدي. وقد ألَّف حسن بن حسين بن حيدرا مخطوطة " مطلع الأقمار وجمع الأنهار في تراجم علماء مدينة ذمار"، أحصى فيه ١٢٥ فقيهًا في القرنين ١٢ – ١٣ هـ/ ١٨ – ١٩م. لذلك عندما أرسل الإمبراطور المغولي في الهند" أورنجزيب بن شاه جيهان"، في النصف الثاني من القرن ١١هـ / ١٧م، بعض المسائل الفقهية للإجابة عليها، قام إمام اليمن بعرضها على من له رسوخ قدم في هذا الميدان من علماء ذمار وغيرهم [2].

ونظرًا لما تتمتع به ذمار من أهمية إستراتيجية وتجارية، فقد كانت مطمعًا لكثير من الدول التي قامت في اليمن، فقد حرص القاسم بن حسين الزيدي، الذي أنابه المنصور بالله العياني على صنعاء قبل عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠٣-١٠٠٤م على ضم ذمار لمُلكِه، حتى تمكن من دخولها. وبعد أن استولت الدولة الأيوبية على صنعاء وزبيد بقيادة توران شاه الذي وحد اليمن مع عدن واستمر حكمهم من سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م إلى ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، تمكنت هذه الدولة من فرض سيطرتها على ذمار ؛ففي سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٨م استولى سيف

(١) المقحفي، إبراهيم: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط٣، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ٢٥١.

(٢) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله: تاريخ اليمن، طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، حاشية ٢ ص ٢٥٠.

الإسلام طغتكين بن أيوب على ذمار. وقد أتاح ذلك للأكراد التواجد في ذمار، وكان لهم تأثيرهم في الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية فيها. وفي فترة حكم بنو رسول الذي امتد من اليمن حتى مكة المكرمة من سنة ٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م، طلع السلطان أبو الحسن علي بن داوود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، في سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م، إلى ذي جبلة وجَهَزَ إلى ذمار خيلاً ورجلاً كثيرة فأخذوا ذمار قهراً بالسيف، ثم حطوا على هران فأخذوه قهراً [١]. وفي سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥ – ١٣٧٦م جهز السلطان الأفضل العباسي بن المجاهد ابن المؤيد الغساني الملقب "ضرغام الدين" الأمير داود بن حناجر إلى ناحية ذمار في عسكر كثيف فقبض عدة حصون، وخرَّب قرى كثيرة، إلى أن أسر الأمير داود بن حناجر [٢].

وفي فترة حكم الدولة الطاهرية(٨٥٥ – ٩٢٣ هـ / ١٤٥١ – ١٥١٧م) الذين امتدت دولتهم من مكة شمالاً حتى حضرموت جنوباً، استولى جيش الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر بقيادة الظافر عامر على ذمار في شهر رجب سنة ٨٦٥هـ/ أبريل ١٤٦١م، وخرج الناصر بن محمد العلوي منها إلى هران ثم توجه إلى صنعاء فأسره أهل عرقوب، وتقربوا به إلى الإمام المطهر بن محمد بن سليمان بن حمزة واعتقله عنده، لأن الناصر كان قد حبس الإمام المطهر من قبل في حصن الربعة غربي ذمار، ولكنه تمكن من الفرار، وقد حبسه الإمام المطهر في كوكبان شبام إلى أن مات هناك [٣]. وقد وردت هذه الحادثة في "غاية الأماني" مع بعض الاختلاف، حيث ورد أنه في رجب سنة

(١) الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، القسم الثاني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٨٤.

(٢) الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي: قرة العيون، القسم الثاني، ص ص ١٠٢–١٠٣.

(٣) الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي: قرة العيون، القسم الثاني، ص ١٥٢ هامش٣.

٨٦٥هـ/أبريل ١٤٦١م سار الظافر عامر إلى ذمار مع جيش كبير، وتخيم خارج المدينة وبعد مفاوضات مع الشيخ دخل السلطان الظافر المدينة دون إراقة دماء، مما جعل الناصر بن محمد يترك صنعاء ويتجه هو الآخر إلى ذمار حيث توقف عند قلعة هران، ومكث الظافر عامر فترة في ذمار لجمع الأموال، وعين علي بن تاج الدين عاملاً في ذمار قبل أن يرجع إلى بلاده [١]. وفي العام التالي ٨٦٦هـ /١٤٦١-١٤٦٢ م.استرد الناصر بن محمود ذمار، وطرد علي بن تاج الدين، وعندما علم الظافر عامر بذلك وكان في عدن أرسل إلى المطهر بن محمد بن سليمان، وهو المدعي الثاني للإمامة، وعلي بن حسن شيخ همدان يستحثهما على مهاجمة الناصر في ذمار، واستجابا لذلك، ودارت عدة معارك بين المتنافسين الزيديين للسيطرة على صنعاء وذمار، فاستغل الظافر عامر ذلك وقدم بجيش تمكن من دخول ذمار مرة ثانية وهدم القلعة وبعض المنازل [٢]. وفي ذي القعدة من سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م في فترة حكم الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر، غزا عامر بن عبد الوهاب ذمار بعد أن حاصرها من أواخر ذي القعدة حتى سابع ذي الحجة ثم أخذها عنوة، وكان أهلها قد بنوا سورها وحصنوها بإشراف الشريف محمد بن علي الوشلي، الذي تزعَّم أهلها في قتال عساكر عامر بن عبد الوهاب لكنهم تمكنوا من الانتصار عليهم، ودخلها الظافر عامر فجاءه أهلها يطلبون الأمان والذمة فاستجاب لذلك، ولكنه شرط عليهم تخريب ما بنوه من سور المدينة فبادروا إلى ذلك.

---

(١) ابن الحسين، يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد(ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م): غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٥٩٠.

(٢) ابن الحسين، يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد ؛ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص ص ٥٩١-٥٩٣.

وفي سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م استولى السلطان الظافر – رابع سلاطين بني طاهر– على ذمار [١]. وفي محرم سنة ٩٠٨هـ/ يوليو ١٥٠٢م عاد الظافر ذمار بعد أن هزم جيش الزيدية في منطقة صنعاء [٢]. وفي يوم ٨ محرم سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م توجه الملك الظافر من صنعاء إلى ذمار ومعه جميع بني الأسد وسائر الأسرى ونسائهم وأولادهم، واستخلف بصنعاء الفقيه محمد النظاري. وفي أول سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٧ – ١٥٠٨م توجه الظافر من ذمار إلى صنعاء [٣].

وفي العصر العثماني الأول (٩٤٣ـ ١٠٤٥هـ/ ١٥٣٨– ١٦٣٥م)، وخلال فترة الإستقلال عن الحكم العثماني، كانت ذمار مسرحاً لبعض الصراعات السياسية، ففي محرم سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٥م أرسل الإمام المنصور الحسين بن المتوكل جيشاً بقيادة سليم لحفظ ذمار من هجوم راجح الخولاني، وتمكن سليم من الانتصار عليهم [٤].وخلال العصر العثماني الثاني(١٢٨٩ – ١٣٣٦هـ / ١٨٧٢– ١٩١٨م) كان حصن هران مقراً للحامية العثمانية التي

(١) ابن الحسين، يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد ؛ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص ص ٦٢٨–٦٢٩.

(٢) الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي: قرة العيون، القسم الثاني، ص ص ٢٠٤–٢٠٥.

(٣) الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي:قرة العيون، القسم الثاني، ص ص ٢١٠–٢١٢.

(٤) أبو طالب ؛ تاريخ اليمن، ص ٤٩٤.

أقامت به سجناً مسوراً لسجن المارقين حتى يتم إعدامهم، حيث كان أئمة الزيدية في ذمار يقودون أهل ذمار في ثوراتهم ضد العثمانيين [1]..

مما سبق يتضح أن ذمار كانت مسرحاً للصراع بين القوى الطامحة للاستيلاء عليها، نظراً لأهميتها السياسية والاقتصادية، وكان لذلك تأثيره الملموس على عمرانها وتكوينها الاجتماعي. وفي الفترة المعاصرة كانت ذمار مسرحاً للقتال الذي استمر من ٥ مايو سنة ١٩٩٤م حتى ٧ يوليو من نفس العام، مابين مؤيدي الوحدة بين شمال اليمن وجنوبه وبين دعاة الانفصال، وما زالت آثار ذلك واضحة في بعض عمائر المدينة، وخاصة في شارع المَنْزَل.

(١) عن مجمل فترة الوجود العثماني في اليمن انظر، النهروالي، قطب الدين بن محمد بن أحمد المكي، ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م: البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٧م. ياسين عبد اللطيف: ثورة اليمن الأولى في مواجهة الاحتلال العثماني، مجلة الإكليل، ع ٢، السنة الأولى، خريف ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م زيد بن علي عنان: العثمانيون في اليمن، مجلة الإكليل، ع ١، السنة الثالثة، خريف ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥م، ص ص ٤٠ – ٤٨

الفصل الثاني

الآثار القديمة بمنطقة ذمار

على الرغم مما كان لذمار من أهمية في مراحل تاريخها القديم، إلا أن ما تبقى من آثارها القديمة يعد قليلًا. ويرجع ذلك إلى عوامل سياسية وطبيعية. وليس هذا بغريب، فعلى الرغم من قدم مدينة صنعاء، التي تجتمع الآراء على أنها أقدم مدن الجزيرة العربية، ومن أقدم مدن العالم، وما شهدته من حركة معمارية على مر العصور، إلا أن ما تبقى بها من الآثار القديمة يعد قليلًا أيضًا، ويكاد ينحصر في أطلال قصر غمدان، الذي شيده الملك ال شرح يخصب ملك سبأ وذي ريدان، وبعض آثار الأسوار القديمة لمدينة صنعاء، والمحتمل أنها أنشئت في عصر "شعرم أوتر" في نهاية القرن الثاني الميلادي. وبعض آثار كنيسة القليس، التي بنيت بعد الغزو الحبشي لليمن سنة ٥٢٥م، وهدمت في الفترة مابين ٧٥٣-٧٧٥م

موقع هران الأثري:

يقع حصن هران فوق تل من حجر البازلت الأسود "الحبش" [١] يحيط به منخفض ذمار، وتتخلله وديان تؤدي إلى الحصن، حيث يتم تزويده بالمواد الغذائية، التي تخزن به إلى وقت الحاجة(شكل ١). ويرجع بناء الحصن إلى فترة دولة سبأ وذي ريدان، وهي الفترة التي أنشئت فيها مدينة ذمار – ذمار القرن –.ويعد موقع هران الذي يقع في الجهة الشمالية من مدينة ذمار، وموقع ذمار القرن إلى الجنوب من مدينة ذمار، من أهم المواقع الأثرية التي تدل على

(١) حجر الحبش أحد أحجار الطف البركانية المائلة إلى السواد، ذو نسيج فقاعي له فجوات فارغة، وقليل منه فجواته مملوءة بمعدن الزيوليت الثانوي. ومن أشهر مناطق وجوده منطقة ذمار، ومنه نوع ملمسه ناعم يعرف باسم "الصورع" يؤتى به من جبل هران بذمار أيضاً.

تاريخ المنطقة، إذ أن كل منهما يمثل خط دفاع للآخر. كما أن ما تبقى به من شواهد أثرية يدل على أنه كان مأهولاً بالسكان، إذ أنه بالإضافة إلى بقايا الأسوار وما يتخللها من أبواب وأبراج والحصن والخندق، فقد تبقت بعض الأساسات وأجزاء من جدران لمباني سكنية (لوحة ٨)، وآبار وبِرك للمياه (لوحة ٩) وهري لحفظ الغلال، ومجموعة من المقابر (لوحات ٩، ١٠، ١١).

ونلاحظ في تكوين حصن هران بعض الأمور التي جاءت في معظمها مستمدة من فن العمارة اليمنية القديمة، ومن ذلك:

- أن الصعود إلى الحصن عن طريق ممر متدرج، وهو ما نجده في بعض المدن اليمنية القديمة مثل براقش والدريب [١].
- أن الحصن مقام على قمة الجبل، بينما تقام المدن في الوديان، ونرى ذلك في عدة أمثلة، منها مدينة شبام سنحيم "الغراس حالياً"، التي ترجع نشأتها على أرجح الآراء إلى ما قبل القرن الثالث قبل الميلاد، فإن المدينة تقع في وادي السر أسفل حصن ذي مرمر، وهو نفس وضع مدينة ذمار بالنسبة لحصن هران.
- قلة عدد الأبواب التي تؤدي إلى الحصن، ويرجع ذلك إلى أسباب دفاعية، تتعلق بعرقلة اندفاع المهاجمين إلى داخل الحصن في حالات الاعتداء، وهو أمر ظل متبعًا في العمارة الحربية في مختلف العصور.

(١) ديمجريت، أليساندرو ؛ المجموعة المعمارية الأثرية السبئية في وادي بلاد خولان الطيال، الجمهورية العربية اليمنية، أسميو، روما، ١٩٨٨م، ص ٢٩.

- ـ اشتمال الحصن على عدد كبير من المواجل " وبِرْك لخزن المياه" (لوحة ٨)، وحُفَر خزن الحبوب " هري "، وجميعها تنحت في الصخر، وتكسو جدرانها طبقة من القضاض للحفاظ على ما فيها من مياه أو حبوب [١].وهو أمر متبع في العمائر الحربية لكفاية المتحصنين من الماء والغلال في حالة الحصار.
- أن كثيراً من الحصون التي أقيمت كحماية للمدن في العصور القديمة ظلت مستخدمة خلال العصور التالية، فكانت منطقة هران مقراً لسكنى مجموعة من المسيحيين قبل دخول الإسلام إلى اليمن. وسكنت قبيلة "جنب" حصن هران منذ القرون الأولى للهجرة، وحتى القرن ٩هـ / ١٥م، حيث انتقلت إلى منطقة "مغرب عنس" وسميت منطقتهم بمخلاف الجنبين. وفي شهر شوال سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٢م بدأ الإمام المنصور بالله بعمارة حصن ذمار وسماه بهذا الاسم، وكان يعرف من قبل بأكمة الإمام أبو الفتح الديلمي [٢]، مثلما كان عليه الحال لحصن ظفار ذي بين، الذي كان يعرف بأكمة أبي الفتح لأنه بني حصن تلك الأكمة. وقد اتخذ الإمام يحيي بن حمزة من جبل هران مكاناً للتدريس لطلابه. وفي العصر العثماني اتخذت الحامية العثمانية حصن هران مقراً لها، وأقامت به سجناً مسوراً لسجن المارقين حتى يتم إعدامهم

(١) القضاض مادة تستخدم في لصق مداميك الحجر والآجر، كما تستخدم كملاط للجدران وتبطين المجاري المائية مثل الميازيب وأحواض المياه وأرضيات المطاهير، نظراً لما لها من خواص الصلابة والتماسك وعدم نفاذ الماء منها. ويتكون القضاض من خليط من حصى حجر الحبش مع الجير والماء.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص ص ٢٤٦ – ٢٨٥

باستخدام الخازوق. لذلك فقد عثر به على بعض الآثار التي ترجع إلى العصر الإسلامي.

الآثار الباقية بموقع هران:

١- المنشآت الحربية:

يمتد بالجهة الشمالية من حصن هران سور من الحجر يستمر في الجانب الشرقي، وينتهي ببرج تبقت أجزاء منه (شكل ٢، ٣)، كما يمتد السور في الجانب الغربي. أما الجانب الجنوبي من الحصن، فإن البناء ينقطع في جزء منه، لأنه محصن طبيعياً نظراً لارتفاع الجبل في هذا الجانب. ويوجد الدرج الحجري الذي يؤدي من سفح الجبل إلى الحصن أمام الجزء المقطوع من السور مباشرة. ويتخلل الجزء الغربي من السور الشمالي أربع فتحات متسعة من الداخل وضيقة من الخارج "مزاغل" للمراقبة ورمي السهام، ويدل وجودها في مقابل منخفض سفح الجبل على أنها كانت تؤدي هذا الغرض الدفاعي. وفي الطرف الغربي للسور يوجد على ضلع التل الصخري بوابة مستطيلة إلى جانبها غرفة للحراسة، في ثلاث جوانب منها دخلات حائطية تستخدم لجلوس الحراس. وهذا السور الحجري مبني من طبقتين بينهما فاصل من قطع من الدَبش لتقوية السور. بالإضافة إلى السور الحجري الخارجي توجد بقايا سور داخلي من اللَبِنْ والزابور والطين، يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ٥٣م، وارتفاع ٦م، وعرض ٢,٢٠م. وفي منتصف السور توجد بقايا برج نصف دائري، كما تتخلله ثلاث فتحات أبواب أو لتصريف الماء (لوحة ١٢). وإلى جانب هذا السور من الداخل يوجد خندق عميق يصل عمقه إلى حوالي ١٢م، بينما يتفاوت عرضه

ما بين ١م إلى ٢م، وتوجد به فتحة تسمح بخروج الماء منه إلى الخارج [١] وكما كان الخندق من المكونات الأساسية للعمائر الحربية في عصور ما قبل الإسلام ، ومن أمثلته خنادق مدينة القسطنطينية وسالونيكا، حيث كان يتقدم السور الرئيس الذي أنشأه ثيودثيوس Teodosio في القسطنطينية خندق يصل عرضه إلى حوالي ٦٠م من الخندق حتى جدار السور. وقد انتقل هذا التقليد إلى العمارة الإسلامية، فقد شق الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور خندقًا حول مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ /٧٦٣م، يبلغ عرضه ٤٠ ذراعًا [٢]. وعرفت العمارة الأندلسية في عصر الإمارة نظام الخندق الذي يحيط بالبناء، ومن ذلك قصبة ماردة وحظار البقر بقرطبة [٣].كما ظهرت أمثلة للخنادق في تحصينات بلاد المغرب، حيث أن سور مدينة سبتة الذي بني سنة ٣١٩هـ/٩٣١م كان يتقدمه سور منخفض يحيط به خندق [٤].كما ذكر ابن خلدون أنه عندما أنشأ أبو الحسن الزياني مدينة المنصورة " تلمسان الجديدة " بالجزائر في القرن ٦هـ /

(١) محمد عبد الله باسلامة ؛ هران بذمار أحد الحصون اليمنية، مجلة الإكليل، العدد الثاني، خريف ١٩٨٧م، ص ٨٨.

(٢) ابن الفقيه، الهمداني: بغداد مدينة السلام، تحقيق صالح أحمد العلي، وزارة الإعلام، بغداد، د. ت، ص ٣٥.

(٣) مالدونادو، باسيليو بابون: العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، ترجمة علي إبراهيم منوفي، مراجعة وتقديم محمد حمزة الحداد، المجلد الأول، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ص ٢٥١ – ٢٥٢.

(٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م: نهاية الأرب في فنون الأدب، تاريخ مصر، ج ١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د. ت، ص ٩.

١٢م، كان لها سور منيع به أكثر من ثمانين برجاً وبها بوابات وخندق من الداخل(١).

٢- المنشآت المدنية:

توجد بحصن هران بقايا مجموعة من المنازل، تتركز بشكل أساسي في الجهة الجنوبية، كما توجد مجموعة أخرى في كل من الجهة الشرقية والشمالية (لوحة ٨). ومن خلال ما تبقى من أساساتها يمكن تصور الشكل الذي كانت عليه، ويتلخص في:-

- نظراً لخضوع تخطيط المنزل للبقعة التي يبنى فيها، لذلك فقد تنوعت أشكال المنازل، إذ أن منها المستطيل – وهو الغالب – والمربع، والشكل شبه الدائري.
- ـ تتميز معظم المنازل بصغر مساحتها، حيث تقل عن المائة متر مربع، فيما عدا بعض النماذج ومن ذلك بقايا منزل في الجهة الشرقية من الجبل، وإلى الشرق من السور الطيني يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها ١٥×١٠م. وكذلك بقايا منزل على طرف التل الصخري في الجهة الشرقية، يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها ١٦×٧,٥٠م.
- أن المنازل تؤدي إليها فتحة باب تقع في معظم الحالات في الجهة الغربية من كتلة المنزل، ولا يختلف ذلك باختلاف موقع المنزل، فقد وجد ذلك في المنازل التي توجد في الجهة الجنوبية من الحصن، أو التي توجد في الجهة الشرقية أو الشمالية منه. ولكن وجدت فتحة الباب المؤدي إلى المنزل– في حالات قليلة – في اتجاهات أخرى، ومن ذلك

(١) مالدونادو، باسيليو بابون: العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، ص ٢٢٧.

منزل على طرف التل الصخري الشرقي للجبل، حيث توجد بقايا منزل من مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها ١٦×٧,٥٠م، تؤدي إليه فتحة باب في الجهة الجنوبية.

- أن معظم المنازل تتكون من ثلاث غرف بينها ممر. ولكن يوجد في أحد النماذج في الجهة الشرقية من الجبل بقايا منزل يشتمل على أربع غرف.
- أن الغرف تتنوع بين المستطيلة والمربعة، وتؤدي إلى كل منها فتحة باب باتساع ٠.٩٠م.
- أن مادة البناء المستخدمة هي حجر البازلت الأسود "الحبش" المتوفر بالمنطقة، وأن الجدران تتسم بسمكها الواضح، كما هو متبع في معظم العمائر اليمنية القديمة.
- وجدت ببعض المنازل آبار مكسوة بالقضاض تستخدم خزانات للمياه" مواجل ".
- بالإضافة إلى بقايا المنازل، فإن الموقع يشتمل على صهاريج مكسوة بالقضاض، منها صهريج في الجزء الجنوبي من الجبل، تحيط به مساحة من أراضي زراعية تتخللها قنوات الري. كما توجد حفر لخزن الغلال.

٣- المقابر:

كان اليمنيون القدماء ينحتون قبور موتاهم في الصخر للحفاظ على جثثهم. وتضم الجهات الشمالية والجنوبية عند سفح جبل هران مجموعة من المقابر المنحوتة في الصخر، وترجع إلى عصور ما قبل الإسلام. وتتكون المقبرة التي

توجد في الناحية الشمالية من مساحة مربعة طول ضلعها ٢.٧٠م، تنقسم إلى ثلاثة أجزاء مستطيلة تتوسطها حفرة (اللوحتان ١٠، ١١). وعلى بعد ٦٠م إلى الشرق من هذه المقبرة توجد مقبرة أخرى عبارة عن حفرة مستديرة الشكل، قطرها ١,١٠م، إلى جوارها حجرة مستطيلة أبعادها ٢.٤٠م×١.٧٠م، وارتفاعها ١.٨٠م بداخلها فتحة تؤدي إلى قبر منحوت في الصخر، مستطيل الشكل أبعاده ١.٨٠م×١.٦٧م وارتفاعه ٠.٨٧م.

أما المقبرة التي توجد في الجهة الجنوبية من سفح الجبل، فهي عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها ٣م×١.٧٥م، وارتفاعها ١.٨٠م، مقسمة من الداخل إلى خمس غرف مستطيلة لكل منها فتحة باب، وهي عبارة عن غرفتين في الجهة الشرقية، تعلو إحداهما الأخرى، وغرفة شمالية، وغرفة شمالية غربية، بالإضافة إلى غرفة غربية (لوحة ١١). وعند الحفر لإنشاء متحف مدينة ذمار سنة ٢٠٠٣م، اكتشفت مجموعة من الدفنات الحِمْيَرية تتجه رؤوس الموتى فيها ناحية الشمال – كما كان المتبع في مراسم الدفن في العصر الحميري. وفي الجهة الشرقية من الجبل في الجانب الخارجي للسور الشرقي توجد مقبرة ترجع إلى العصر الإسلامي، كما توجد مقبرة أخرى في الجهة الشمالية من الجبل ترجع إلى العصر الإسلامي. وهي مقابر محفورة في باطن الأرض، ولا ترتفع عنها إلا بمقدار ربع المتر.

التحف المنقولة من ذمار:

استخرج الإمام أحمد حميد الدين الذي أقام بهذه المنطقة أثناء فترة ولاية عهده، العديد من الآثار سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٣ – ١٩٣٤م، منها تمثال ذمار علي المصنوع من البرونز، الذي يظهر فيه الدقة المتناهية في تنفيذ التفاصيل، وبصفة خاصة الحاجبين والأهداب والعانة. ونقشت على صدره كتابة حميرية

في سطرين ضمنها اسم "ذمار علي" [١]، والتمثال محفوظ حاليًا بالمتحف الوطني بصنعاء. وكان المستشرق الأوروبي "أورليخ غاسبار ستيزن"قد سافر في بداية القرن ١٩م إلى اليمن، واستطاع الحصول على نقوش يمنية قديمة بالقرب من مدينة ذمار [٢].؟

ومن الآثار القديمة بمنطقة ذمار ما يوجد بقرية "هكر" في جبل زبيد، والقصر الأثري الحميري في "موكل" وأضرعة وفيها آثار سدين للماء. وفي قرية "قرن ذمار" آثار حميرية، وفي قرية "رخمة" أحجار عليها كتابة بخط المسند، – ومابين جبل الدار ونجد الأسلاف عمارة ظاهرة على سطح الأرض بارتفاع متر، يبدو أنها سد أرضي لحجز المياه الجوفية، وفي جبل "حصة" آثار، ومازالت مرابط الخيل باقية فيه.ومن حصون منطقة ذمار حصن الربعة في مخلاف وادي الحمَّام، وحصن رخمة، وحصن اللسي الذي يوجد في قمته حمَّام طبيعي يقصد للتداوي، وحصن الخلقة، وحصن ذي خولان. وفي سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م اكتشف في حمة كلاب عنس [٣] بجوار جبل أسبيل، التي تبعد عن ذمار نحو ٣٥ كم، آثار أربعة بيوت أرضية كانت مغطاة بالتراب، وقد وجد على بعض أبوابها ونوافذها رسوم الزهرة، أو القمر والزهرة، وأشكال أشجار العنب وكتابات بخط المسند. كما توجد آثار حميرية في كل من حمة سليمان، وحمة قارون [٤].

(١) حسين أحمد السياغي ؛ معالم الآثار اليمنية، ص ٨٥.

(٢) أحمد غسان سبانو ؛ حول تطور الكشف عن الحضارة اليمنية، مجلة الإكليل، ع ١، صنعاء، ١٩٨٠م، ص ٨٤.

(٣) كلمة حَمَّة حميرية وتعني الأكام.

(٤) حسين أحمد السياغي ؛ معالم الآثار اليمنية، ص ص ٨٢– ٨٤.

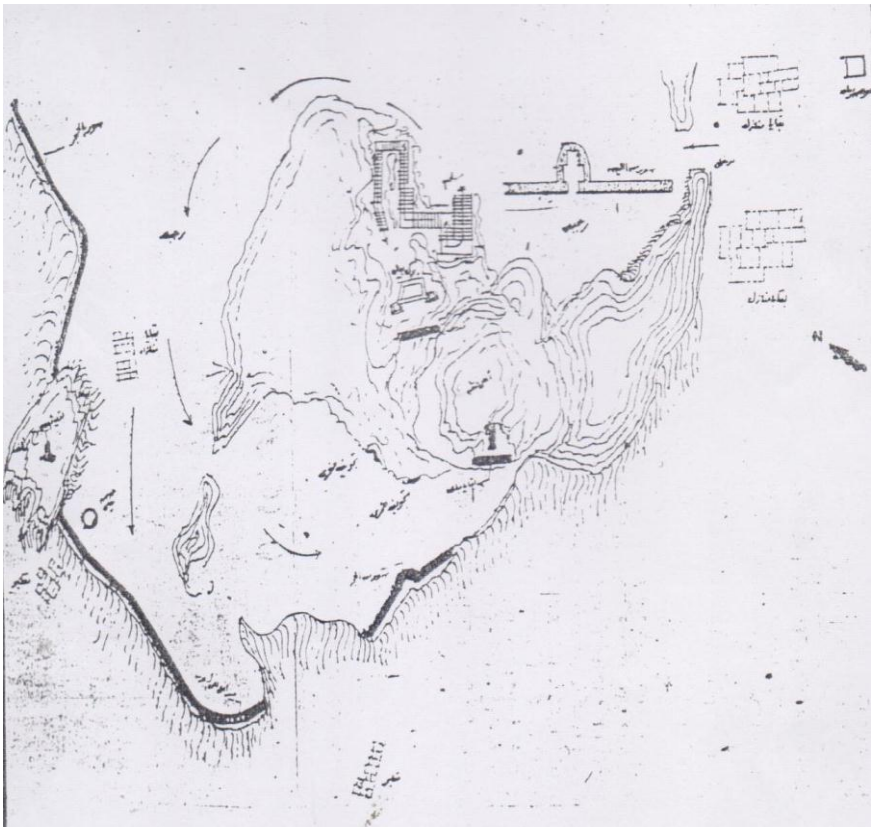

شكل (١): مخطط لحصن هران

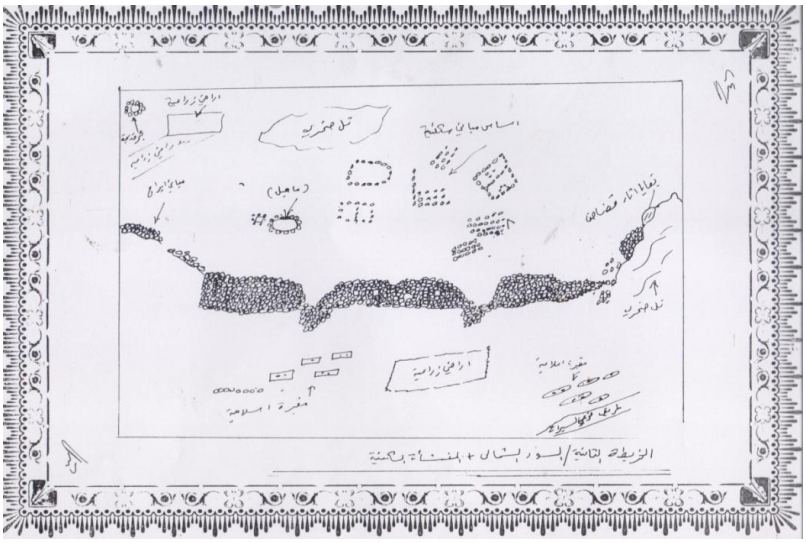

شكل (٢): السور الشمالي لحصن هران والمنشأة السكنية

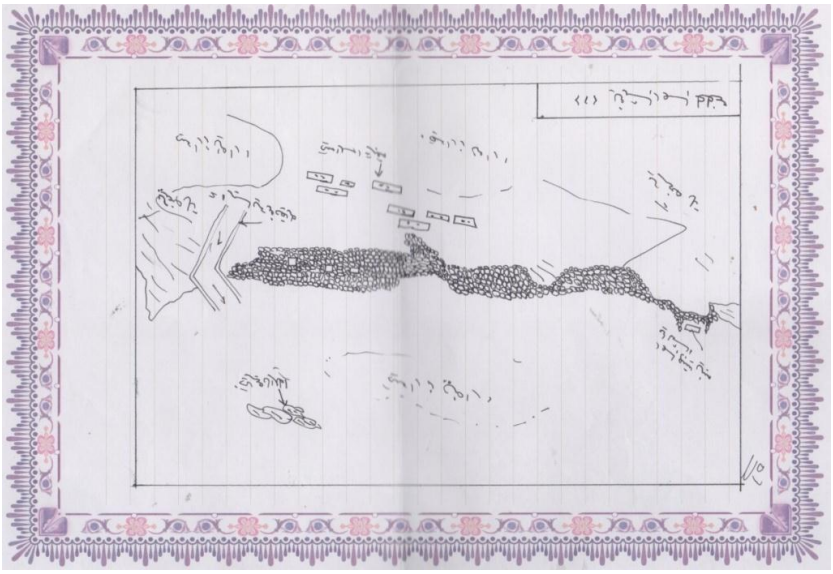

شكل (٣): مخطط السور الشرقي لحصن هران

الفصل الثالث
المساجد الأثرية في ذمار

بالإضافة إلى المساجد الجامعة في ذمار ومنها الجامع الكبير والمسجد المسي الجامع، فأنها تضم العديد من مساجد الفروض، ومن أهمها مسجد الأمير سنبل ومسجد دادية، كما ذكر الحجري المساجد بها، ومنها مسجد عمرو ومسجد الشيخ ومسجد فرح ومسجد عبيلة ومسجد الصديق أو **الرضوان**، الذي بناه إسماعيل بن يحيى الصديق، ومسجد دريب. كما تضم المدينة عدداً من المساجد التي ترجع إلى القرن ١٢هـ / ١٨م، ومنها مسجد لقمان الذي بناه سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م محمد بن قاسم لقمان المتوفى سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م، ومسجد الربوع الذي بناه أحمد بن مهدي الشبيبي سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، ومسجد الناصر[١]. وقد أجريت على الكثير منها بعض التوسيعات والإصلاحات، التي أفقدت بعضها الكثير من معالمها الأصلية.ونتناول فيما يلي أهم المساجد بذمار:

- **الجامع الكبير بذمار:**

من المساجد الأولى- ليس في اليمن فحسب- وإنما في العالم الإسلامي عامة. وكما ورد في "تاريخ صنعاء" للرازي فقد عَمُرَ بعد جامع صنعاء وقبل جامع الجَنَدْ. وقد اختلفت الروايات حول تاريخ بنائه على وجه التحديد، ولكنها لم تخرج عن كونه قد بني في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم – أو في عهد أبي بكر الصِدَّيق (رضي الله عنه) [٢].وعند حديث مؤيد العظم عن ذمار

(١) الحجري، القاضي محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج١، ص ص ٣٤٤ – ٣٤٥.إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج ٣، بيروت ١٩٩٥.

(٢) الحجري، القاضي محمد بن أحمد؛ مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج١، ص ٣٤١.

ذكر "شاهدت جامعاً كبيراً قيل أنه كان كنيسة لليهود ورأيت في جدران هذا الجامع أحجاراً ضخمة مكتوب عليها عبارات حِمْيَرية [1]. ولا يقتصر الأمر على جدران الجامع بل يوجد بين أحجار الضلع الغربي من قاعدة منارة الجامع أحجار منقوش عليها كتابات حميرية، وأخرى منقوش عليها اسم ثأران ملك سبأ وذو ريدان ابن ذمار علي، وكما ذكر الحسين بن فيض الله أن القاسم بن الحسين المتوفى في سنة ٣٧٤هـ/٩٨٥ – ٩٨٦م دفن في المسجد الجامع بذمار. ويوجد قبره في الركن الشمالي الشرقي من الرواق الجنوبي(ظلة المؤخر)[2].

التكوين المعماري للجامع الكبير:

يتبع الجامع التخطيط التقليدي للمساجد، حيث يتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة. ويحجب هذه الظلات عن الصحن أبواب خشبية تملأ فتحات العقود. وتتكون ظلة القبلة من أربعة أروقة تمتد موازية لجدار القبلة، تفصل بينها أربع بائكات من عقود نصف دائرية، تتكون كل منها من خمسة عشر عقداً ترتكز على أعمدة نحيلة من حجر الحبش، تعلوها تيجان متنوعة في أنماطها، مما يدل على تعدد مصادرها.

وتتكون كل من الظلة الشرقية والغربية من أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، تفصل بينها بائكات من عقود مدببة ونصف دائرية، تتكون كل منها من خمسة

(١) نزيه مؤيد العظم ؛ رحلة في بلاد العربية السعيدة، ج ١، ص ٢٨١.

(٢) فنستر، بربارة: حول بعض المباني الإسلامية في اليمن، تقارير أثرية من اليمن، ج ١، ترجمة عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، المعهد الألماني للآثار بصنعاء، ١٩٨٢م، هامش ١٨ ص ١٠٤.

عقود، ترتكز على أعمدة نحيلة من حجر الحبش. أما الظلة الجنوبية فأنها تتكون من رواقين تفصل بينهما بائكة مكونة من أربعة عقود نصف دائرية، ترتكز على أعمدة نحيلة من حجر الحبش، وتستخدم هذه الظلة مصلى للنساء (شكل ٤).

ويؤدي إلى الجامع خمس فتحات أبواب، اثنتان منها في الجدار الغربي، يتقدم كل منهما سقيفة مغطاة بقبة نصف كروية، كما يوجد فتحة باب في الجدار الجنوبي يتقدمها سقيفة مغطاة بقبة نصف كروية مماثلة للقبتين اللتين تغطيان المدخلين في الجدار الغربي. ويؤدي المدخل الجنوبي إلى الظلة الجنوبية المستخدمة مصلى للنساء. وترتكز القباب في الجهة الغربية والجنوبية على دعامات من حجر الحبش. وإلى جانب هذا المدخل البارز مدخل آخر غير بارز يدخل منه إلى الصحن وبقية ظلات المسجد (الشمالية والشرقية والغربية)، كما يوجد في الردهة التي تليه مدخل في الجهة الشرقية منها يؤدي إلى دورات المياه، ويوجد في جدار القبلة مدخل صغير مخصص لدخول الإمام.

ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف [١].وإلى الغرب من هذا المحراب يوجد رسم لمحراب مسطح محدد بإطار من زخارف جصية، يطلق عليه أهالي ذمار" محراب دحية" نسبة إلى دحية الكلبي، الذي تنسب إليه إحدى الروايات تأسيس

(١) أقدم محراب مجوف محدد التاريخ في اليمن هو محراب جامع العباس في أسناف خولان (٥١٩هـ/١١٢٦م)، إلا أنه من المحتمل أن تاريخ دخول هذا الطراز من المحاريب إلى اليمن كان بعد الزيادة التي حدثت لجامع صنعاء الكبير على أيدي الوليد بن عبد الملك(٨٧-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م). غيلان حمود غيلان ؛ محاريب صنعاء حتى أواخر القرن ١٢هـ/١٨م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٧٣.

الجامع. ويتخلل الجزء الأعلى من جدار القبلة خمس فتحات نوافذ مستطيلة متسعة، ثلاث منها في الجهة الشرقية من المحراب، واثنتان في الجهة الغربية منه، بينما يشغل الأجزاء السفلى من جدار القبلة خمس كتبيات اثنتان منها في الجهة الشرقية، وثلاث منها في الجهة الغربية من المحراب.

وبمقارنة التخطيط الحالي للجامع بما كان عليه قبل أعمال التجديد التي أجريت عقب زلزال شهر ديسمبر سنة ١٩٨٢م، تتضح عدة نقاط، وهي:

- أن ظلة القبلة تشغل مساحة مستطيلة أبعادها ٥٠,٥٠م×١١,٥٠م تتكون من أربعة أروقة تفصل بينها ثلاث بائكات كل منها من ستة عشر عقدًا موازيًا لجدار القبلة، بعضها نصف دائري وبعضها قليل التدبب، فيما عدا البلاطةالأخيرة في كل من الجهة الشرقية والغربية فإنها متعامدة عليه. ويتوسط جدار القبلة محراب معقود بعقد قليل التدبب يعلوه عقد مفصص [١]ثم عقد قليل التدبب محمول على عمودين[٢]، كما كان سقف ظلة القبلة من مصندقات خشبية، ويحجبها عن الصحن حجاب.ويتضح من ذلك أن أعمال إعادة البناء حافظت

(١) ظهر العقد المفصص في المحاريب اليمنية ومنها محراب قبة الفليحي (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) ومحراب المسجد الجديد، ومحراب مسجد الجلاء (١٠٩١هـ/١٦٨٠م). غيلان حمود غيلان ؛ محاريب صنعاء حتى أواخر القرن ١٢هـ/١٨م، ص ١٩٠.

(٢) من أمثلة عقود المحاريب المحمولة على عمودين في العمارة اليمنية محراب مسجد داود (ق ١٠هـ/١٦م) ومحراب مسجد الجلاء (١٠٩١هـ/١٦٨٠م). غيلان حمود غيلان ؛ محاريب صنعاء حتى أواخر القرن ١٢هـ/١٨م، ص ١٩١.

على المعالم الأصلية لتخطيط ظلة القبلة، وذلك من حيث عدد العقود والأعمدة المماثلة لما كانت من قبل.

- إن بائكات العقود في الظلتين الشرقية والغربية تمتد موازية لجدار القبلة، بينما كانت من قبل متعامدة على جدار القبلة، كما هو متبع في معظم بائكات المجنبات في مساجد بلاد العالم الإسلامي.
- كانت الظلة الغربية من سبعة أروقة، بينما تتكون حالياً من أربعة أروقة.
- إن عدد البائكات في الظلة الشرقية أربع بائكات كما كانت من قبل، وكانت محجوبة عن الظلة الشمالية بجدار، ويدخل منها إلى ظلة القبلة عبر فتحة باب في النهاية الغربية للجدار الشمالي لهذه الظلة، كما كان بها محراب مجوف به زخارف وآيات بخط النسخ، بينما هذه الظلة متصلة الآن بظلة القبلة. كما أن هذه الظلة الشرقية كانت محجوبة عن الصحن بجدار به فتحات أبواب ، أما الآن فهي محجوبة مثلها مثل الظلات الشمالية والغربية بحجاب من الخشب يملأ كامل فتحات العقود، تتخلله فتحات أبواب.
- يوجد في الناحية الغربية من الجدار الجنوبي للظلة الشرقية مدخل يؤدي إلى دورات المياه، كما كان من قبل حيث كان يوجد مدخل في هذه الناحية يؤدي إلى المطاهير.
- إن الجدار الغربي للجامع به فتحتي باب يتقدم كل منهما سقيفة مغطى بقبة نصف كروية، ترتكز على دعامات من حجر الحبش، ويوجد في هذا الجدار ست فتحات نوافذ. وإن كان وجود مدخلين في هذا الجدار

مطابق لما كان عليه قبل أعمال التجديد، إلا أن عدد فتحات النوافذ في هذا الجدار كانت أربع، وليست ست فتحات كما هي عليه الآن.

- وجود مدخل يتقدمه سقيفة في الجدار الجنوبي مطابق لما كان عليه من قبل، غير أن هذا المدخل كان يؤدي إلى ردهة أو فناء مكشوف يدخل منه إلى المطاهير أو دورات المياه، بينما يوجد الآن مدخل أخر إلى جانب المدخل الذي تتقدمه سقيفة، حيث يؤدي المدخل الذي تتقدمه سقيفة إلى الظلة الجنوبية، المخصصة مصلى للنساء، بينما يؤدي المدخل الذي بجواره إلى ردهة مسقوفة، يدخل من الجانب الأيمن منها إلى دورات المياه.
- -كانت تغطي الرواق الأول من الظلة الجنوبية من الجامع قبة ذات طاقات بها زخارف وكتابات كوفية[1]، بينما يغطيه الآن سقف مسطح.
- يوجد إلى الشرق من المحراب فتحة باب صغير لا يبرز عن سمت الحائط، وكان هذا الباب موجوداً قبل تجديد الجامع. ومثل هذا المدخل يخصص لدخول الخطيب أو والي أو حاكم المدينة، كما في الجامع الكبير بصنعاء.
- كانت الظلة الشرقية تشتمل على نص كتابي يتضمن اسم الأمير محمد بن الحسن بن القاسم، الذي تولى أمور مدينة ذمار في عهد المتوكل على الله إسماعيل ١٠٥٤-١٠٨٧هـ/١٦٤٤-١٦٧٧م، الذي

(١) ربيع القيسي، صباح الشكري: دراسة ميدانيية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، ص ٩٠.

كان هو وأخوه أحمد بن الحسن أعظم قادة الجيوش اليمنية في عهد المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم[١].

- كان للجامع منبر يرجح نسبته إلى النصف الثاني من القرن ٤هـ/ ١٠م، وهو بذلك واحد من أقدم المنابر الخشبية الباقية في العالم الإسلامي. ولم يكن له جوسق في البداية، كما هو الحال في جامع ذي أشرق ٤٢١هـ/١٠٢٨م، ومنبر جامع أروى بنت أحمد بجبلة ٤٩٢ – ٥٣٢هـ/ ١٠٩٩ – ١١٣٧م [٢]وكان المنبر محفوظاً بمكتب أوقاف ذمار، ومحفوظ حاليًا بمتحف ذمار الإقليمي (شكل ٥، ٦)

المنارة[٣]:

تقع في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد، منفصلة عن كتلة البناء.

وتتكون من قاعدة مربعة القطاع مبنية بالحجر، ويوجد بين أحجار الجدار الغربي منها بعض الأحجار عليها نقوش يمنية قديمة بخط المسند. كما يتخلل جدران هذه القاعدة فتحات ضيقة مستطيلة على ارتفاعات مختلفة تستخدم للإضاءة والتهوية. وتنتهي جدران القاعدة بدلَّايات من الآجر، تعلوها شرافات من الآجر. ويرتكز على القاعدة بدن أسطواني، وتتوسط شرفة المؤذن" الحوض" المستديرة والتي يزخرفها زخارف هندسية عبارة عن أشكال معينات

(١) انظر، مصطفى عبد الله شيحة ؛ مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، ط ١، مكتبة سكرين، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ص ٥٣–٥٥.

(٢) للمزيد عن هذا المنبر انظر، ربيع حامد خليفة: منبر خشبي نادر في الجامع الكبير في مدينة ذمار، مجلة الإكليل، ع ١، السنة السادسة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ص ١٠٢ – ١١٠.

(٣) عن كلمة منارة انظر، محمود إبراهيم حسين: المآذن اليمنية، دار الثقافة العربية، د. ت، ؟ ص ٥.

متداخلة.أما البدن الأسطواني فإنه مقسم إلى أقسام بواسطة خطوط رأسية. وقد وزعت على امتداد البدن زخارف متنوعة عبارة عن معينات متتالية وأشكال خطوط متكسرة، بينما تشتمل أقسام أخرى على أشكال أوراق نباتية في أوضاع مختلفة تنبثق من سيقان طويلة. وينتهي البدن بست فتحات مستطيلة معقودة، تعلوها شرافات متدرجة تحيط بالقُبَيبة المضلعة التي تتوج المنارة (لوحة ١٣).

وتجمع هذه المنارة مثل معظم المآذن اليمنية مادتي بناء وهما الحجر في القاعدة، والآجر "الطابوق" في الأجزاء العليا، بالإضافة إلى استخدام الجص في إعداد الزخارف.كما يلاحظ التأثر بطراز المآذن في بلاد المغرب والأندلس، وذلك في زخرفة البدن بأشكال معينات متتالية أو متداخلة، وتغطية قمتها بقُبَيبة ظاهرها مضلع، المتأثرة بدورها بالقباب البيزنطية المضلعة.

ومن المرجح أن عمارة هذه المنارة ترجع إلى أعمال الإصلاح والتجديد التي تمت في عهد الإمام محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد، الذي توفي في ليلة الخميس ٨ ربيع الأول سنة ١٠٧٩هـ / ١٦٦٩م، وقبره مشهور عليه قبة فاخرة، حيث قام في سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م بأعمال تجديد، كانت الكتابات الأثرية المدونة على الجدار الجنوبي من الظلة الغربية، تتضمن نصاً يشير إليها، وشملت توسيع جامع ذمار من غربيه قدر الثلث، وعمارة المنارة بعد هدمها [١]. كما جددت المنارة في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم. وعندما أعيد بناء الجامع عقب الزلزال الذي تعرضت له مدينة ذمار في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٨٢م، جددت المنارة.

(١) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله: تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ٢٣٨. مصطفى عبد الله شيحة ؛ مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، ص٥٥.

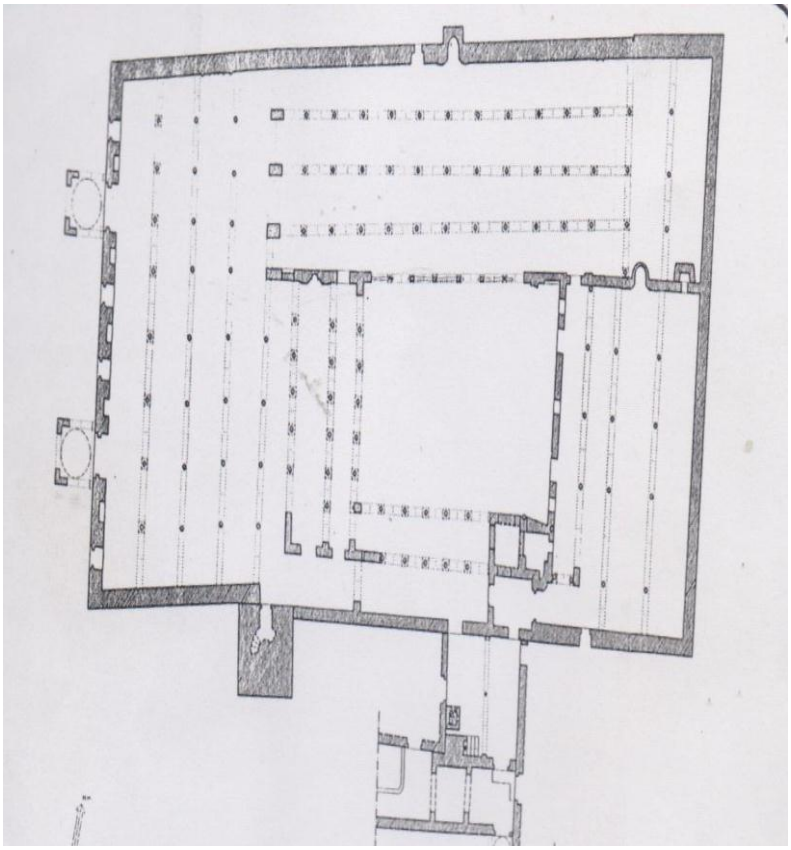

شكل (٤): مسقط أفقي لجامع ذمار الكبير

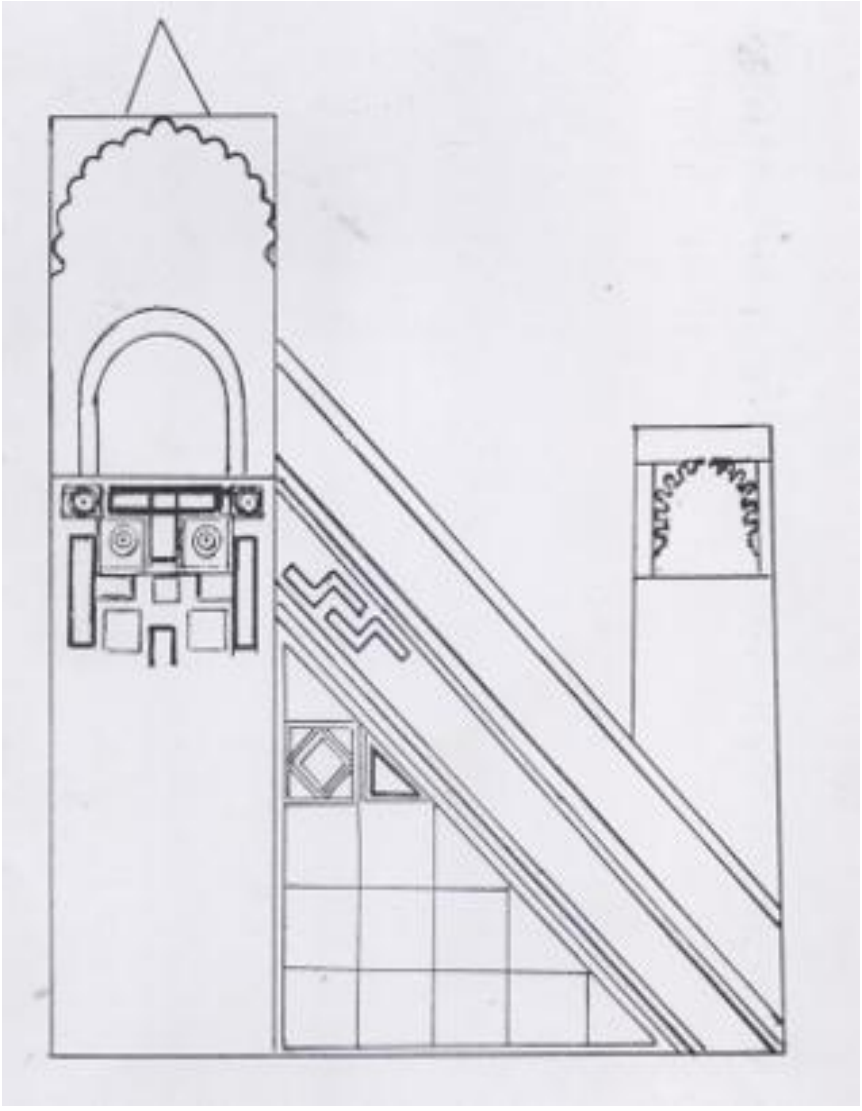

شكل (٥): رسم تخطيطي لمنبر جامع ذمار الكبير

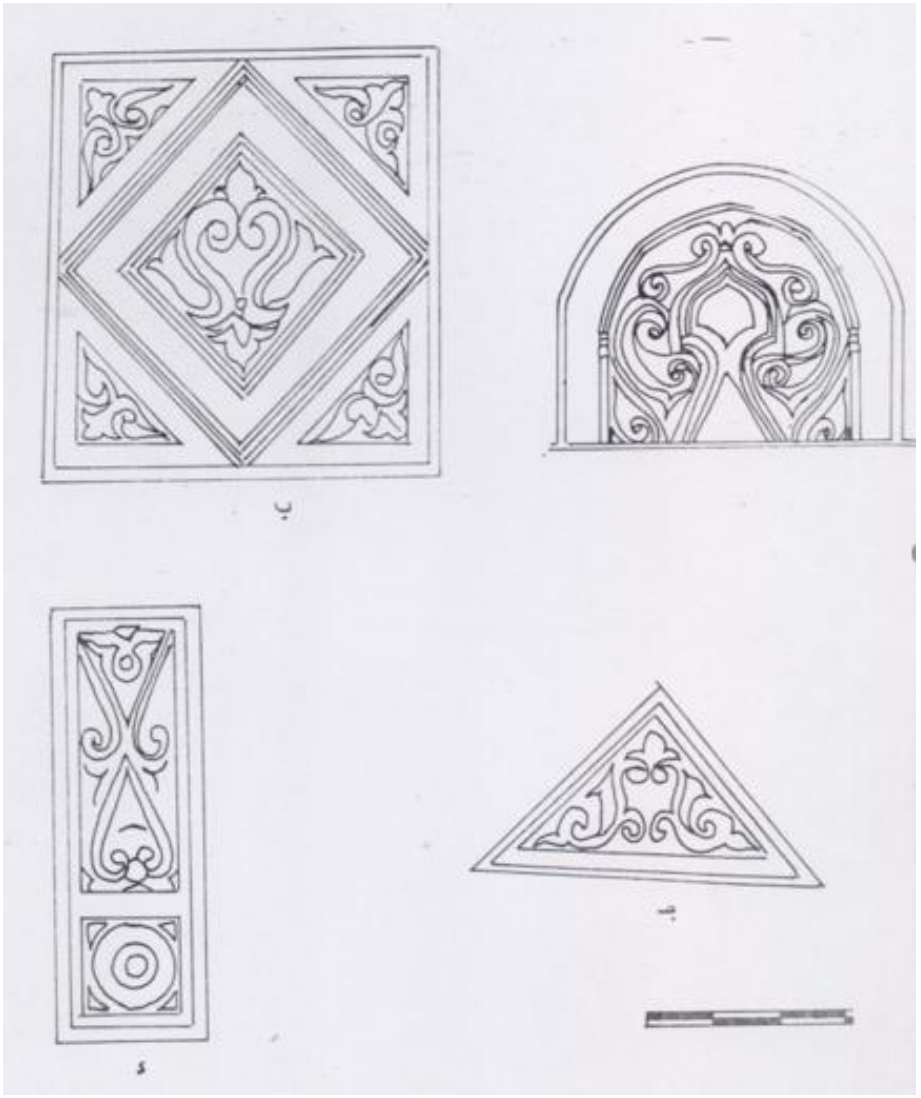

شكل (٦): نماذج من الوحدات الزخرفية في حشوات منبر جامع ذمار الكبير

جامع الصلاحي:

كما هو الحال بالنسبة للكثير من العمائر الإسلامية في اليمن، فإن المصادر التاريخية لا تمدنا بالمعلومات الكافية عن جامع الصلاحي، لكن عندما ذكر الحجري مساجد ذمار، ذكر ومنها مسجد السيد صلاح[١].، ومن المرجح أنه الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي، الذي ولد سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٩م، وتوفي سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م ، وتولى الإمامة بعد سقوط التكليف عن الإمام المهدي علي بن محمد بسبب مرضه سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م. وقد قاد كثيرًا من الحروب، ومنها حصاره لصنعاء سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٤م، وحروبه في تهامة سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٦م، التي أدت إلى أسر ابن حباجر قائد جند بني رسول[٢]. وكانت أسرة الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي تهتم بأعمال التشييد والبناء؛ فقد بنيت زوجته فاطمة بنت الأسد بن إبراهيم بن أبي الهيجاءالكردية الأصل، والتي كانت من أعيان ذمار مسجد الأبهر في صنعاء، واستقدمت عمالًا من خارج اليمن، نفذوا زخارفه على طراز زخارف الجامع الكبير في صنعاء[٣]. كما شيد والدها مسجد الأسد بمدينة ذمار[٤].

---

(١) الحجري، القاضي محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج١، ص ص ٣٤٤ – ٣٤٥.

(٢)الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله:: تاريخ اليمن المسمى طبق الحلوى، ص ١٨٧.

(٣) الحبشي، عبد الله محمد: مصادر الفكر العربي الإسلامي، ص ص ٥٧٧ – ٥٧٨.

(٤)الطالبي، الحسن بن الحسين بن حيدرا إسماعيل القاسمي الحسني: ت ١٢٢١هـ: مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهلها الأمصار، تحقيق عبد الله بن عبد الله الحوثي، ط ١، دار الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٢٥.

المسجد والضريح:

أعيد بناء جامع الصلاحي والضريح الملحق به سنة ١٠١٠هـ /١٥٩٩ – ١٦٠٠م. وفي شهري يونيو ويوليو سنة ١٩٢٨م قصفت الطائرات الإنجليزية تعز وذمار وغيرهما من المدن اليمنية [١]، وأصابت القذائف الجامع، وأعيد بناؤه، وكان أخر أعمال التجديد والبناء سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م. ويوجد إلى جانب الجدار الجنوبي لبيت الصلاة قبر يرتفع قليلاً عن أرضية الصحن، يقال أنه قبر المنشئ، كما يقال أنه كانت عليه تركيبة خشبية، كانت موضوعة داخل ضريح تغطيه قبة.

المنارة:

إن وجود منارة عظيمة هو ما حفزنا لتسمية هذا الأثر "جامع"، حيث أن المنارة من المكونات المعمارية للمساجد الجامعة دون المساجد الصغيرة.

وتعد منارة جامع الصلاحي أقدم منارة باقية بذمار، ومن أقدم المآذن الباقية في اليمن، حيث أنه من المرجح أنها ترجع إلى تاريخ بناء الجامع الأصلي في النصف الثاني من القرن ٨هـ / ١٤م. وتوجد المنارة في الجهة الشمالية الشرقية من صحن المسجد الحالي. وتتكون من قاعدة مربعة القطاع، تنتهي بشرفة مربعة أيضاً، تبرز عن سمت جدران القاعدة، لكنها لا تستند على كوابيل أو مقرنصات، ولكن عن طريق إنفراج في أعلى القاعدة. ويزخرف جدران الشرفة شكل بائكة من خمسة عقود صماء بارزة، ويمتد من الشرفة بدن إسطواني مسحوب إلى أعلى ينتهي بشرفة مستديرة تستند على مقرنصات، مكونة من

(١) البيحاني، محمد بن سالم: أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، القسم الثاني، مصر، د. ت، هامش ص ص ٤٢٧–٤٢٨.

حطات من الآجر على شكل مسنن. ويزخرف الجزء الأعلى من هذا الطابق من بدن المئذنة زخرفة عبارة عن تخويصات بارزة من الآجر تمتد رأسياً، يعلوها شريط زخرفي يشتمل على بقايا كتابات مطموسة على أرضية من زخارف نباتية. ولا تزال أثار القصف المدفعي الذي تعرضت له مئذنة المسجد الصلاحي سنة ١٩٢٨م ظاهرة على الجزء الجنوبي من بدن هذا الطابق.

أما الطابق الثاني من البدن فأنه اسطواني أيضاً لكنه أقل ارتفاعاً عن الأول، وفتحت في الجزء الأعلى منه فتحات نوافذ معقودة، ويتوج المنارة قبيبة نصف كروية صغيرة (لوحة ١٤). وكما هو متبع في المآذن اليمنية فإن القاعدة مبنية من الحجر، بينما بقية طوابق المئذنة من الآجر. وتشبه مئذنة جامع الصلاحي مئذنة جامع ظفار ذي بين التي ترجع إلى النصف الثاني من القرن ٧هـ / ١٣م، من حيث القاعدة المربعة والبدن الاسطواني وبائكات العقود الصماء التي تزخرف أجزاء منها[١].ومما يجدر ذكره أن مثل تلك البائكات الصماء تعد من أشكال الزخرفة التي شاعت في زخرفة الأجزاء السفلى من أبدان المآذن وبواطنحنايا وأعلى المحاريب في بلاد المغرب والأندلس. وإن كانت منارة جامع الصلاحي تنفرد بين منارات جوامع ذمار باشتمالها على شرفتين للآذان، إلا أن هناك منارات في أماكن مختلفة من اليمن تشتمل على شرفتين، ومن ذلك– على سبيل المثال– منارتي المدرسة الأشرفية في تعز، التي أنشأها الأشرف إسماعيل بن الأفضل بن المجاهد الرسولي سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م.

(١) عن مئذنة جامع ظفار ذي بين انظر، فنستر، بربارة: تقارير أثرية من اليمن، ج ١، ص ٩٩

المسجد الشمسي الجامع:

الدراسة الوصفية:

يقع المسجد " الشمسي الجامع في موقع متوسط من مدينة ذمار القديمة في حي الجراجيش، ويحده من الشمال سوق الربوع، ومن الجنوب حارة الجراجيش، ومن الشرق سوق المجن، ومن الغرب مكتب أوقاف ذمار .ويشغل المسجد وملحقاته حيزاً غير منتظم الأضلاع، يبلغ أكبر طول له ٨٠,٧٠م، بينما أكبر عرض ٧٠,٤٠م (شكل 7) ويحدد هذه المساحة سور مبني في كل من الناحية الشمالية والغربية من حجر الحبش. أما الجهة الجنوبية والشرقية فإنهما من الآجر، والسور مغطى بطبقة من القضاض. وتتخلل هذا السور خمس فتحات أبواب، ثلاثة في الجهة الجنوبية، ومدخل في الجهة الشرقية، ومدخل في الجهة الشمالية الغربية. وتخلو الواجهات الخارجية للسور من أي زخارف أو عناصر معمارية متميزة.وتشتمل المنشأة على عدد من الوحدات المعمارية، أهمها بيت الصلاة ومنازل الطلبة والمئذنة والمطاهير والصحن الذي تتوزع حوله هذه الوحدات (شكل 7، لوحة15).

١- بيت الصلاة:

يشغل مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها من الخارج ٢٢م×١٧م، أما داخل بيت الصلاة فإن أبعاده ٢٠,٢٠م× ١٥، ٦٠م، ويدل هذا على سمك الجدران الذي يتراوح ما بين ١.٨٠م إلى ٢م. ويؤدي إلى بيت الصلاة ثلاث فتحات أبواب، باب في الجهة الشرقية (شكل 8)، وفتحتي باب في الجهة الغربية، وفتحة باب في الجهة الجنوبية. ويتقدم الباب في الجهة الشرقية سقيفة ترتكز على الجدار وعمودين، مكونة مساحة مربعة تغطيها قبة نصف كروية (شكل 8، لوحة 16)

كما يتخلل جدران بيت الصلاة اثنتي عشرة نافذة، سبع منها في الجدار الجنوبي المقابل لجدار القبلة (شكل 9)، وثلاث في الجدار الشرقي، واثنتان في الجدار الغربي. ويتراوح اتساع هذه النوافذ ما بين ٠,٧٠م×٠,٩٠م. وجميع فتحات الأبواب والنوافذ محددة من أعلى بأسكفة " أعتاب "مستقيمة من الخشب. وينقسم بيت الصلاة من الداخل إلى خمسة أروقة موازية لجدار القبلة، تفصل بينها أربع بوائك من عقود، تتكون كل منها من سبعة عقود مدببة ترتكز على ستة أعمدة من حجر الحبش الأسود (شكل 7)، وترتكز أرجل العقود على أبدان الأعمدة مباشرة وليس على تيجان.ويتوسط المحراب جدار القبلة، ويتكون مثل معظم المحاريب اليمنية من مستويين متدرجين في الإتساع، الخارجي منهما من عقد مدبب محدد بزخارف جصية مفرغة، أما الداخلي فإنه عبارة عن حنية معقودة بعقد حدوة فرس، يرتكز على عمودين ذوي تيجان مزخرفة بزخارف هندسية (لوحة 17). ويبلغ اتساع حنية المحراب ١,١٠م، بينما يبلغ عمقها ١,٣٠م. ويزين تجويف المحراب أشرطة من كتابات، أخفت أعمال الطلاء المتتالية معظم معالمها، ولم يتبق ظاهراً إلى حد ما إلا بعضها، ومنها:"لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله والخمس صلوات لله والحسن والحسين صفوات الله" كما نقشت في تجويف المحراب سورة الإخلاص (لوحة 18). أما طاقية المحراب فإنها مزخرفة بزخارف جصية من أوراق نباتية تتخللها أشكال أهلَّة وأشكال مراوح نخيلية. كما يحيط بكتلة المحراب زخارف جصية عبارة عن زخرفة الترس، ويحيط بالمحراب إطار من كتابات قرآنية منفذة بالخط الكوفي (اللوحات19 ، 20, 21, 22).

وتمتد على طول جدار القبلة زخارف جصية عبارة عن كتابات تبدأ من الطرف الشرقي بكلمات " أمر ببناء هذا المسجد والجامع المقدس "، كما

تتضمن آية الكرسي على أرضية من زخارف نباتية. ويحدد الشريط من أعلى وأسفل إطار ضيق مكون من جفت ينعقد في شكل معينين، وتتوزع على امتداد الشريط جامات مستديرة محددة بإطار على شكل جفت ينعقد في أشكال معينات. ويزخرف داخل الجامة زخارف مورقة "أرابيسك" عبارة عن خطوط منحنية ومتداخلة ينتج عن تداخلها مناطق بيضاوية تحصر بداخلها ورقتين رمحيتين، بينما يتوسط الجامة شكل مسدسين متقاطعين. ويعلو كل جامة من هذه الجامات المستديرة شكل كُمَّثري ينتهي بشكل ورقة ثلاثية، ويزخرف داخل الشكل الكمَّثري زخارف هندسية عبارة عن نجوم سداسية تخرج منها خطوط متقاطعة (لوحة21).

ويشتمل الجزء الأعلى من جدران بيت الصلاة على شريط كتابي منفذ بخط الثلث، يتضمن آيات قرآنية، كما يشتمل في الناحية الشرقية على تاريخ البناء وهو "شهر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وتسعمائة" وتاريخ الانتهاء من البناء وهو "شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وتسعمائة" (لوحة 23)، وتضمن الشريط الأوسط من تلك الكتابة أسماء المشرفين على البناء أحدهما لقبه " الطويلي والثاني الجعدي. ويعد هذا الأسلوب في كتابة النصوص التأسيسية حول جدران المسجد من الداخل من أكثر الأساليب انتشاراً في العمائر اليمنية منذ القرن ٩هـ/١٥م[١].

(١) للمزيد من الأمثلة انظر، ربيع حامد خليفة: النصوص التأسيسية وأهميتها في دراسة العمائر اليمنية الإسلامية، مجلة كلية الآداب جامعة إلمنيا، ع ١، مج ٢، يناير ١٩٩٢م، ص ٢٥٢.

وقد استخدم في بناء بيت الصلاة حجر الحبش الأسود، وطليت الجدران من الداخل بالجص، أما من الخارج فقد طليت بالقضاض. ويتكون السقف من براطيم ضخمة من الخشب مطلية بالجص. ويخلو السقف من الزخارف فيما عدا سقف تربيعة المحراب التي تشتمل على زخارف متنوعة موزعة داخل أشرطة بعضها عبارة عن جفت ينعقد في ميمات دائرية، تشتمل كل منها على شكل وريدة مروحية أو ورقة نباتية مفرغة، وبعضها عبارة عن أشرطة يحددها من أعلى وأسفل خط متموج ينتج عن تموجه مناطق شبه دائرية تضم كل منها ورقة نباتية خماسية محورة، بينما يشغل المساحة الوسطى زخارف مجدولة. ويتوزع على طول الشريط مناطق مستديرة متسعة بعرض الشريط يتوسطها شكل وريدة مروحية، تلتف حولها مناطق دائرية صغيرة بداخل كل منها ورقة نباتية خماسية محورة (لوحة24).ويوجد ببيت الصلاة منبر حديث الصنع، مصنوع من خشب الساج الهندي، يرجع إلى سنة ١٩٨٠م.

بيوت الطلبة "المنازل":

توجد بيوت الطلبة "المنازل" ملاصقة للسور الخارجي للمنشأة، وذلك من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية والجهة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، ويفصل بينها وبين بيت الصلاة الصحن المكشوف (شكل 7). وتتكون كل منزلة من طابقين، الأول منهما مبني من حجر الحبش، بينما الطابق الأعلى من الآجر واللبن، ويصعد إليه عن طريق درج حجري داخلي، بينما يصعد إلى الطابق الأعلى بالمنازل التي بالجهة الشمالية بواسطة درج خارجي في الصحن (لوحة 25). وتتكون كل منزلة من حجرة واحدة في كل طابق عبارة عن مساحة مستطيلة تخصص لأكثر من طالب، ويتخلل بعض المنازل فتحات نوافذ

للإضاءة والتهوية، بينما تخلو بعضها من النوافذ (اللوحات 25، 26، 27، 28، 29). ولا يلحق بالمنازل مرافق خاصة بها من دورات مياه أو مطابخ، حيث أن المقيمين بها يستعملون دورات المياه والمطاهر الخاصة بالمسجد، كما كانت العادة أن يُقَدَّم الطعام للطلاب من أهل المدينة، فقد ذكر "الحجري" أن أهل ذمار يحبون من هاجر إليهم من طلبة العلم ويقررون للفقراء منهم كفايتهم من الزاد[١]، فقد كان أهل العلم مقدرون لدى أهل اليمن بصفة عامة ، فكان محرمًا بين القبائل الإعتداء على أماكن العلم " الهِجَر "[٢]وكانت هذه المنازل تعرف بأسماء أُسر تتوارثها مثل بيت الشامي وبيت الأشول من خبان، وبيت الشبيبي من آنس وبيت الجرموزي من عُتمة[٣]. وقد تهدمت المنازل التي في الناحية الجنوبية الغربية نتيجة الزلزال الذي تعرضت له المدينة في شهر ديسمبر سنة ١٩٨٢م، وأقيمت مكانها ميضاءة حديثة.

المنارة:

تتكون من قاعدة مربعة القطاع مبنية من حجر الحبش، يبلغ طول ضلعها من أسفل ٤.٨٠ م، بينما تنحسر الجدران قليلاً إلى الداخل كلما ارتفعت. ويبلغ ارتفاع القاعدة حتى نهاية الشرافات المسننة التي تتوج النهايات العليا للقاعدة ١١,٥٥م، ويفتح في الضلع الغربي لقاعدة المئذنة مدخل معقود يؤدي إلى داخل المئذنة حيث يوجد درج يؤدي إلى بقية طوابقها، وحليى الجزء الأعلى من

(١) الحجري، القاضي محمد بن أحمد ؛ مجموع بلدان اليمن وقبائله، ص ٣٤٥.

(٢) عبد الرحمن الحضرمي: مدينة السلام – صعدة، مجلة اليمن الجديد، يونيو، ١٩٨٦م، ص ١١٥.

(٣)إسماعيل بن علي الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، منشورات جامعة صنعاء1 ، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص ص ٢٦٨ – ٢٦٩.

القاعدة بزخارف عبارة عن قطع من الآجر موضوعة بشكل تبادلي بحيث ينتج عنها أشكال دلايات بسيطة التكوين. ويعلو القاعدة بدن متعدد الأضلاع يبلغ ارتفاعه حتى بداية "الحوض" شرفة المؤذن ٥,٨٠م، وينتهي هذا الطابق بزخارف من قطع الآجر تشكل قاعدة للشرفة المستديرة. أما سياج الحوض "الشرفة" فإنه مزخرف بزخارف من قطع الآجر المطلي بالجص، تكوَّن زخارف هندسية عبارة عن خطوط متقاطعة. وتنقسم الدورة الثانية للبدن إلى جزئين السفلي منهما إسطواني يعلوه جزء مثمن يتخلل كل ضلع من أضلاعه فتحة نافذة. وتنتهي هذه الدورة من المنارة بزخارف من قطع الآجر المرتبة رؤوسها بشكل تبادلي.ويبلغ الارتفاع الكلي للمنارة حتى قمتها ٢٤,٤٥م. وتتوج المنارة قبة نصف كروية، أضيفت بعد أن سقطت قمة المنارة بفعل زلزال شهر ديسمبر سنة ١٩٨٢م (لوحة 30). وقد تولى مكتب أوقاف ذمار ترميم المنارة، وكشفت أعمال الترميم عن لوحة مثبَّتة على الجدار الشرقي لقاعدة المئذنة، الموجودة في أحد المحال الكائنة بجوار المنارة والموقوفة على الجامع، عليها كتابات تشير إلى أن المنارة بنيت في عهد الوالي محمد علي باشا سنة ١١٥٥هـ(١٧٤٢م)[١].

الميضاءة والمطاهر:

يشتمل المسجد الشمسي الجامع على ثلاث مجموعات من المطاهر، موزعة في الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية (شكل7). وتعد المطاهر الشمالية أهمها حيث أنها أقدمها، وترجع إلى تاريخ بناء المسجد، إلا بعض التجديدات التي طرأت عليها. وتوجد المطاهر الشمالية خلف جدار القبلة، وهي عبارة عن

(١) إسماعيل بن علي الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص ٢٦٩.

مساحة مستطيلة أبعادها من الداخل ١٥.٩٠م×٩م، بينما أبعادها من الخارج ١٦,٩٠م×١٠,٥٠م. ويؤدي إليها باب في الصحن الغربي يُدخل منه إلى ممر مسقوف ممتد من الجنوب إلى الشمال ثم ينكسر نحو الشرق (لوحة 31)، وباب في الجهة الشمالية الغربية يؤدي من الشارع إلى داخل المطاهر مباشرة. وتتكون كتلة المطاهر من ممر أوسط بعرض ٣م، على ثلاثة جوانب منه المطاهر التي يدخل إليها عن طريق فتحات معقودة، ويبلغ عدد المطاهر ثلاث عشرة مطهرة؛ أربع في الجهة الشمالية، وثلاث في الجهة الغربية، وست في الجهة الشرقية، بينما يشغل الجانب الجنوبي الغربي حوض ماء. ويخرج من هذه الناحية إلى ممر منكسر مسقوف يُدْخَل منه إلى بيت الصلاة (شكل7، اللوحات 32، 33، 34).ويعد هذا الممر الذي ينتقل عبره المتوضئ إلى بيت الصلاة دون التعرض للأمطار أو حرارة الشمس من الظواهر المعمارية التي تتميز بها هذه المنشأة.ويوجد في مسجد المذهب في صنعاء، الذي يرجع إلى العصر العثماني مدخل في الناحية الشرقية يؤدي مباشرة إلى المطاهر والمراحيض.أما المطاهر الجنوبية فإنها تشغل مساحة مستطيلة أبعادها ١٥,٥٠م×١٢م وتغطيها ثلاث قباب قطاعها مدبب (لوحة 34). وهذه المطاهر حديثة ومقامة مكان بيوت الطلبة "المنازل" التي تهدمت على أثر زلزال عام ١٩٨٢م. وتتكون المطاهر الشرقية من أربع مطاهر، اثنتان منها مجددتان بواسطة مكتب أوقاف ذمار، ويؤدي إليها مدخلان، مدخل في الجهة الشرقية والآخر في الجهة الشمالية. ويتوسط أرضية هذه الميضاءة بئر ماء، ترفع منه المياه بواسطة ساقية إلى المقشامة التي كانت ملحقة بالمسجد، وأقيم مكانها الآن مكتب أوقاف ذمار.ومن الملاحظ كثرة المطاهر في المنشأة وهي ظاهرة تتميز بها المساجد اليمنية بشكل عام. كما توجد هذه الظاهرة في مساجد ظفار

بسلطنة عمان، وتسمى المطاهر "المقالد"، وتكون في الجهة المقابلة لجهة القبلة، وتضم بئراً وأحواضًا.

الدراسة التحليلية:

١- المسمى:

تطلق كلمة "مدرسة" على المكان الذي يضم بيوتًا للطلبة، ورواتب وجريات دارة عليهم، وعلى من يقوم بالتدريس فيها) [١]. ويعرف المسجد الشمسي الجامع بين أهل ذمار والأوساط العلمية التي تعرضت له بالذكر أو بالدراسة بالمدرسة الشمسية، نسبة إلى الأمير شمس الدين بن الأمير شرف الدين الذي تنسب إليه المدرسة الشمسية في كوكبان أيضاً. إلا أن المدارس الشمسية في اليمن ليست قاصرة على تلك المدارس التي تنسب إلى الأمير شمس الدين ابن الأمير شرف الدين؛إذ يوجد بمدينة إب مدرسة شمسية نسبة إلى الأمير شمس الدين أبو بكر بن فيروز الذي شيدها في العصر الرسولي، وكذلك المدرسة الشمسية في زبيد التي صارت تعرف بالغضينة بعد أن جددها محمد بن أحمد بن عبد الله الغضين سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م)[٢].

أما عن سبب شيوع مسمى مدرسة على المسجد الشمسي الجامع بذمار، فإن ذلك يرجع إلى أن مسمى مدرسة أطلق على بعض المنشآت التي أقامها الأئمة، نظرًا لشيوع هذه التسمية، وإن لم تكن في حقيقتها غير مساجد، ولم تدخل في

(١) معروف ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ج ١، بغداد، ١٩٦٥م، ص ١١٠ ح ١٥.

(٢)عبد الرحمن الحضرمي: مدينة زبيد في التاريخ، مجلة الإكليل، العدد الأول، السنة الأولى، يناير ١٩٨٠م، ص ١٠٤.

نطاق المدارس من الناحية المعمارية.وقد أطلق البعض على بعض مساجد مدينة زبيد مسمى " المدارس الصغرى "، على الرغم من أنها لا تشتمل إلا على مكونات المساجد، حيث تتكون من بيت صلاة يتقدمه صحن مكشوف، وبعض الملحقات كالمطاهر والمراحيض والبِركْ. ومن أمثلة ذلك المدرسة الياقوتية، التي أنشأتها زوجة الملك الظاهر يحيي بن الملك الأشرف الرسولي المتوفاة بعد سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦-١٤٣٧م. وينطبق ذلك أيضاً على المدرسة المظفرية في تعز التي أنشأها المظفر بن عمر بن علي بن رسول سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧م، حيث أن تخطيطها وعناصرها المعمارية يتبع نظام مسجد جامع وليس مدرسة)[١].

ومما يجدر ذكره أن مثل هذا الخلط في مسميات المنشآت المعمارية وجد في معظم بلدان العالم الإسلامي نظراً لتعدد وظائف هذه المنشآت خاصة المدرسة والجامع[٢].ومما أدى إلى ذلك الخلط في المسمى، أن التدريس في الجوامع كان أمرًا معمولًا به في اليمن، فقد رتب السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس الغساني الرسولي، في سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م بجامع المملاح ستة مدرسين ، مقرئ للسبع ومُحَدِّث ومدرسان شافعي وحنفي، ومدرسان في النحو والفرائض،

(١) عن هذه المدارس انظر، مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، ص ٩٤ وما بعدها.

(٢) للمزيد انظر، محمد حمزة إسماعيل الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ، تاريخ المصريين ٥١، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٩١م، ص ص ٢٦٩ – ٣٨٦.

ورتب فيها إمامًا ومؤذنين وقيِّمين وخطيبًا، ومُعَلِمًا وأيتامًا يتعلمون القرآن، وشيخًا صوفيًا[1].

وقد اعتمدنا في تسمية المنشأة– التي نحن بصددها –بالمسجد الشمسي الجامع على عدة اعتبارات منها:–

أ– النص التأسيسي:بما أن النص التأسيسي هو المعول عليه في تسمية المنشأة، حتى ولو تعددت الوظائف بها بجانب وظيفتها الأساسية أو بدونها فإنه من خلال بقايا كتابات متآكلة منفذة بالقضاض في شريط ممتد على الجدار الشرقي من الخارج لبيت الصلاة أمكن بصعوبة قراءة كلمتي "المسجد الشمسي" كما تمتد على طول جدار القبلة زخارف جصية عبارة عن كتابات تبدأ من الطرف الشرقي بكلمات " أمر ببناء هذا المسجد والجامع المقدس "، وفي ذلك دلالة على أن المنشأة قد أنشئت في الأساس مسجدًا جامعًا وليست مدرسة.

ب – أن المنشأة تضم منارة ومنبر، وإن كانت الكثير من مدارس شرق العالم الإسلامي، والنادر جداً من مدارس غرب العالم الإسلامي، تشتمل على هذين العنصرين، إلا أنهما من المكونات الأساسية للمساجد الجامعة.

٢– التخطيط:

– إن كانت المدارس اليمنية قد اتخذت نمطًا متميزًا من التخطيط والوحدات المعمارية التي تشتمل عليها، فإن تخطيط المنشأة التي نحن بصددها يختلف عن تخطيط المدارس في اليمن في العصر الأيوبي والرسولي

(١)الديبع ، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، القسم الثاني، ص ص ١١٠ – ١١١.

والطاهري والعصر العثماني، سواء كان ذلك من حيث طريقة تقسيم وتغطية بيت الصلاة، حيث كانت معظم بيوت الصلاة في المدارس اليمنية تغطى بقباب أو قبة واحدة أو أقبية تمتد متعامدة على جدار القبلة، أو من حيث عدم وجود الأروقة التي تحيط بالصحن، حيث أن المتبع في تخطيط المدارس اليمنية أن تحيط بالفناء أروقة من جهاته الأربع، تتكون كل منها من بائكة واحدة تفتح عليه بعقود محمولة على أعمدة أو دعامات، كما في المدرسة المعتبية والظاهرية في تعز والعامرية في رداع والعامرية في جُبَن، أو أن يحيط بالفناء أروقة من ثلاث جهات، كما في المدرسة المظفرية في تعز. ومن المكونات المعمارية للمدارس اليمنية قاعات إيواء الطلاب، والمعلامة" الكتَّاب" لتعليم الأيتام، وضريح للمنشئ ومدفن أو أكثر، ففي المدرسة الأشرفية في تعز ثلاثة مواضع لدفن الموتى "[1].

ونظراً لأن بيوت الطلبة تعد من أهم الوحدات المعمارية التي يجب وجودها في المدرسة، وذلك لضمان عدم انقطاع الطلبة عن الدراسة، ولم يطلق مصطلح مدرسة إلا على المكان الذي يضم بيوتاً للطلبة ورواتب وجرايات دارة عليهم، وعلى من يقوم بالتدريس فيها لذلك فإن المسجد الشمسي قد يكون قد اكتسب صفة المدرسة بعد إضافة بيوت الطلبة "المنازل" على جوانب الصحن، في تاريخ لاحق لبناء المسجد. كما كان أهل ذمار يقررون للفقراء منهم كفايتهم من الزاد.ولكن يلاحظ في بيوت الطلبة أنها تختلف عما هو متبع في المدارس

(١) للمزيد انظر، محمد سيف النصر: المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، مجلة الإكليل، ع ١، السنة الثالثة، خريف ١٩٨٥م، ص ص ٩٨ – ١٢٢. مصطفى عبد الله شيحة: دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين، ع ٥١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ص ٤٠٧ – ٤٦٢.

اليمنية، التي كانت عبارة عن قاعات متسعة وليست حجرات منفصلة مثلما عليه الحال في مدارس معظم بلدان العالم الإسلامي، ولكن نلاحظ في المسجد الشمسي أن هذه البيوت عبارة عن وحدة معمارية مستقلة حول الصحن تتكون كل منها من حجرات في طابقين تشرف مباشرة على الصحن دون أن يتقدمها أروقة (اللوحات ٢٥ – ٢٩).

وبناء على ما سبق فإن المنشأة تجمع بين العناصر المعمارية المكونة للمساجد الجامعة، من حيث وجود بيت صلاة يشتمل على منبر، وصحن مكشوف يحيط به والمئذنة، والمطاهر التي تتوزع في أجزاء مختلفة منه، فقد أضيف مكون أساسي من مكونات المدارس وهو بيوت الطلبة، وهو أمر مألوف في العديد من المنشآت الإسلامية التي تؤدي أكثر من وظيفة.

٣- التاريخ:

ورد أن تاريخ بناء المنشأة سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م، ولكن يوجد شريط كتابي يمتد من الجنوب إلى الشمال، على طول الجدار الشرقي من بيت الصلاة، ويشتمل في السطر الأعلى في نهايته من الطرف الشمالي على تاريخ يشير إلى أن البناء كان في "شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وتسعة مائة سنة"، وفي السطر التالي الذي تختلف طريقة الكتابة فيه عن السطر الأعلى، ينتهي النص بعبارة " وجميع المسلمين أمين ". ومن هذا يتضح أن التاريخ الأصلي للبناء هو سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، وليس سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م.

وقد اختلفت الآراء حول تاريخ بناء المئذنة، فهناك رأي بأنها بنيت بعد بناء الجامع بفترة قصيرة في عهد السلطان سليمان سليم خان ابن بايزيد(سليمان

القانوني)[١]. بينما هناك رأي بأنها بنيت في عهد الوالي العثماني محمد علي باشا سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م [٢].

والرأي الأول هو الأرجح، لأن بناء المئذنة يظهر أنها كانت جزءاً من البناء منذ مراحله الأولى وليست دخيلة عليه، وذلك لإكساب المسجد صفة الجامع التي وردت ضمن الكتابات التسجيلية على جدران بيت الصلاة. أما الرأي الثاني فإنه يفتقد إلى الأدلة الأثرية والتاريخية، ومن ذلك أن سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م التي يقال أن المئذنة قد بنيت فيها في عهد الوالي العثماني محمد علي باشا، إنما هي في الواقع تقع ضمن فترة استقلال اليمن عن الحكم العثماني الأول، والتي امتدت من سنة ١٠٤٥هـ ١٦٣٥م حتى سنة ١٢٨٩هـ ١٨٧٢م [٣]، وكانت اليمن في هذه السنة التي ذكر أن المئذنة بنيت فيها تحت حكم الإمام المنصور الحسين بن المتوكل، الذي توفي في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م. وكانت ذمار خلال فترة حكم المنصور تابعة له، ويدل على ذلك أنه في المحرم سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، وعندما هدد راجح الخولاني ذمار أرسل المنصور جيشاً بقيادة سليم تمكن من الانتصار على جيش راجح الخولاني، وعاد الأمير سليم إلى صنعاء في شهر صفر من نفس العام.هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه لا يوجد بين ولاة اليمن في العصر العثماني من يسمى محمد علي، ولكن وجد في فترة حكم الإمام المتوكل

(١) محمد زكريا ؛ مساجد اليمن نشأتها وتطورها، ط ١، صنعاء، ١٩٩٨م، ح١، ص ٦٦.
(٢) إسماعيل بن علي الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص ٢٦٩.
(٣) خضعت اليمن للحكم العثماني مرتين، تبدأ الأولى من سنة٩٤٣هـ / ١٥٣٨م حتسنة ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م، ويبدأ العصر العثماني الثاني من سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م حتى سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م.

على الله يحيي بن محمد حميد الدين الذي بويع بالإمامة في يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، والٍ يسمى "محمد علي" وقد عزل بعد فترة وجيزة جداً، وأناب عنه رجب مكتوبجي [١].

وقد بنيت المنارة حسب الطراز اليمني المحلي المتبع في بناء المآذن (لوحة ٣٠)، وهو أمر ظهر في الكثير من المآذن اليمنية التي بنيت في العصر العثماني ، ومن أمثلتها مئذنة مدرسة البكيرية في صنعاء(النصف الأول من القرن ١١هـ / ١٧م).ويغلب على هذا الطراز من المآذن استخدام الزخارف المنفذة من الآجر على هيئة زخارف مسننة أو زخارف هندسية من خطوط متقاطعة أو ترتيب قطع الآجر أسفل الشرفات على شكل دلايات بسيطة. بالإضافة إلى استخدام الزخارف الجصية في تكسية أجزاء من البدن. وهذه السمات تميز المآذن اليمنية التي بنيت في العصر العثماني التي لم تتبع طراز المآذن العثمانية على العكس مما حدث في كثير من البلاد الإسلامية التي خضعت للدولة العثمانية، وتغير فيها طراز المآذن إلى الطراز العثماني، كما هو الحال في بلاد الشام والعراق ومصر وليبيا وتونس والجزائر.إلا أن القاعدة المربعة للمئذنة، التي تنحسر قليلًا إلى الداخل كلما ارتفعت، وتغطية قمة المئذنة بقبيبة، تتشابه مع تكوين مآذن بلاد المغرب.

٤- الزخارف:

يلاحظ خلو واجهات المنشأة وواجهات بيت الصلاة من الزخارف، بينما اشتمل داخل بيت الصلاة على زخارف جصية متنوعة، ممثلة في الشريط الكتابي المنفذ بخط الثلث، والشريط الزخرفي وأشكال البخاريات التي تخرج منه

(١) البيحاني؟: أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، هامش ص ص ٤٢٤-٤٢٥.

على طول جدار القبلة[1]، بالإضافة إلى زخارف المحراب وسقف تربيعته (اللوحات ١٧ – ٢٢) وزخارف الجدار الغربي و الجدار الجنوبي من بيت الصلاة (لوحة ١٩) وتركيز الاهتمام الزخرفي على الأجزاء الداخلية من المساجد يعد من الظواهر الملحوظة في معظم المساجد اليمنية. كما أن تكسية بواطن المحاريب بالزخارف الجصية وجد في أماكن مختلفة من بلاد العالم الإسلامي ؛ ومن أمثلة ذلك محراب قبة أصلم السلحدار بالقاهرة ٧٤٥هـ/١٣٤٥م ومحراب خانقاة أم أنوك ٧٤٩هـ/١٣٤٩م ومحراب جامع الفستق بحلب"المدرسة الصاحبية"، التي أنشأها أحمد بن يعقوب الصاحبسنة ٧٥٠هـ/١٣٥٠م [2]

وعلى الرغم من أن المسجد الشمسي الجامع قد أنشئ في بدايات فترة الحكم العثماني الأول لليمن (٩٤٣-١٠٤٥هـ/١٥٣٨-١٦٣٥م) إلا أنه يخلو من العناصر الزخرفية العثمانية التي ظهرت في بعض العمائر التي أنشئت في مدينة ذمار، ومن أمثلتها مسجد الأمير سنبل (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م)، ومن المؤكد أن ذلك يرجع إلى أن المسجد الشمسي أنشئ في وقت لم تكن العناصر

(١) كلمة بخارية مصطلح أهل الصنعة للدلالة على وحدة زخرفية مستديرة أو بيضاوية الشكل، لها حلية على شكل ورقة نباتية من أعلاها وأسفلها. وقد نفذت أشكال البخاريات على الوزرات الرخامية والألواح الجصية والأبواب من الخشب أو الأبواب المصفحة بالمعدن، كما نفذت على جلود الكتب حيث كانت ترسم بكاملها في مركز جلدة الكتاب بينما ترسم أرباعها في أركانها. ومن المرجح أنها سميت بخارية لأن بداية ظهورها ارتبط بمدينة" بخارى" في شمال شرق إيران.

(٢) حسن عبد الوهاب ؛ التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر، سلسلة التاريخ والآثار، الحلقة الدراسية الأولى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ص ٩٨-٩٩.

الزخرفية العثمانية قد أخذت في الظهور في العمارة والفنون اليمنية، ومما يجدر ملاحظته بخصوص زخارف بيت الصلاة في المسجد الشمسي الجامع ما يلي:

- كان لزخارف المسجد الشمسي الجامع تأثيرها على الزخارف المنفذة في مسجد الأمير سنبل من حيث طريقة التصميم وتوزيعها على جدران بيت الصلاة.
- أن خلو الشريط الزخرفي من العناصر الزخرفية العثمانية مع وجود شريط يشير إلى أعمال تجديد تمت سنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م دلالة على أصالة هذه الزخارف، وأن أعمال التجديد تضمنت الحفاظ عليها دون إضافة زخارف جديدة.
- وجود مظاهر لتأثر زخارف المسجد الشمسي الجامع بالزخارف الجصية في بلاد المغرب والأندلس، سواء كان ذلك من حيث طريقة التنفيذ واستخدام أسلوب الزخارف المفرغة أو المخرمة، والتي توجد في الزخارف أعلى المحراب وعلى امتداد جدار القبلة، أو من حيث العناصر الزخرفية المنفذة سواء النباتية أو الهندسية، وهو أمر نلاحظه من خلال دراسة الزخارف على الجص والخشب في اليمن، والتي تتشابه مع الزخارف الموجودة في قصر الحمراء بالأندلس، ومن أمثلة ذلك الزخارف الجصية بالجامع الكبير بزبيد.

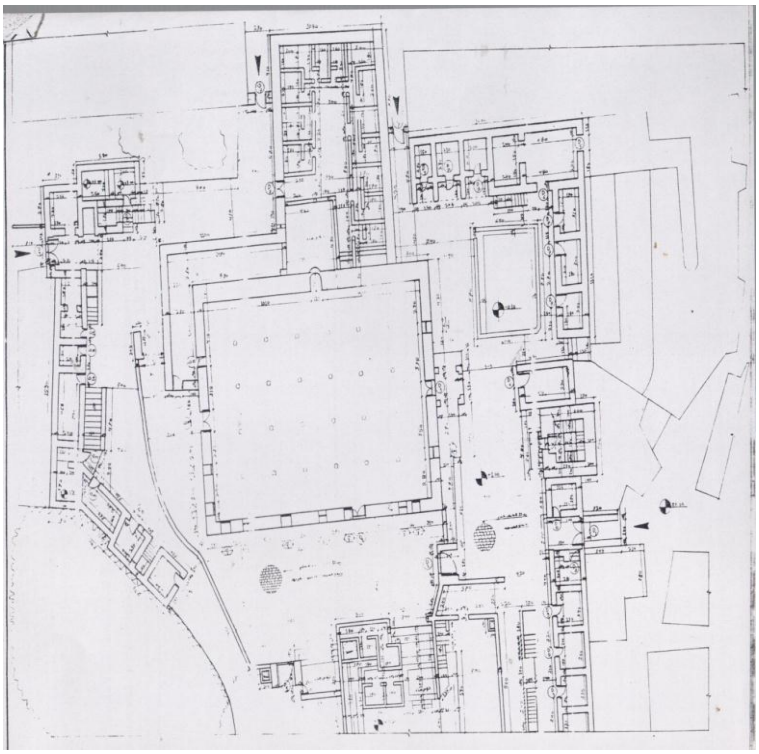

شكل (٧): مسقط أفقي للمسجد الشمسي الجامع

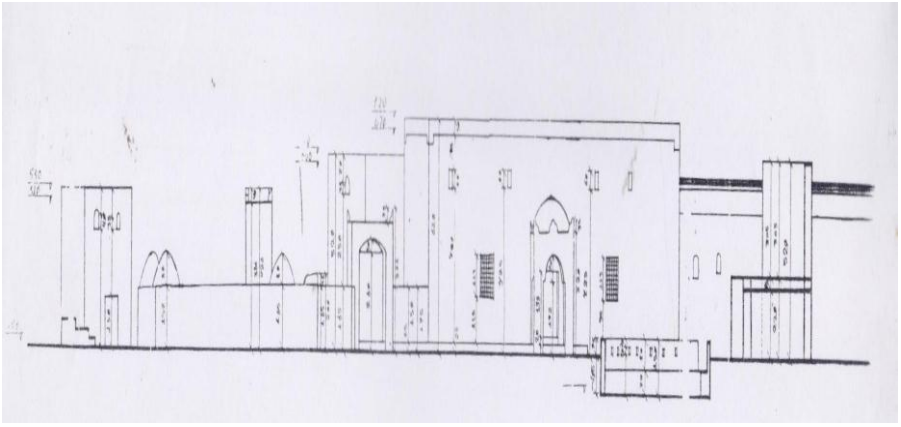

شكل (٨): قطاع رأسي للواجهة الشرقية للجامع الشمسي

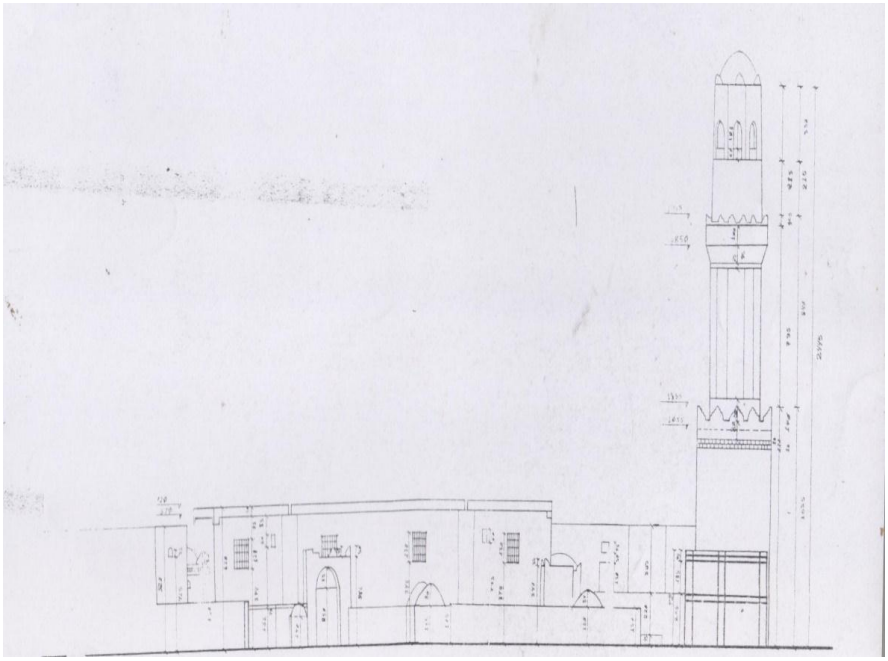

شكل (٩): قطاع رأسي للواجهة الجنوبية للجامع الشمسي

مسجد الأمير سنبل:

يقع في حارة الأمير في الناحية الشمالية الغربية من مدينة ذمار القديمة. وقد أنشأه الأمير سنبل بن عبد الله، الذي كان حاكماً على ذمار في عهد الوالي العثماني حيدر باشا (١٠٣٤-١٠٣٩هـ/١٦٢٤-١٦٢٩م) [١]. ونتيجة لخوفه من أن يبطش به حيدر باشا بعد أن فشل في مواجهة جيش الحسن بن القاسم، وتمكنهم من الاستيلاء على قلعته في منطقة الذراع من بلاد ذي السفال، فقد انضم إلى الحسن بن القاسم الذي أبقاه والياً على ذمار، كما تزوج محمد بن

(١) سيد مصطفى سالم ؛ الفتح العثماني الأول لليمن، ط٣، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٣٩٥.

الحسن بن القاسم بابنة الأمير سنبل، بعدما استقر بذمار، بعد وفاة والده بالحصين من ضوران سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م [١].

الوصف المعماري للمسجد:

يتكون من بيت صلاة من مساحةقريبة جداً من المربعة، حيث يبلغ طول جدار القبلة(الشمالي) فيها ١١,٨٠م، بينما طول الجدار الجنوبي ١١,٧٠م، وطول الجدار الشرقي ١١,٦٨م، بينما طول الجدار الغربي ١١,٥٥م. وتنقسم مساحة بيت الصلاة إلى أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، تفصل بينها ثلاث بوائك من عقود مدببة ذات أربع مراكز، وتتكون كل بائكة من ثلاثة عقود محمولة على عمودين (شكل١٠). ولأن الأعمدة مجلوبة من عمائر قديمة، فأنها تختلف في طرز أبدانها وتيجانها، إذ أن أبدان بعضها من قنوات ولها تيجان مزخرفة بأشكال أوراق نباتية على شكل زهرة اللوتس (لوحة ٣٥) بينما أعمدة البائكة الوسطى مثمنة الأبدان ، أما أعمدة البائكة الثالثة فإنها مضلعة.

ويتوسط المحراب الجدار الشمالي لبيت الصلاة، وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد مدبب يرتكز على عمودين(لوحة ٣٦) ويحيط بعقد المحراب شريط كتابي منفذ بخط الثلث، يشتمل على الآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" [٢].وتملأ كوشتي العقد زخارف مورقة من طراز الرومي. ويتشابه المستوى الثاني للمحراب مع المستوى

(١) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله: ؛ تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ٦٧. محمد بن إسماعيل الصنعاني: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٧٥

(٢) سورة الحج – الآية ٧٧.

الأول، إذ أنه معقود بعقد مدبب شكلت حافته السفلى على هيئة فصوص. ويخلو تجويف المحراب من الزخارف إلا في الجزء الأعلى، الذي يشتمل على كتابات موزعة داخل بحور، نصها "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"(لوحة ٣٧)[١].

أما طاقية المحراب فإنها على شكل محاري (لوحة ٣٨). وتزين المساحة المحصورة بين عقد المستوى الأول والثاني من تجويف المحراب أشكال نجمية بداخلها وريدات.

وكما هو متبع في معظم العمائر الدينية اليمنية فإن الزخرفة تتركز على كتلة المحراب، ولهذا نجد أن المحراب تحيط به ثلاثة أشرطة زخرفية، يشتمل الأول منها من الداخل على زخارف نباتية مستمدة من الزخارف النباتية العثمانية، حيث تشتمل على أوراق مسننة "الساز"، وزهرة القرنفل وشقائق النعمان [٢]. أما الشريط الأوسط فيشتمل على زخرفة من خط متكسر "زخرفة دالية". ويشتمل الشريط الثالث وهو أكبر الأشرطة اتساعًا، على كتابة منفذة بخط الثلث موزعة في بحور، نصها "بسم الله الرحمن الرحيم أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر، إن قرآن الفجر كان مشهودا، ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا، وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا" [٣]. ويحدد هذا الشريط

(١) سورة آل عمران – الآية ١٨.

(٢) ربيع حامد خليفة ؛ مسجد الأمير سنبل (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) وقبة دادية بمدينة ذمار القديمة، دراسة معمارية، مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء، ع ١١، ١٩٩٠م، ص ٤٦.

(٣) سورة الإسراء، الآيات ٧٨-٨٠.

شريطان ضيقان يشتمل كل منهما على زخرفة من أوراق ثلاثية مثقوبة الوسط، تتفرع منها تفريعات نباتية. ويتوج كتلة المحراب شريط من زخارف على هيئة معينات متتالية ترتكز على خط متعرج.ويبدأ من الطرف الشرقي للجدار الشمالي شريط كتابي، يتضمن آية الكرسي التي تمتد على جزء من الجدار الغربي، كما يشتمل الآيتين التاليتين لأية الكرسي موزعة داخل بحور مستطيلة أضلاعها القصيرة مقوسة، ويفصل بين هذه البحور دروع بارزة، وتصل الكتابة إلى قوله تعالى " والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" (لوحة ٣٩). وعلى الجدار الجنوبي نقشت الآية الكريمة "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار" [1]كما يتضمن سورة الإخلاص، وتستمر الكتابة على هذا الجدار، وتنتهي بالحديث النبوي الشريف "من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة، وكان ممن اختص. وينتهي الشريط عند نهاية الجدار الشرقي من بيت الصلاة، ويتضمن ألقاب" الأمير الشهير مُلاعب الأسنة سنبل بن عبد الله (لوحة٤٢)، وتاريخ بناء المسجد منفذاً بخط الثلث وبطريقة حساب الجُمَّل، ونصه "وكان تمامه غرة شهر القعدة بالفضل والمنة وتاريخ سنينه (يا رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة)(لوحة ٤٣). وهذه الجملة تعادل حسب الطريقة المشرقية لحساب الجمل العدد ١٠٤٢هـ وهو تاريخ بناء المسجد.وفي نهاية الشريط توقيع المجصص الأسطى عبد الرحمن (لوحة ٤٤)، وهو الذي نفذ الزخارف الجصية التي تزين محراب جامع محمد باشا بمدينة يَريم، وزخارف جامع الإمام أحمد

(١) سورة النور الآية ٣٦.

بن القاسم بالروضة في صنعاء، وزخارف جامع يحيى بن حمزة بكحلان في ظفار [١].ويعلو الشريط الكتابي أشكال بخاريات، تشتمل على زخارف نباتية مورقة من طراز الرومي

ويؤدي إلى داخل بيت الصلاة ثلاث فتحات أبواب محورية، باب يتوسط الجدار الجنوبي مواجهاً المحراب، ويعلو هذا الباب النص التأسيسي، ويقع في ستة أسطر، نصها:-

١- لا إله إلا الله محمد رسول الله

٢- بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

٣- إذا شئت أن ترقا إلى الغاية القصوى وتبلغ أعلا منتهى جنة المئوا

٤- فكن كحسام الدين سيف إمامنا أمير اللوى بحر المكارم والجدوا

٥- بنى في سبيل الله لله مسجداً ليجزيه في جنة الخلد ما يهوا

٦- وتاريخه في عدة قد أتا لنا فا مسجد قد أسوه علا تقوا [٢].

وتوجد فتحة باب في الطرف الغربي للجدار الجنوبي لبيت الصلاة، تؤدي مباشرة إلى المطاهر، و توجد فتحة باب محوري في الجدار الشرقي، وفتحة باب في الجدار الغربي تؤدي إلى صحن المسجد (شكل١٠).وفتحت في كل من الجدار الشرقي والغربي منبيت الصلاة نافذتان، كانتا مغشاتين بالزجاج

(١) ربيع حامد خليفة ؛ دراسة حول الزخارف الجصية والرخامية اليمنية في العصر الإسلامي، مجلة التاريخ والمستقبل، مج ١، ع ٢، كلية الآداب جامعة إلمنيا، ١٩٩١م، ص ٢٤٦.

(٢) ربيع حامد خليفة ؛ مسجد الأمير سنبل، ص ٤٠.

المعشق في الجص، لكنها استبدلت بعد أعمال التجديد التي تمت سنة١٩٩٠م بشبابيك من الخشب.

ويغطي بيت الصلاة سقف مسطح، ويرى د. ربيع خليفة أن بيت الصلاة كان مغطى بقبة، وذلك اعتماداً على سمك الجدران الذي يبلغ حوالي ١,٢٠م. إلا أنني لا أتفق مع هذا الرأي، وأرى أن السقف المسطح للمسجد بني مع بناء المسجد، وذلك استناداً إلى عدة قرائن، منها:

- أن المتبع عند تغطية البناء بقبة كبيرة عدم تقسيم مساحة بيت الصلاة إلى بوائك من عقود، وإنما تبقى كمساحة فضاء تغطيه القبة، وذلك لإيجاد فراغ داخلي، ولإبراز القبة وتفاصيلها المعمارية والزخرفية – في حالة وجودها – من الداخل.
- أن العقود تمتد وتلتحم مع الجدران الشرقية والغربية بشكل أصلي وليس مضافاً في تاريخ لاحق لبناء المسجد.
- أنه لا تظهر في الأركان العليا للجدران الداخلية لبيت الصلاة أي مظهر للانتقال من المساحة المربعة إلى الشكل المثمن، سواء كان ذلك في شكل حنايا ركنية أو مثلثات كروية، وإنما تمتد الجدران باستقامة حتى السقف.
- أن الاعتماد على سمك الجدران كقرينة للسقف المقبَّى ليس كافياً، وذلك لأنه من التقاليد المعمارية الموروثة في العمارة الإسلامية اليمنية سمك الجدران. ونجد مثل هذا الأمر في العديد من العمائر الإسلامية في اليمن، ومنها عمائر مدينة ذمار، ومن ذلك– على سبيل المثال– أن سمك الجدران في المسجد الشمسي الجامع بذمار، الذي يغطيه

سقف مسطح، تتراوح ما بين ١,٨٠م إلى ٢م، ويبلغ سمك جدران مسجد الحسين بن القاسم في ذمار، المغطى بقبة، والذي يرجع إلى نفس فترة بناء مسجد الأمير سنبل حوالي ٢,٢٠م، في حين يبلغ سمك جدران مسجد دادية المغطى بقبة ١,٢٨م. مما يدل على أن الأمر يرتبط بتقليد معماري موروث، أكثر من ارتباطه بنوع التغطية، فكان المتبع أن يتراوح سمك أساسات منازل صنعاء ما بين ٨٠ – ١,٢٠ م[١]. ويرجع السبب في الحرص على سمك الجدران في عمائر مدينة ذمار بشكل عام إلى طبيعة المنطقة التي تقع على مصطبة بركانية تكثر فيها الهزات الأرضية.

ويتقدم الناحية الجنوبية لبيت الصلاة صحن مكشوف مستطيل، تغطي أرضيته أحجار الحبش، وتؤدي إليه فتحتا باب في الجدار الغربي. وقد أضيف في الناحية الشرقية من الصحن مصلى حديث، يمتد في الجهة الجنوبية من الصحن. وتوجد على إحدى الدعامات في هذا المصلى لوحة تأسيسية (لوحة ٤٥)، يعتقد أنها منقولة من مكان آخر في المسجد الأصلي[٢]. وتشتمل على كتابة في ستة أسطر، وتوقيع الأسطا عبد الرحمن سائلاً من قرأه الدعاء بالمغفرة، ونصها:-

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- حافظ على الصلواة في جامع يسر الناظرين

---

(١) عبد القوي محمد طالب:مميزات المواد المستخدمة في العمارة السكنية بصنعاء القديمة، مجلة دراسات يمنية، ع ٣٥، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٩٠.

(٢) ربيع حامد خليفة ؛ مسجد الأمير سنبل، ص ٤٠.

٣- أنشأه سنبل ذو العلا والفخر والعز المكين
٤- ومسجداً متضرعاً به لله رب العالمين
٥- لينال تاريخاً له يا نعم دار المتقين
٦- سنة ١٠٤٢ (لوحة ٤٥).

وفي الجهة الغربية من بيت الصلاة توجد المطاهر، ويؤدي إليها فتحتا باب، إحداهما من خارج المسجد، والأخرى من الضلع الغربي لبيت الصلاة (شكل١٠) وهذه المطاهر مجددة أثناء أعمال التجديد التي تمت للمسجد سنة ١٩٩٠م. وهي في نفس مكان المطاهر القديمة.ولا يشتمل هذا المسجد على منارة مثله في ذلك مثل مسجد الحسين بن القاسم بمدينة ذمار، الذي أقيم في نفس الفترة.

ملحوظات حول عمارة وزخارف مسجد الأمير سنبل:

-احتفظ جامع الأمير سنبل ببعض التقاليد المعمارية اليمنية القديمة، ومن ذلك انحسار الجدران كلما ارتفعت، بحيث يصبح شكل الجدران مخروطياً، وهو تقليد قديم شاع في أبنية جنوب الجزيرة العربية؛ فقد بني السور الخارجي لمعبد ودم ذو مسمعيم في مأرب من حجارة مشذبة تنحسر إلى الداخل كلما ارتفعت، وكذلك الحال في المعبد البيضاوي في أوام ومعبد برآن ومعبد سين ذي حلسم في حضرموت وسور مدينة السوا القديمة وسور مدينة يثل " براقش[١]. واستمر في العمائر الإسلامية في اليمن، ومن ذلك جدار القبلة في جامع تمور شمال شرق النادرة بإب، ويرجع إلى القرن ٥هـ / ١١م[٢]. وجامع ذمار الكبير وجامع شبام كوكبان والجامع الكبير بإب

(١) منير عبد الجليل العريقي: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم ، ص ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٢) فنستر، بربارة: تقارير أثرية من اليمن ص ١٩، ص ٣٧.

– ومن التقاليد المعمارية اليمنية القديمة الأعمدة المثمنة الأبدان، التي وجدت في المعابد اليمنية القديمة، ومن ذلك معبد ذات حميم وفي القصر الملكي بشبوة، ووجدت في الجامع الكبير بصنعاء وجامع الأعور بقضاء ريمة لكنها من الخشب[1].. كذلك فإن أعمدة البائكة الوسطى ببيت الصلاة في مسجد الأمير سنبل مثمنة الأبدان ،

– احتفظ مسجد الأمير سنبل ببعض التقاليد اليمنية المتبعة في عمارة المساجد ؛ ومن ذلك نقش اسم المؤسس وتاريخ الإنشاء داخل بيت الصلاة، فعلى الرغم من وجود لوحتين تأسيستين إلا أنه نقشت على جدران بيت الصلاة كتابات منفذة بالجص تتضمن اسم المؤسس وتاريخ التأسيس على الجدار الشرقي من بيت الصلاة، كما عليه الحال في المسجد الشمسي وغيره من العمائر الدينية اليمنية.

– تتميز الكتابات التسجيلية بإشتمالها على آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة، والكثير من الألقاب الفخرية مثل: الأمير الشهير، ملاعب الأسنة، حسام الدين، سيف إمامنا، أمير اللواء، بحر المكارم والجدوى.

–إن كانت التأثيرات العثمانية ظهرت في بعض زخارف بيت الصلاة، وخاصة الزخارف النباتية مثل أزهار القرنفل وشقائق النعمان وأوراق الساز، بالإضافة إلى ما احتفظ به من أشكال الزخارف اليمنية التي ظهرت من قبل في زخارف بيت الصلاة بالمسجد الشمسي، إلا أنه لم تظهر فيه تأثيرات عثمانية في نمط التخطيط أو العناصر المعمارية.

(١) أحمد لطفي العطاب: مواقع أثرية جديدة في قضاء ريمة، مجلة الإكليل، ع ٢، السنة الخامسة، خريف ١٩٨٧م، ص ١٠٣.

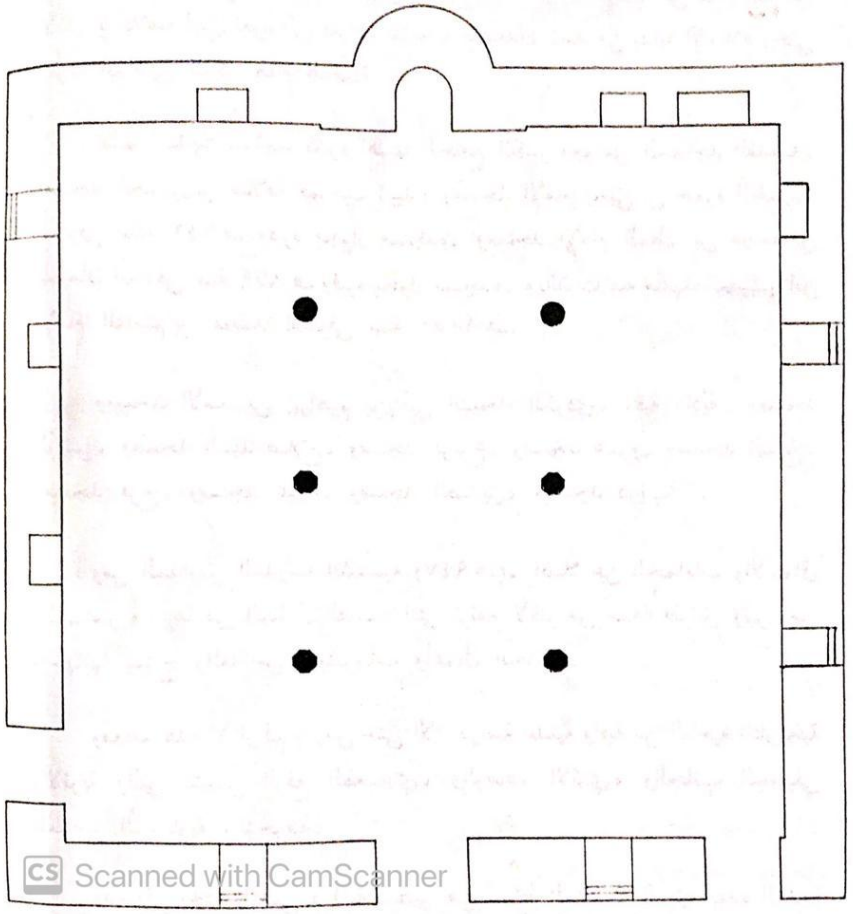
Scanned with CamScanner

شكل (١٠):مسقط أفقي لمسجد الأمير سنبل

مسجد قبة دادية:

يقع في مركز القطاع الجنوبي من مدينة ذمار القديمة، ويتبع في تخطيطه ومكوناته المعمارية طراز مسجد القبة، الذي ظهر في العمارة اليمنية في العصر العثماني، ومن أمثلته قبة البكيرية وقبة طلحة بمدينة صنعاء ، التي ترجع إلى النصف الأول من القرن ١١هـ / ١٧م، ، كما أنها تشبه قبة مسجد الحسين بن القاسم في ذمار، التي ترجع إلى نفس الفترة، مما يجعلنا نتفق مع ما ذكر من أن المسجد يرجع إلى النصف الأول من القرن ١١هـ / ١٧م.وإن كان ذلك لا يتوافق مع ما ذكره " نزيه مؤيد العظم " حيث أورد " بناه حسن دادا باشا بعد قدومه إلى اليمن مهاجراً، وكان ذلك قبل دخول العثمانيين إليها. وهو مسجد فسيح مبني بالحجارة المنحوتة، وملحق به حديقة صغيرة مغروسة سرواً[١].

ويشغل بيت الصلاة مساحة مربعة، حيث يبلغ طول الضلع الشمالي " جدار القبلة " والغربي ١١,٢٠م والضلع الجنوبي والشرقي ١١,١٥م (شكل ١١) وارتفاع جدران مربع القبة ٦,٣٢م، مبنية جميعها من حجر البازلت الأسود " الحبش "، وتتسم كما هو المتبع في معظم العمائر اليمنية –بسمك جدرانها الذي يبلغ ١,١٨م ، أما القبة فأنها مشيدة من الآجر مدببة القطاع، يبلغ ارتفاعها ١٢,٩٠م ومحيطها الداخلي ٣٥م، وقطرها ١٥,٨٥م، مقامة على حنايا ركنية معقودة بعقود مدببة، يعلوها صف من ثماني نوافذ صغيرة وكبيرة بالتبادل جميعها معقودة بعقود مدببة ومغشاة بنوافذ من الزجاج المعشق في الجص، يزخرفها عناصر زخرفية نباتية وهندسية. وتنتهي جدران مربع القبة من الخارج

(١) نزيه مؤيد العظم ؛ رحلة في بلاد العربية السعيدة، ج ١، ص ٢٨١ ؟.

بشرافات على شكل ورقة نباتية ثلاثية، زخرف بعضها بشكل شجيرة أو ورقة نباتية ثلاثية الفصوص، كما يزين منطقة انتقال القبة من الخارج شرافات مماثلة، وتتبادل هذه النوافذ مع حنايا صماء معقودة بعقود مدببة وفي قطب القبة نقشت سورة الإخلاص بخط الثلث. وعلى الجهة الجنوبية من بدن القبة من الخارج كتابة تتضمن تاريخ تجديد القبة والقائمين به، ونصها " كان الفراغ من عمل هذه القبة سنة ١٣٥١هـ(١٩٣١م) عمل أحمد قحطان ومحمد دشيله وحسين وادعي.

ويتوسط الضلع الجنوبي وعلى نفس محور المحراب مدخل رئيس، موضوع داخل حنية معقودة بعقد مدبب. كما كان يتوسط كل من الضلع الشرقي والغربي فتحة باب، لكنهما مسدوتان حالياً، وعلى جانب كل باب نافذة داخل حنية عميقة معقودة بعقد مدبب، مغشاة بمصبعات من الحديد.

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو مماثل في تكوينه لنمط المحاريب اليمنية، حيث أنه من مستويين، الأول منهما معقود بعقد مدبب يعلوه عقد من خمسة فصوص، والمستوى الثاني معقود بعقد مدبب، لكنه بسيط وخلو من الزخارف.

ويتقدم بيت الصلاة " القبة " من الجهة الجنوبية الصحن " الصرح"، وفي الجنوب الغربي منه توجد المطاهير والحمامات، وفي الجانب الشرقي منه مدفن، يضم ثلاثة توابيت حجرية، وأضيفت في الجهة الجنوبية الغربية من بيت الصلاة منارة، يعلو مدخلها كتابة تتضمن أن الذي أمر بعمارتها الإمام الناصر للدين أحمد بن يحيى، وينتهي النص بتاريخ سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م). وقد ذُكِرَ أنه كانت توجد منارة أخرى قبل إنشاء هذه المنارة، إلا أن الأرجح أن المسجد لم تكن له منارة عند إنشائه، وذلك اعتماداً على أن مساجد ذمار التي شيدت في

تلك الفترة مثل مسجد الأمير سنبل ومسجد الحسين بن القاسم لا تشتمل على منارات. كما أننزيه مؤيد العظم الذي زار ذمار في الربع الأول من القرن العشرين، ذكر أن به حديقة مغروسة سرواً، ولم يذكر أن به منارة[١].

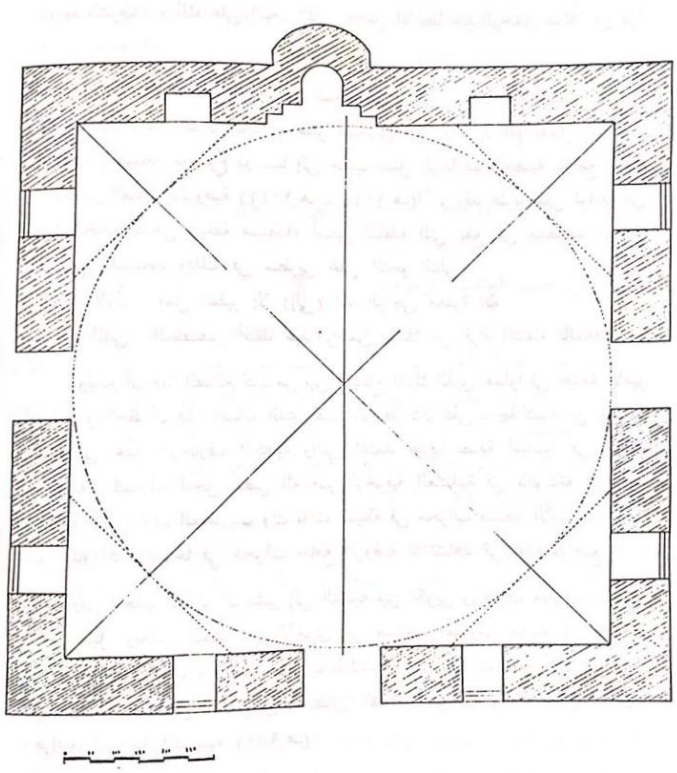

شكل (١١): مسقط افقي لمسجد قبة دادية

(١) عن هذا المسجد انظر، ربيع حامد خليفة: مسجد الأمير سنبل وقبة دادية، ص ص ٥١ – ٥٦.محمود إبراهيم حسين: المآذن اليمنية، لوحة ٣٥.

مسجد الحسين بن القاسم (لوحة ٤٦)

ينتهي نسب الإمام الحسين بن القاسم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب– كرم الله وجهه –. وقد ولد في ربيع الآخر سنة ٩٩٩هـ/١٥٨٧م، وتوفى ليلة الجمعة ٨ ربيع الأخر سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م [١]. وقد تولى الإمامة في فترة مليئة بالصراع بين الأئمة الزيدية والعثمانيين، حيث كان أئمة الزيدية يقودون الشعب في ثورته ضد العثمانيين، وخاصة الإمام المطهر بن شرف الدين الذي توفى في سنة ٩٨٠هـ/١٥٦٩ – ١٥٧٠م ودفن بجامع المدرسة بمدينة ثلا [٢]. لكن الإمام الحسين بن القاسم استطاع بما كان يتمتع به من حكمة تهدئة الأوضاع مع العثمانيين، وساعده على ذلك العلاقات الطيبة التي كانت تربطه بالأمير سنبل بن عبد الله الحاكم العثماني لمنطقة ذمار، والتي قوَّى من أواصرها زواج محمد ابن الحسن أخو الحسين من ابنة الأمير سنبل وإقامته في دار أبيها بذمار، في وقت كانت العلاقة بينه وبين محمد بن أخيه الحسن في أحسن صورها، خاصة بعد أن منحه الحسين بلاد الشوافي نواحي إب، وجنان وبني سرجة، ويريم والتعكر، حتى يفي بأرزاق الجند الذين خصصهم له [٣].

وعلى الرغم مما قدمه الحسين إلى محمد بن الحسن من معروف، إلا أنه عندما خرج الحسين من ضوران التي كان يقيم بها متوجهاً إلى ذمار بصحبة جنده، دار صدام بين جنوده وأهالي ذمار، ولم يطلب محمد بن الحسن من

(١) هذه التواريخ مأخوذة من قراءة شاهد القبر الموجود في المسجد.

(٢) عثمان أباظة ؛ الحكم العثماني في اليمن، ص ص ٥٧–٥٨.

(٣) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله: ؛ تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ص ٦٧–٦٨.

أهالي ذمار الكف عن فعلهم هذا، فتألم الحسين لذلك كثيراً، واستمر في حزنه حتى توفى ودفن في الضريح الخاص به بمسجده في ذمار [1].

الوصف المعماري للمسجد:

يتكون مبنى المسجد من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها الخارجي حوالي ١٠,٢٠م تؤدي إليها فتحتي باب إحداهما في الجدار الجنوبي، والأخرى في الجدار الشرقي، وتتكون كل منهما من مدخل تتقدمه سقيفة من مساحة مربعة محددة بثلاثة عقود محمولة على دعامتين وجدار، وتغطيها قبة ضحلة، كما تنتهي جدرانها من أعلى بشرافات على شكل أوراق نباتية خماسية مدببة الطرف (شكل ١٢، اللوحتان ٤٧، ٤٨).ويعلو فتحة الباب الشرقي قصيدة في نسب ومدح الإمام الحسين بن القاسم (لوحة ٤٩).

أما المساحة الداخلية للمسجد فإنها مربعة، يبلغ طول ضلعها حوالي ٨م، مما يدل على سمك الجدران، الذي يصل إلى ٢,٢٠م. وتغطي المسجد قبة نصف كروية مبنية بالآجر، ترتكز على حنايا ركنية عميقة محددة الحواف بأشكال فصوص نصف دائرية (لوحة ٥٠)، بينما زخرف داخلها بأشكال بخاريات تضم زخارف نباتية. وتعد مثل هذه الحنايا العميقة والمتسعة من المميزات الشائعة في العمارة اليمنية، ومن أمثلتها في العمارة الإسلامية في ذمار حنايا قبة دادية. ويتوسط المحراب جدار القبلة (لوحة ٥١)، وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد مدبب يرتكز على عمودين مندمجين بالجدار (لوحة ٥٢) ويعلو هذا العقد عقد مفصص يبرز عن العقد المدبب. ويحدد كتلة المحراب كتابة بخط الثلث على

(١) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله: ؛ تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ٧٩.

أرضية من زخارف نباتية دقيقة، بينما ينقسم تجويف المحراب إلى ثلاث مناطق، تشتمل السفلى على أشكال معقودة بداخلها زخارف نباتية وهندسية (لوحة ٥٣)، بينما تشتمل المنطقة الوسطى على شريط كتابي، وتشغل طاقية المحراب زخرفة من خطوط إشعاعية بارزة (لوحة ٥٤). ويزخرف كوشتي عقد المحراب زخرفة من أشكال نجوم مثمنة الرءوس بداخل كل منها زهرة من ست بتلات. كما يعلو المحراب شريطان من الكتابة بخط الثلث (لوحة ٥٥).

وبالإضافة إلى الكتابات التي توجد في كتلة المحراب فإنه يمتد على الجزء الأعلى من الجدار الجنوبي شريط كتابي على أرضية من زخارف نباتية وأشكال نجوم من ثمانية رءوس (اللوحتان ٥٦، ٥٧) يستكمل على الجدار الشرقي، ويشتمل على اسم منشئ المسجد ونسبه وألقابه (لوحة ٥٨)، كما يوجد أعلى عتب كل من الباب الشرقي والجنوبي من داخل المسجد قصائد من الشعر في مدح الحسين بن القاسم وذكر مناقبه، موضوعة داخل شكل مستطيل يحده من أعلى عقد متعدد الفصوص، كذلك شغلت رقبة القبة كتابات منفذة بخط الثلث تتضمن نصوصاً قرآنية والسلام على الرسول– صلى الله عليه وسلم –، وتوجد كتابات أعلى وأسفل النوافذ التي فتحت في رقبة القبة (لوحة ٥٩).

ويزين باطن القبة أشكال بخاريات (لوحة ٦٠) كما يزخرف قطب القبة صُرة مزخرفة (لوحة ٦١)

وتشغل التركيبة الخشبية للإمام الحسين حيزًا في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد، كما ثُبتت على الجدار الجنوبي ثلاثة شواهد قبور[1] اثنان للإمام

(١)عن التابوت الخشبي " الضريح " وشواهد قبور الحسين بن القاسم وأخيه عبد الله، انظر الفصل الخاص بأضرحة أئمة الزيدية بذمار من هذا الكتاب.

الحسين بن القاسم والثالث خاص بأخيه عبد الله بن القاسم (اللوحات ٦٢، ٦٣، ٦٤.ويتوج الجدران الخارجية للمسجد شرافات على شكل أوراق ثلاثية يستطيل فصها الأوسط، وينتهي برأس مدبب.

دراسة تحليلية:

يتبع مسجد الحسين بن القاسم من حيث التكوين المعماري نظام المسجد القبة المتأثر بطراز العمارة العثمانية، وذلك في تغطية المساحة بكاملها بقبة كبيرة، ومن أمثلته بذمار قبة دادية. كما يحتفظ بالكثير من خصائص العمارة الإسلامية في اليمن، ويتضح ذلك في سمك الجدران، ووجود المداخل التي تتقدمها سقيفة مربعة مغطاة بقبة ضحلة لإبراز المداخل المؤدية إلى العمائر، كما هو الحال في مداخل المسجد الشمسي الجامع، والتي احتفظت في مسجد الحسين بن القاسم بنفس موضعها في المسجد الشمسي الجامع، حيث تتقدم كل من المدخل الجنوبي والشرقي، وفي وجود أشرطة كتابية منفذة بخط الثلث على أرضية من زخارف نباتية داخل بيت الصلاة، وفي الاهتمام الواضح بزخرفة كتلة المحراب بالزخارف المتنوعة، ومنها زخرفة بائكات العقود الصماء، التي ظهرت من قبل في منارة جامع ظفار ذي بين التي ترجع إلى النصف الثاني من القرن ٧هـ / ١٣م[١].كما ظهرت في بعض عمائر مدينة ذمار، ومن ذلك زخرفة أسفل منطقة انتقال القبة في ضريح الإمام يحيى بن حمزة، والشرفة المربعة لمنارة جامع الصلاحي

(١) عن منارة جامع ظفار ذي بين انظر، فنستر، بربارة: تقارير أثرية من اليمن ص ٩٩.

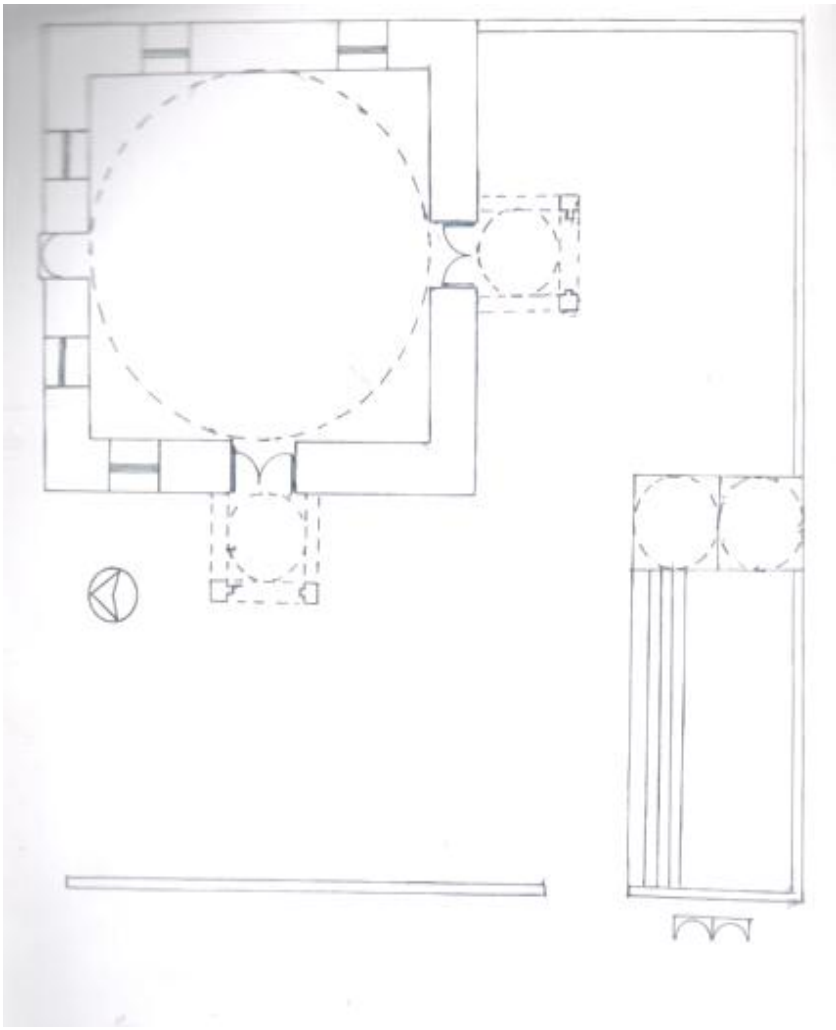

شكل (١٢): مسقط أفقي لمسجد وضريح الإمام الحسين بن القاسم

الفصل الرابع
أضرحة أئمة الزيدية في ذمار

ضريح الإمام يحيي بن حمزة" عماد الدين ":

ينتهي نسب الإمام يحيي بن حمزة إلى الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه" [١]. وقد ولد بمدينة صنعاء في ٢٧ صفر سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م [٢]، وتوفي في حصن هران يوم ٢٩ رمضان سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، ونقل إلى ذمار حيث دفن في قبته بالقرب من الجامع الكبير [٣]. ويتطابق ما أورده الشوكاني والحبشي مع الكتابات المنقوشة على شاهد القبر والتركيبة الخشبية[٤]، عن تاريخ وفاة الإمام يحيي بن حمزة، وهو يوم ٢٩ رمضان سنة ٧٤٩هـ(١٣٤٨م)ولكنها تصحح ما ورد عند كل من الحجري والجرافي أنه توفي سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) [٥].

---

(١) عن الإمام يحيي بن حمزة، انظر: الخزرجي، علي بن الحسن ؛ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد علي الأكوع، ج ٢، ط ٢، ؟ ١٩٨٣م، ص ١٤٢. عبد الوهاب المؤيد ؛ فضائل عماد الدين، مجلة اليمن الجديد، ع ٧، يوليو ١٩٨٩م، ؟. أحمد محمد صبحي ؛ الإمام المجتهد يحيي بن حمزة وآراؤه الكلامية، منشورات العصر الحديث، ط ١، ١٩٩٠م، ؟.

(٢) علي سعيد سيف ؛ الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وحتى نهاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة صنعاء، ١٩٩٨م، ص ١٤٩.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي ؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج ٢، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٣٣٣.

(٤)عبد الله محمد الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٠م، ص ٥٦٤.

(٥) الحجري، القاضي محمد بن أحمد ؛ مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج١، ص ٣٤٤. الجرافي، القاضي عبد الله بن عبد الكريم: المقتطف من تاريخ اليمن، ط ٢، بيروت، ١٩٨٤م.

الوصف المعماري للضريح:

يقع مسجد وضريح الإمام يحيى بن حمزة في حي الحوطة إلى الجنوب الغربي من الجامع الكبير بمدينة ذمار القديمة. وتشغل المجموعة التي تتكون من بيت صلاة" بنية " وصرح وضريح وبئر في الجهة الغربية، من مساحة مستطيلة أبعادها من الشمال إلى الجنوب ٣٥م ومن الشرق إلى الغرب ٣٠م.ويشغل بيت الصلاة " البنية" مساحة مستطيلة أيضاً أبعادها ١٧، ٧٥م ×١٣,٩٠م، ينقسم إلى أربعة أساكيبموازية لجدار القبلة تفصل بينها ثلاث بوائك من عقود نصف دائرية، تستند على أعمدة اسطوانية. ولا يتوسط المحراب جدار القبلة – كما هو المتبع – وإنما يبعد إلى الشرق قليلاً، مما يدل على حدوث توسعة في بيت الصلاة.

ويقع الضريح إلى الشرق من المسجد.ويتكون من مساحة مستطيلة حيث يبلغ طول كل من الضلع الشمالي والجنوبي ٢، ٩٠م، بينما يبلغ طول كل من الجدار الغربي والشرقي ٣,٧٥م. ويؤدي إلى حجرة الضريح ثلاث فتحات أبواب، باب في الجدار الشرقي يقابله فتحة باب في الجدار الغربي تؤدي إلى المسجد، وفتحة باب في الجدار الشمالي، وفتحت في الجدار الشرقي نافذة. ويشغل الجدران الثلاثة للضريح عقود صماء بكامل اتساع كل جدار، بينما العقد الشمالي منها فتح على سدلة صغيرة فتحت في تاريخ لاحق، ويغطي المساحة الأصلية للضريح قبة من الآجر منقوش على قطبها سورة الإخلاص، وترتكز القبة على حنايا ركنية محارية الشكل من ضلوع بارزة[1]، ويتوسط

(١) وجدت القبيبات المحارية في طواقي المحاريب في اليمن في محراب قبة الفليحي (٦٦٥هـ/١٢٦٦ – ١٢٦٧م)، ومحراب المسجد الجديد (٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، ومحراب المصلى الصغير في مسجد المدرسة (ق ١٠هـ/١٦م). غيلان حمود غيلان ؛ محاريب صنعاء حتى أواخر القرن ١٢هـ/١٨م، ص ١٩٥.

أضلاع مثمن القبة بين الحنايا في كل ضلع مضاهية مشغولة بستائر جصية نفذت زخارفها بالتخريم. وأسفل منطقة الانتقال يوجد صف من بوائك من عقود صماء بارزة عن سمت الجدران. وتغطي الأجزاء العليا من الجدران زخارف جصية مجددة على نفس النمط الذي كانت عليه الزخارف الأصلية (لوحة ٦٥).

ويشتمل الضريح على تركيبة خشبية مكونة من ثلاثة مستويات، يعلوها جوسق، حيث تقل مساحة كل مستوى عن سابقه، بحيث تأخذ شكلاً متدرجاً، كما هو المتبع في التراكيب الخشبية اليمنية. ونقشت على التركيبة كتابات محفورة حفراً بارزاً موضوعة داخل بحور، تتضمن سورة الفاتحة وسورة الإخلاص وآية الكرسي (لوحة ٦٦)، بالإضافة إلى بيت من الشعر يتضمن اسم وألقاب الإمام يحيي ونسبه، كما تتضمن اسم الكاتب وهو الفقيه علي بن أحمد الأنسي، واسم الصانع وهو الأسطا "مهدي صالح" (لوحة ٦٧). وقد ورد تاريخ الوفاة مسجلاً بالأرقام، بصيغة " وكان وفاته عليه السلم ٢٩ رمضان سنة ٧٤٩"، مما جعل من غير المحتمل نسبة التركيبة إلى منتصف القرن ٨هـ/١٤م، لكنها ترجع إلى فترة متأخرة؛ حيث ظلت طريقة تسجيل التاريخ بالأحرف سائدةفي العصر الإسلامي حتى ازدوجتدوين التاريخ بالأحرف والأرقام في العصر العثماني. ومن أمثلة التواريخ المسجلة بالأحرف في الآثار الإسلامية اليمنية ما وجد على شاهد قبر عبد الله بن حمزة الذي يرجع إلى سنة ٦١٤هـ، حيث ورد عليه "توفى سلام الله عليه يوم الخميس الحادي عشر من شهر المحرم سنة أربع عشر وستمائة للهجرة النبوية صلوات الله على صاحبها وآله[١]. وقد ورد ضمن كتابات تركيبة الإمام يحيى بن حمزة كلمة " ضريح،

(١) انظر، علي سعيد سيف: الأضرحة في اليمن، ص ٨٢.

والمقصود التابوت الخشبي.وقد وردت كلمة ضريح ضمن الكتابات على أقدم التوابيت الخشبية الباقية في مصر، وهو تابوت السيدة رقية ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م، بصيغة "هذا ضريح السيدة رقية، كما وردت على تابوت الإمام الشافعي بصيغة " عمل هذا الضريح المبارك"(١).

وفي الجدار الشرقي إلى جانب فتحة الباب ثُبِّت شاهد قبر من حجر البلق، يشتمل على كتابات تتضمن ألقاب الإمام يحيي بن حمزة ونسبه وتاريخ الوفاة (لوحة ٧١). ويتصل مبنى الضريح بالمسجد الذي ينسب إلى الإمام يحيي بن حمزة، ولكن هذا المسجد أعيد بناؤه في العصر الحديث، بينما يتقدم الضريح من الناحية الشرقية مساحة صغيرة مكشوفة، يؤدي إليها فتحة باب في الجدار الشمالي، عليها عتب من أحجار منقوش عليها كتابات بخط المسند، وإلى جانب فتحة الباب يوجد سبيل، كما يشتمل الجدار الشرقي لهذا الفناء على شاهد قبر لأحد أبناء الإمام يحيي بن حمزة(٢).

وتتمثل في عمارة ضريح الإمام يحيي بن حمزة ميزة من مميزات العمارة الزيدية في اليمن، وهي أن منطقة انتقال القباب وبواطنها مغطاة بالزخارف الجصية، كما أنها ذات صلة ببعض الأساليب الفنية المغربية التي انتقلت إلى العمارة اليمنية، ومن ذلك الزخارف الجصية وأشكال بوائك العقود الصماء التي تمتد أسفل منطقة انتقال القبة، وفي بواطن المحاريب، كما في محراب جامع

(١) أحمد فكري ؛ مساجد القاهرة ومدارسها، ج ١، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٠٣. ربيع حامد خليفة: الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١١٣.

(٢) للمزيد عن هذا الضريح، انظر، علي سعيد سيف: الأضرحة في اليمن، ص ١٤٩ وما يليها.

السيدة بنت أحمد في جبلة. وهذا الشكل ظهر بشكل كبير أعلى تجويف محراب جامع قرطبة بالأندلس، ضمن إصلاحات الحكم الثاني بالجامع، وفي زخارف أبدان المآذن في المغرب والأندلس، كما ظهر في زخارف الجزء الأسفل من بواطن المحاريب المملوكية، وظهر بكثرة في زخارف مناطق الانتقال في قباب العصر العثماني الأول والعصر القره مانلي في ليبيا. كما تظهر تلك الصلة الفنية في الحنايا الركنية المشكلة على هيئة صدفة أو محارة، والتي تعد من التأثيرات البيزنطية التي انتقلت إلى العمارة الإسلامية، وظهرت منذ العصر الأغلبي في كل من قبة المحراب وقبة البهو في كل من جامع عقبة بن نافع بالقيروان، وجامع الزيتونة بمدينة تونس. ومن أمثلة الحنايا الركنية المحارية في العمارة الإسلامية في اليمن السابقة لحنايا قبة ضريح الإمام يحيى بن حمزة، الحنايا الركنية في ضريح المنصور بالله الملحق بجامع ظفار ذي بين، المتوفى في ١١ محرم ٦١٤هـ(١٢١٧م).

وعلى الرغم من أن التركيبة الخشبية لضريح الإمام يحيي بن حمزة لا ترجع إلى تاريخ وفاته، إلا أنها تمثل أهمية آثارية بما اشتملت عليه من نقوش تتضمن اسم الكاتب وهو "الفقيه علي بن أحمد الأنسي" والصانع وهو "الأسطا مهدي صالح".أما ما ورد عن هذا الضريح من روايات في كتب المؤرخين، فإن منها ما ورد أنه في سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م ظهر على رأس القبة لهب كالمصباح، وكان مثل ذلك قد ظهر على قبر الشيخ حسن بن ناجي في قبته بذمار [١].

(١) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله: ؛ تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشرالهجري/السابع عشر الميلادي (ص ١٥٥.

ضريح الإمام المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي:

هو الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سلمان، وينتهي نسبه إلى الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلواة الله عليهم أجمعين. ولد سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م، وحكم سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م، وتولى الإمامة سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٦م حتى توفي عام ٨٧٩هـ/١٤٧٥م [١]. وكانت دعوته في بلاد الأهجر وبلاد حِمْيَر من مغارب صنعاء، فاستجاب له العديد من العلماء. ومن الأحداث التي واجهها أن استدعاه قاسم بن عبد الله سنقر من موالي المنصور علي إلى صنعاء، ثم سار إلى ذمار لمطاردة الناصر بن محمد، فالتقيا عند" قريس" من بلاد جهران، وانتهت المعركة بقتل الأمير قاسم سنقر، وسجن المطهر في حصن الربعة غربي ذمار. وفي سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م فر من السجن[٢]. وفي سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م تمكن أهل عرقوب من أسر الناصر بن محمد العلوي، عندما خرج من ذمار بعد استيلاء المجاهد شمس الدين علي بن طاهر عليها، وقدم أهل عرقوب الناصر إلى المطهر تَقَرُباً، حيث سجنه في كوكبان شبام إلى أن مات [٣].

---

(١) الحجري، القاضي محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج ١، ص ٣٤٤. عبد الله محمد الحبشي ؛ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، د. ت، ص ٥٩٦. للمزيد عن الإمام المطهر، انظر: ابن الحسين، يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد ؛ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص ص ٢٣٥-٢٧٧. الشوكاني، محمد بن علي ؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج ٢، ص ص ٣١١-٣١٢. ؟ أئمة اليمن، ص ص ٣٢٦-٣٣٣. ؟ المقتطف من تاريخ اليمن، ص ١٣١.

(٢)عبد الله محمد الحبشي ؛ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ٥٩٦.

(٣) الديبع؟: قرة العيون، القسم الثاني، ص ١٥٢، ح٣.

الوصف المعماري للضريح:

يقع بمحلة الحوطة بوسط مدينة ذمار القديمة. ويتكون من مساحة مربعة مبنية بالحجر العباصري المائل إلى الصفرة، يبلغ طول ضلعها ٥,٤٠م يغطيها سقف مسطح، مما يدل على أن السقف الأصلي للضريح سقط ولم يجدد على نفس النمط الذي كان عليه، إذ أن المتبع أن تغطى أضرحة أئمة الزيدية في ذمار بقباب، ومما يرجح ذلك وجود مداميك من الحجر في الأجزاء العليا من الجدران يظهر بوضوح أنها أحدث عهداً من المداميك السفلى.كما أن الأضرحة المصممة على شكل مساحة مربعة غالباً ما تغطى بقبة. ويفتح في الضلع الشرقي للضريح باب يؤدي إلى المسجد (لوحة ٦٩)، كما يوجد فتحة باب في الجدار الجنوبي للضريح، وثُبِّت على الجدار الشمالي شاهد الإمام المطهر، ويتوسط الجدار الشمالي محراب مجوف خالي من الزخارف. ووجود الضريح في الجهة الشرقية من المسجد مشابه لوضع ضريح الإمام يحيي بن حمزة من مسجده. ويطل الجدار الجنوبي لكل من المسجد والضريح على صحن مكشوف يطل على أحد أضلعه مسجد القبة الذي بناه الحسين بن القاسم المتوفى سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م.

ويشتمل ضريح الإمام المطهر على تركيبة خشبية مستطيلة الشكل، تتكون من ثلاثة مستويات وجوسق محمول على جزء مضلع.المستطيل الأول(السفلي) أبعاده ١,٨٥م ×٩٥،.موإرتفاعه١م، ونقشت في زواياه كتابات تمتد رأسياً موزعة في خمس حشوات، نصها: (الحشوة الأولى) بسم الله الرحمن الرحيم هذه

الضريح الشريف الإمامي والمشهد المقدس العالي التسامي (الحشوة الثانية). تاج عترة العصابة الشريفة النبوية الفاطمية أمير المؤمنين وسيد المسلمين.[١].

(الحشوة الثالثة). المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سلمان بن محمد بن سليمان بن يحيي بن الحسين بن حمزة بن علي بن محمد بن الإمام الشهيد حمزة بن الإمام أبي هاشم الحسن. (الحشوة الرابعة).بن عبد الرحمان بن يحيي بن عبد الله بن الحسين المهاجر بن القاسم بن إبراهيم بن إسمعيل.

ـ إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلواة الله عليهم أجمعين (لوحة٧٠) (الحشوة الخامسة). كان وفاته قدَّس الله روحه يوم السبت في العشر الوسطا من شهر صفر سنة ٨٧٩.وتشتمل التركيبة على اسم الصانعين وهما "حسين بن أحمد النشر وولده علي" (لوحة ٧١). وخصصت دخلة لوضع مجامر البخور والشموع (لوحة ٧٢)

دراسة تحليلية:

عرفت اليمن التراكيب الخشبية منذ مطلع القرن ٧هـ/١٣م، واستمر استخدامها حتى فترة متأخرة، وقد ارتبطت هذه التراكيب بأئمة الزيدية [٢]. وتتميز بأنها تتكون في الغالب من ثلاثة طوابق أو مستويات متدرجة في ارتفاعها واتساعها،

(١) وردت هذه الصيغة على العديد من التوابيت الخشبية لأئمة الزيدية، ومنها تابوت المتوكل على الله القاسم بن الحسين بصنعاء (١١٥٤هـ /١٧٤٣م). انظر، ربيع حامد خليفة ؛ دراسة حول التحف الخشبية اليمنية، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، ع ٤، ١٩٩٠م، ص ١٢٩. ربيع حامد خليفة: الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، ص ١٢٢.

(٢) ربيع حامد خليفة؛ دراسة حول التحف الخشبية اليمنية، ص ٩٨.

ومن أمثلتها تابوت جامع الأبهر بصنعاء، وتابوت الإمام المهدي عباس بن المنصور الحسين وهو ابن المنصور الحسين صاحب تابوت جامع الأبهر بصنعاء [١]. وبمقارنة الكتابات على هذه التركيبة بالكتابات التي وردت على التركيبة الخشبية للإمام يحيي بن حمزة، التي تسبقها من حيث التاريخ، وكذلك التركيبة الخاصة بالإمام الحسين بن القاسم في ذمار، واللاحقة لها يتضح أن هذه التركيبة قد صنعت في العصر الحديث، وذلك لأن المعتاد تسجيل التاريخ بالأحرف وليس بالأرقام [٢]. ومن الأمور التي تكشف عنها الكتابات الواردة على هذه التركيبة كلمة " ضريح" التي تطلق على التابوت الخشبي "التركيبة"، وهي تسمية شائعة في المصطلح اليمني. كما وجدت على التوابيت الخشبية في مصر في العصر الفاطمي والعصر الأيوبي. فقد ورد على تابوت السيدة رقية، المؤرخ في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٧م، والذي يعد أقدم التوابيت الخشبية الباقية في مصر، النص "هذا ضريح السيدة رقية" [٣]. كما ورد على تابوت الإمام الشافعي، والذي يرجع إلى العصر الأيوبي، النص "عمل هذا الضريح المبارك"[٤]، كما اشتملت التركيبة على عدد كبير من الألقاب، وهو الأمر الذي تتميز به التراكيب وشواهد القبور الخاصة بأئمة الزيدية، ومنها "الشريف – الإمامي – العالي – تاج – عترة العصابة الشريفة النبوية الفاطمية – أمير المؤمنين – سيد المسلمين – الشهيد" كذلك فإنه من الصيغ التي وردت على

(١) مصطفى عبد الله شيحة؛ مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، ص ص ١٥٠–١٥٣. وللمزيد عن التراكيب الخشبية بمدينة صنعاء، انظر:
- Guillemette et Paul BonnenFant, L'art Du Bois A Sanaa (Aixen-Provence), 1987.

(٢) ربيع حامد خليفة؛ الفنون الزخرفية اليمنية، ص ١١٥.

(٣) أحمد فكري ؛ مساجد القاهرة ومدارسها، ج ١، ص ١٠٣.

(٤) حسن عبد الوهاب ؛ تاريخ المساجد الأثرية، ج ١، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ١٠٨.

تراكيب وشواهد أئمة الزيدية عبارة "قدس الله روحه" تسبق تاريخ الوفاة، ومن الأمثلة على ذلك شاهد قبر المنصور بالله عبد الله بن حمزة، حيث يشتمل السطر الثالث عشر على النص "وكانت وفاته قدس الله روحه ونور ضريحه فجر يوم الخميس لإثنى عشر يوماً من شهر محرم" [1].كما تتميز تراكيب وشواهد قبور أئمة الزيدية بتحديد وقت ويوم الوفاة قبل الشهر والسنة، على عكس ما كان متبعاً في معظم بلاد العالم الإسلامي من إثبات سنة الوفاة فقط.

ضريح الإمام الحسين بن القاسم:

يختلف موضع ضريح الإمام الحسين بن القاسم عن أضرحة أئمة الزيدية في ذمار، حيث أنه يحتل مساحة في الجانب الجنوبي الشرقي من مبنى المسجد، وليس في مبنى مستقل، ملحق بمسجد مثل ضريح الإمام يحيي بن حمزة، وضريح الإمام المطهر بن محمد بن سليمان. وتتكون التركيبة الخشبية لقبر الإمام الحسين بن القاسم من صندوق من الخشب مكون من ثلاثة مستويات يعلوها جوسق، وقد نقشت عليه كتابات بخط الثلث، موضوعة داخل بحور "خراطيش" بيضاوية الشكل، تشتمل على أدعية وآيات من القرآن الكريم، بالإضافة إلى ذكر نسب الإمام الحسين وألقابه. ونفذت الزخارف على التركيبة بطريقة التفريغ، وتتكون من زخارف نباتية محورة متداخلة. وهو الضريح الوحيد في ذمار الذي يضم رفات شخصين وليس مخصصاً لشخص واحد، بينما وجد مثل ذلك في أضرحة أخرى، ومن ذلك ضريح المهدي محمد وصنوه شرف

(١) علي سعيد سيف ؛ الأضرحة في اليمن، ص ٨٧.

الدين بالمواهب، اللذين كانت وفاتهما في أحد شهور سنة سبع عشرة مائة وألف[1].

ويضم مسجد وضريح الحسين بن القاسم بذمار ثلاثة شواهد قبور؛ اثنان منها خاصة بالحسين بن القاسم، والثالث خاص بأخيه عبد الله بن القاسم المقبور بنفس التركيبة.ومن الشواهد الخاصة بالإمام الحسين بن القاسم شاهد في الركن الجنوبي الشرقي من الجدار الجنوبي، وهو عبارة عن لوح مستطيل من الحجر الجيري "البلق"، يبلغ طوله ١,٧م وعرضه ، ٦٥م. ويشتمل على كتابات منفذة بخط ثلث غير منقوط في اثنين وعشرين سطراً، يفصل بين كل سطر وآخر خط أفقي بارز. ويحيط بالكتابات التي في ساحة الشاهد إطار من كتابات تشتمل على آيات من سورة النمل وآية الكرسي (لوحة ٦٢).وتبدأ كتابات الشاهد بشهادة التوحيد حسب الصيغة الشيعية "لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على باغضهم لعنة الله". وبعد البسملة وحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله تبدأ سلسلة من ألقاب وعبارات المدح والثناء على الإمام الحسين بن القاسم، وذكر مناقبه وسلسلة نسبه التي تنتهي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه"، يلي ذلك ذكر تاريخ الوفاة "في ليلة الجمعة ثامن شهر ربيع الآخر عام خمسين وألف" وذكر تاريخ ميلاده في "وقت الظهر من الأحد لأربع عشرة بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وتسعمائة (اللوحتان ٦٢، ٦٣). ومما يذكر أن تاريخ الوفاة على كثير من الشواهد والتراكيب في بلاد المغرب الأقصى وعُمان قد حددت بدقة تاريخ الوفاة ؛ حيث حددت الساعة واليوم والشهر والسنة. ومما

(١) انظر كتابات شاهد قبر المهدي بن محمد من هذا الكتاب.

يكسب هذا الشاهد أهمية أنه يشتمل على اسم كاتب الشاهد، وهو "قاسم محمد الحلم"، كما يتضمن تاريخ ميلاد الإمام الحسين بن القاسم محددًا بالوقت واليوم والتاريخ الهجري.

ويوجد في الركن الجنوبي من الجدار الشرقي شاهد آخر للإمام الحسين بن القاسم، من لوح مستطيل من الحجر الجيري "البلق"، يبلغ طوله ١,٠٧م، وعرضه ٠,٩١م، نفذت عليه كتابات محفورة حفراً بارزاً بخط الثلث في واحد وعشرين سطراً، تحيط بها ثلاثة إطارات تشتمل على آيات من سورة الرعد، وآيات من سورة مريم، وسورة الإخلاص، والصلاة والسلام والثناء على الرسول –صلى الله عليه وسلم – وآل بيته الطيبين الأطهار، وفي الإطار الداخلي آية الكرسي، وآيات من سورة الزمر (لوحة ٦٣).

وتتفق كتابات هذا الشاهد مع الشاهد الأول من حيث الترتيب والحرص على سرد عدد كبير من الألقاب وسلسلة النسب وعبارات المديح والثناء وذكر تاريخ الوفاة. ولكن الاختلاف بين الشاهدين أنه في الشاهد الأخير زاد من عبارات الدعاء والتوسل إلى الله أن يرحمه ويغفر له، وقد صيغت عبارات الثناء والدعاء والألقاب في قالب شعري. والشاهد من عمل نفس الكاتب وهو "قاسم محمد الحلم".

ويوجد على الجدار الجنوبي للضريح شاهد قبر عبد الله بن القاسم، وهو عبارة عن لوح من الحجر الجيري غير منتظم الشكل، يبلغ ارتفاعه ١,٠٧م، والعرض من أسفل ٠,٨١م، بينما يضيق من أعلى ليصبح ٠,٤١م، ويشتمل على كتابات في خمسة عشر سطراً منفذة بخط ثلث غير منقوط ومحفورة حفراً بارزاً. ويحيط بالكتابة إطار يشتمل على عبارات دعائية.وكما هو متبع في شواهد

قبور أئمة الزيدية من كثرة الألقاب، فإن هذا الشاهد وإن كان لا يخص إمامًا من أئمة الزيدية، لكنه ينتسب إليهم وسليل بيت النبوة، حيث ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب "-رضي الله عنهما-، لذلك فإن الشاهد يشتمل على عدد كبير من الألقاب، وسلسلة نسب عبد الله بن القاسم، ثم تاريخ الوفاة في يوم الأحد تاسع وعشرين شهر جمادى الآخر سنة تسع وستين وألف. ومما يضفي على هذا الشاهد أهمية أثرية أنه يشتمل على اسم الكاتب وهو محمد بن يحيي الشامي (لوحة ٦٤).

وينعكس في كتابات هذه الشواهد ما كانت عليه شواهد القبور في القرن ١١هـ/١٧م، سواء كان ذلك من حيث أسلوب الكتابة أو الألقاب والزخارف. ومما يزيد من هذه الأهمية اشتمال الشواهد على اسمي اثنين من راقمي الشواهد في تلك الفترة وهما "قاسم محمد الحلم ومحمد بن يحيي الشامي". وقد ورد اسم الأول على بعض شواهد القبور في مدينة صعدة، إلا أن اسم الثاني لم يرد من قبل، مما يجعله إضافة آثارية هامة في مجال دراسة شواهد القبور.

* * *

أضرحة في نطاق مدينة ذمار

- ضريح أبو الفتح الديلمي:

هو الإمام أبو الفتح الناصر لدين الله الديلمي، ويرجع نسبه إلى أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وفد إلى اليمن من بلاد الديلم من أعمال جيلان بإيران بعد أن لم تجد دعوته استجابة في إيران، حيث سافر إلى مكة بعد أن دعى لنفسه بالإمامة سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م ورحل منها إلى صعدة شمال اليمن، ثم جمع عسكراً وسار إلى صنعاء فملكها. وقد أخذ في مقاومة دعوة القرامطة التي أخذت في الانتشار في اليمن، كما دخل في معارك عديدة مع

الصُلَيحْيين، الذين كانوا على المذهب الإسماعيلي. وله مؤلفات في تفسير القرآن الكريم، وفي الرد على أصحاب المذهب الإسماعيلي. وقد ذكر أنه توفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م عندما غدر به علي الصليحي بقاع "فيد" من بلاد عنس، أثناء تفقده للرعية في قاع أشرعة إلى الشرق من مدينة ذمار، والذي كان يتخذ منه عاصمة له، ودفن بهذا المكان، والذي يعرف اليوم ببيت أو قاع الديلمي.

وقد اختلفت الآراء حول تاريخ وفاته فمنها أنه توفي سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، ومنها ما يذكر أنه توفي سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م. وبالرجوع إلى شاهد القبر الموجود بضريحه بقاع أو بيت الديلمي، الذي تضمن تاريخ ومكان الوفاة، فقد ورد في السطر الثالث عشر، ما نصه "واستشهد عليه السلام بعد سنة وأربعين وأربع مائة مطلوقاً في واقعة حرب بينه". وفي السطر الرابع عشر ورد "وبين البغاة من حبيش الصليحي وقبر بردمان من بلاد عنس شرقي مدينة ذمار" (لوحة ٧٣).وبذلك يكون تاريخ وفاته الصحيح هو سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م.

وفي سنة ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م أمر عز الإسلام محمد بن الحسن بن القاسم بعمارة مشهد على قبر أبي الفتح الديلمي، وأقامت زوجته الدهماء بنت المؤيد بالله سمسرة لإيواء المسافرين في ذلك الموضع [١].ويشغل مبنى الضريح مساحة بسيطة مستطيلة يتوسطها مدفن الإمام أبو الفتح، يحيط به ممر ضيق، غير أنه قد تهدمت أجزاء من جدران القبر وسقفه، كما أن مبنى الضريح مهجور وفي حالة سيئة، ويتقدمه صحن مكشوف يتوسطه حوضمياه مستطيل، يشغل حيزاً كبيراً من الصحن.

(١) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله: ؛ تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ص ١١٢-١١٣.

ضريح المهدي لدين الله محمد بن أحمد:

ومن الأضرحة في نطاق مدينة ذمار ضريح المهدي لدين الله محمد بن أحمد بقرية المواهب، التي بناها سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٨م إلى الشمال الشرقي من مدينة ذمار، واتخذها عاصمة له، حتى أصبح يُعرف ب " صاحب المواهب ".ويتكون مبنى الضريح من مساحة شبه مربعة، تغطيها قبة نصف كروية، ترتكز على حنايا نصف دائرية متسعة – كما هو متبع في معظم القباب اليمنية –. ويؤدي إلى الضريح مدخل في الجدار الغربي، كما كان يوجد مدخل في الجدار الجنوبي، ويتوسط التابوت" التركيبة " المصنوعة من الخيرزان مبنى الضريح. ويوجد بالصحن الذي يحيط بالضريح من أكثر من جهة بعض شواهد القبور، منها شاهد في الجدار الجنوبي للصحن الذي يوجد في الجهة الشمالية الشرقية للضريح، وشاهد في الصحن الذي يحيط بالجدار الشمالي والغربي للضريح.

أ– شاهد قبر المهدي محمد وصنوه شرف الدين، مُثبَّت على الجدار الغربي للصحن المحيط بالضريح، ويشتمل على كتابة في ثمانية أسطر، يعلوها الشهادة بعبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، كما يحيط بها إطاران، يشتمل الداخلي منها على كتابة نصها: "... برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها.. إن الله عنده أجر عظيم.. صدق الله".

ويشتمل الإطار الخارجي على آية الكرسي، وفي الإطار الأيسر تنتهي الكتابة بدائرة بداخلها نجمة مثمنة. ونص الكتابة كالتالي:

١– بسم الله الرحمن الرحيم وبه تقى

٢– هذا ضريح السعدين الأكملين الأجلين

٣– الأمجدين ضياء الدين زيد بن أمير المؤمنين إمام

٤- المؤمنين سحاك الملحدين من دانت له الملوك

٥- والسلاطين المهدي لدين رب العالمين

٦- محمد أمير المؤمنين حفظه الله وصنوه شرف الدين

٧- بن أمير المؤمنين كانت وفاتهما.. رحمة الله عليهما

٨- في أحد شهور سنة سبع عشرة مائة وألف.

ومما يذكر أن يوسف بن الإمام المهدي لدين الله محمد صاحب المواهب كان قد لجأ إلى عمه في ذمار، وخطب خطبة يندد فيها بحكم والده وظلمه، فكلف الإمام المهدي لدين الله وزيره بالقبض عليه وإعدامه وشنقه في ميدان ذمار، وبيت يوسف ما زال باقياً وسط ميدان الحوطة أمام الجامع الكبير.ويلاحظ على كتابات الشاهد أن الشهادة وردت حسب الصيغة السنية بعبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، كما أنها لم تتضمن العديد من الألقاب وسلسلة النسب وصيغ الدعاء، كما هو متبع في شواهد قبور أئمة الزيدية، كما اقتصر تاريخ الوفاة على السنة فقط.

بـ شاهد قبر هدى بنت علي العماد، مُثبَّت في الجهة الشرقية من الجدار الجنوبي للصحن الشمالي الشرقي للضريح، وهو عبارة عن قطعة مستطيلة من حجر البلق أبعادها ٥٥سم×٧٥سم. ويشتمل على كتابة في ستة أسطر يحيط بها إطار يشتمل على آية الكرسي، ونص الكتابة:

١- بسم الله الرحمن الرحيم وبه تقى

٢- هذا ضريح الحرة الطاهرة المطهرة ذات

٣- الفضل والتقى هدى بنت علي العماد خالة

٤- سيد بالفقيه الإمام الأكمل الشامي الأمجد محسن بن

٥- علي المفتي وزير أمير المؤمنين المهدي لدين

٦- الله حفظه الله توفيت رحمها الله في أحد شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف.

الفصل الخامس
العمارة السكنية ومنشآت الرعاية الاجتماعية في مدينة ذمار

أولاً: العمارة السكنية بمدينة ذمار:

تحتفظ مدينة ذمار بنماذج من العمائر المدنية الممثلة بشكل أساسي في المنازل والسماسر، وما يتصل بها من منشآت الرعاية الاجتماعية من الحمامات والأسبلة. وتشتمل هذه العمائر على مميزات معمارية وزخرفية، تتفق في معظمها مع طراز العمائر المدنية اليمنية في العصر الإسلامي، مع احتفاظها ببعض المميزات التي جاءت متماشية مع الظروف البيئية لمنطقة ذمار (اللوحتان ٧٤، ٧٥).ومن ذلك أن تخطيط المنزل لا يعتمد على الفناء الداخلي كمحور للتخطيط، كما أنه لا يتسم بالارتفاع الشاهق، الذي يميز منازل صنعاء وحضرموت.

- **المميزات المعمارية والزخرفية للمنزل الذماري:**

يمثل المنزل الوعاء الأول للخصوصية، وتحقيق الحميمية العائلية. وقد تحقق في المنزل الذماري الشروط الواجب توفرها في المعمار، وهي المنفعة والمتانة والجمال والاقتصاد[1]. وقد خضع المنزل في مدينة ذمار، سواء من حيث التصميم أو المواد المستخدمة في البناء إلى عدة عوامل من أهمها العوامل الجغرافية التي تسود المنطقة والعوامل الاقتصادية والعامل الأمني. وتتضح العوامل الجغرافية في:

١- استخدام مواد بناء تفقد الحرارة ببطء حتى يمكن الاحتفاظ بالحرارة المكتسبة أكبر وقت ممكن للتغلب على البرودة التي تتعرض لها المنطقة معظم فترات السنة، وبصفة خاصة في فصل الشتاء، حيث تنخفض درجة

(١) عرفان سامي ؛ نظريات العمارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٢١.

الحرارة في الليل إلى درجتين أو أربع درجات تحت الصفر، في حين تكون في أثناء النهار حوالي ٢٢ درجة مئوية. لذلك استخدم الطوب اللبن في بناء الأدوار العليا من المنازل، بالإضافة إلى استخدام المواد الترابية في الأسقف، و الأحجار والطوب الآجر في البناء.وهذه المواد تتلاءم مع فصل الصيف أيضاً، حيث أنها تعمل على عدم اتساع الإشعاع الحراري، مما يؤدي إلى تلطيف درجة الحرارة داخل المنزل.

٢- الحرص في معظم الحالات على جعل المدخل والواجهة الرئيسة في الناحية الجنوبية " العدنية " باعتبارها مصدر الدفء لأنها لا تتعرض للرياح الباردة.

٣- الحرص على جعل غرف النوم في الناحية الغربية، وذلك لأنها تتعرض للشمس فترة طويلة من النهار، مما يساعد على اكتسابها كم كبير من الحرارة، وخزنها لفترة الليل.

٤- جعل غرف الاستقبال "الدواوين" في الناحية الجنوبية، وذلك لكونها أكثر دفئاً.

٥- زيادة عدد فتحات النوافذ في الجهات الشرقية والجنوبية والغربية لتأدية غرضي الإضاءة والتهوية، ودخول كم أكبر من الحرارة إلى داخل المنزل. في حين قَلَّت فتحات النوافذ في الناحية الشمالية التي تعد مصدر الرياح الباردة، وكانت فتحات النوافذ في هذه الجهة عبارة عن فتحات صغيرة تتخللها في بعض الأحيان فتحات نافذة على شكل نجوم، يطلق عليها "الثريا".

٦- جعل المطابخ ومخازن الغلال في الناحية الشمالية، وذلك لما فيها من برودة تساعد على حفظ المواد الغذائية. كما أن كثيرًا من الحمامات توجد في الجهة الشمالية، وذلك لأن التعامل مع هذا المرفق يكون لفترة محدودة فقط.

٧- أن بناء المنزل اعتمد على المواد المتوفرة بالبيئة، مثل حجر البازلت الأسود، الذي يوجد بذمار أفضل أنواعه، والذي يتميز بسطحه الأملس "الصورع" واستخدم في الأساسات كونه يقاوم الرطوبة والملوحة. في حين استخدم الحجر الأسود الفقاعي أو الإسفنجي "الحبش" في بناء الأجزاء العليا من الجدران، وذلك لكونه أخف وزناً. كما استخدمت أنواع أخرى من الأحجار في بناء المنازل، ومن ذلك الأحجار الكلسية "الجيرية والرملية". واستخدم الطوب اللبن في بناء بعض المنازل بكاملها، وفي البعض الآخر استخدم في بناء الأدوار العليا فقط، كذلك استخدم الآجر في بناء الأدوار العليا نظراً لخفة وزنه، مما لا يشكل ثقلاً على الأساسات، كما استخدم في عمل زخارف الواجهات، نظراً لسهولة كسره، وتهيئته بالشكل المطلوب لإعداد الزخارف.

٨ -استخدمت أنواع مختلفة من الأخشاب في عمل الأسقف، وبصفة خاصة خشب الطنب الذي يتميز بصلابته، بالإضافة إلى خشب الكافور وخشب الطلح، وخشب المشمش الذي يتميز بمقاومة الرطوبة والملوحة. وحرصاً على تقوية الأسقف كانت تقلل المسافة بين براطيم الأخشاب، ولا تزيد عن نصف المتر، كما كان لا يزيد طولها عن ثلاثة أمتار أو ثلاثة أمتار ونصف المتر. ومن استعمالات الأخشاب في عمارة المنزل في

ذمار وغيرها من المدن اليمنية وضع قوائم من الخشب تمتد أفقياً بين مداميك البناء وتسمى "فرشة". وقد يكون ذلك لمعادلة عمليات التمدد التي تتم في مواد البناء الأخرى وخاصة الأحجار، وكذلك امتصاص الهزات الأرضية والتقليل من آثارها على البناء بحيث لا تمتد الشروخ في البناء بكامله، مع الأخذ في الاعتبار أن منطقة ذمار من المناطق التي تكثر بها الهزات الأرضية. كما أن هذه الطريقة تمنع انزلاق جدران البناء إلى الخارج. ومما يجدر ذكره أن طريقة وضع كُتَلْ من الخشب بين مداميك البناء وجدت في قصر غمدان بصنعاء، لتوزيع الضغط الطارد على الجدران. كما استعمل الخشب في عمل الأبواب والشبابيك وأعتابها.

٩- استخدم الطين كمادة رابطة لمواد البناء سواء كانت أحجار أو آجر أو لَبِن، كما استخدم في تكسية الجدران من الداخل أو الخارج، وتسمى هذه العملية "المراجة".

١٠ - تمثل مادة الجص ملمحاً مميزاً في العمارة اليمنية بشكل عام ومنها المنازل، حيث يستخدم كمادة لاصقة – وبصفة خاصة عند استخدام الأحجار كمادة بناء، وفي تكسية الجدران الداخلية للمباني، حتى تكون أكثر إضاءة، وفي عمل الزخارف بمختلف أنواعها، ومن أبرزها في عمارة المنزل تأطير فتحات الأبواب والنوافذ بإطارات من الجص. وفي عمل القمريات من الزجاج المعشق في الجص، والتي تعد سمة بارزة في تكوين المنزل اليمني (اللوحتان ٧٥، ٧٦).

١١ –تعد مادة النورة المكونة من الجير المخلوط بالماء والملح من أكثر المواد المستعملة في تكسية جدران المنازل، وخاصة الجدران المغطاة بطبقة من الطين "المراجة". وتتميز مادة النورة بمقاومتها لنفاذ الماء إلى الجدران.

١٢ – تعد مادة القضاض المكونة من النورة المخلوطة بكسر الحجر والماء، من أكثر المواد صلابة، وفي مقاومتها الشديدة لتسرب المياه والرطوبة، لذلك استخدمت في أجزاء كثيرة من بناء المنزل مثل الأرضيات والجدران والأسقف وخزانات المياه، والمطابخ، وميازيب المياه، وغيرها.

بالإضافة إلى المواد السابقة المستخدمة كمواد تكسية أو طلاء، فقد استخدم في بعض منازل مدينة ذمار القديمة طريقة أخرى ولكن على نطاق ضيق، تتمثل في دلك أوراق النبات الخضراء دلكاً شديداً على الأجزاء السفلى من جدران المنازل والأرضيات، مما يؤدي إلى إكساب هذه الأجزاء اللون الأخضر. ويطلق على هذه العملية مصطلح "الصهارة" أي صهر الأوراق النباتية مع الطبقة التي أسفلها، وغالباً ما تقوم بهذه العملية النساء، لإضفاء لمسة جمالية على داخل المنزل.

وتنعكس في عمارة المنزل الذماري العوامل الاقتصادية والاجتماعية، ويتضح ذلك في عدة مظاهر منها::

أ– التكوين المعماري والوحدات التي يشتمل عليها المنزل، . ويظهر ذلك في مساحة المنزل وعدد الطوابق التي يشتمل عليها، ففي منازل الأثرياء يتراوح عدد الطوابق بين ٣ إلى ٥ طوابق، بينما تتكون منازل محدودي الدخل في أغلب الأحيان من طابق واحد أو طابقين. وفي منازل علية القوم والأثرياء يلحق بالمنزل حمَّام بخار ومصلى صغير ومقشامة، ومثل هذه الوحدات لا نجدها في

منازل محدودي الدخل، كما تفتقد – في معظم الأحيان – إلى بعض الوحدات التي تعد من المكونات الأساسية للمنزل اليمني، مثل المنظر أو المفرج، وذلك لارتباطه بارتفاع المنزل.

وقد أدى العامل الاجتماعي المتمثل في حرص الأسرة الواحدة على الإقامة في منزل واحد بالإضافة إلى الحرص على الناحية الاقتصادية، وذلك باستغلال مساحة البيت لتفي باحتياج الأسرة كلها، بدلاً من شراء قطعة أرض أخرى إلى التوسع الرأسي، مما ترتب عليه بالتالي صغر مساحة الحيز العمراني للمدينة.

ب– مواد البناء: استخدمت الأحجار المشذبة المتباينة الألوان بالإضافة إلى الآجر في منازل الأثرياء، بينما استخدم الطوب اللبن في منازل عامة الناس، واقتصر استخدام الأحجار على الأساسات وجدران الطابق الأرضي والعقود – في حالة وجودها –.

جـ– الجانب الزخرفي يتمثل في عدة مظاهر سواء كان في الواجهات الخارجية للمنازل أو في داخل المنزل نفسه. وتفتقد منازل عامة الناس إلى هذا الجانب، ويكاد يقتصر في معظم الأحيان على تحديد فتحات الأبواب والنوافذ بإطارات من الجص أو النورة، وفي زخرفة الأحزمة الفاصلة بين الطوابق.

بينما تنوعت الأشكال الزخرفية على واجهات وأجزاء منازل الميسورين، فقد وجدت الأشكال النجمية، ومنها أشكال النجوم السداسية التي وجدت في الأجزاء المفرغة من المشربيات الحجرية والآجرية، وفي القمريات من الزجاج المعشق في الجص، ومن أمثلتها القمريات في كل من الواجهة الجنوبية والشرقية والشمالية والغربية لبيت آل سلامة، كما وجدت على الجدران الداخلية لبعض مكونات المنزل ومن أهمها المفرج (لوحة ٧٧)، حيث تشتمل غرفة المفرجفي

بيت آل سلامة على أشكال دوائر ومثلثات ومعينات متداخلة مع الزخارف النباتية. ومن الزخارف الهندسية الشائعة في واجهات منازل ذمار زخرفة الخطوط المتكسرة، التي كانت تنفذ بقطع الآجر(اللوحتان٧٨، ٧٩).

د- العامل الأمني:يظهر ذلك من خلال واجهات المنازل، حيث نجد أن الأجزاء السفلى من البناء بارتفاع طابق أو أكثر تكاد تخلو من الفتحات، فيما عدا فتحة المدخل، بينما تكثر هذه الفتحات في الطوابق العليا، حتى نصل إلى المفرج الذي يعلو البناء، والذي تطغى فيه الفتحات على الجدران (لوحة ٧٧).

كما يتضح هذا العامل في عمل فتحة صغيرة في الباب الرئيس للمنزل "خوخة أو فرخ" حتى تكون عملية الدخول إلى المنزل مقننة. وكذلك الاهتمام بمتانة وسمك هذا الباب وما عليه من أقفال. وتنُم طريقة تنظيم كل مجموعة من المنازل حول بستان" مقشامة " مزروع بالخضر والفاكهة على مفهوم تحقيق الأمن الغذائي لسكان هذه المجموعة من المنازل في حالة تعرض المدينة لأي هجوم. وتظهر هذه الظاهرة بوضوح في مدينة صنعاء القديمة، ولكنها أقل أو تكاد تنحصر في نماذج قليلة جداً في منازل مدينة ذمار.

ومن الجدير بالذكر أن الاهتمام بتوفير الجانب الأمني في بناء المنزل ظاهرة شائعة في عمارة المنزل اليمني منذ عصور ما قبل الإسلام [١].

(١) بونافان، بول وغيميت ؛ صنعاء مسار مدينة عربية، معهد العالم العربي، باريس، ١٩٨٧م، ص ١٦.

- نماذج من منازل مدينة ذمار:

. منزل آل سلامة:

يمثل هذا المنزل نموذجاً لمنازل علية القوم بمدينة ذمار. ويقع في منطقة سوق الربوع وسط مدينة ذمار القديمة. وينسب المنزل إلى أحد أفراد أسرة سلامة، الذي كان من رجال العلم والقضاء في مدينة ذمار في القرن ١٣هـ/١٩م. والمنزل واحد من خمسة منازل متجاورة تنسب لهذه الأسرة. وقد اتخذ عبد الله الوزير الذي كان حاكماً لذمار في عهد الإمام يحيي حميد الدين المنزل مسكناً له.

الوصف المعماري:

يتكون المنزل من ثلاثة طوابق يعلوها المفرج. وقد بني الطابقان الأرضي والأول بحجر الحبش الأسود المشذب، بينما بني الطابق الثاني والمفرج بالآجر "الطابوق". ويؤدي إلى المنزل فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري تتوسط الواجهة الجنوبية، يعلوه عقد آخر أصم نصف دائري أكثر اتساعاً، وقد شغلت المساحة بين إطاري العقدين "قنديلية" مركبة مكونة من عشرة فتحات مستطيلة تقل كلما ارتفعت، حيث تشتمل في الصف الأسفل على أربع فتحات، تليها ثلاث فتحات ثم فتحتين، وتنتهي بفتحة واحدة. ويقوم على فتحة الباب مصراع ضخم من الخشب، تتخلله فتحة صغيرة "خوخة" أو "فرخ" حسب المصطلح اليمني. وكما هو المتبع فإن هذه الفتحة الصغيرة تستخدم في الدخول في مختلف أوقات اليوم، ولا يفتح الباب الكبير إلا عند الضرورة، مثل دخول الإبل أو الدواب المحملة بالغلال أو غيرها، أو عند وفود أعداد كبيرة من الناس

للمنزل في بعض المناسبات مثل الأعراس والعزاء وغيرها. وعلى جانبي فتحة الباب توجد فتحات ضيقة مستطيلة.

ويدخل من الباب إلى رحبة مستطيلة وزعت حولها الوحدات المعمارية التي يشتمل عليها الطابق الأرضي، ففي الجانب الأيمن منها توجد غرفة مرتفعة، يؤدي إليها درج "محكمة" مقامة فوق مخزنين للغلال "حران"، بينما يوجد في الجانب الأيسر من السقيفة مخزنين للغلال "حران". ويتصدر السقيفة في مقابل المدخل مخزن به سبعة كيود، وإلى جانبه مخزنين آخرين للغلال. وتخلو هذه المخازن من أي عناصر معمارية، فيما عدا فتحات ضيقة مستطيلة تستخدم للإضاءة والتهوية" شواقيص " (لوحة ٨٠)، كما أنها تتميز بأن جدرانها مكسوة بالقضاض. ويصعد على درج حجري في الجانب الأيسر من السقيفة إلى الطابق الأول. وقد استغلت المساحة بين سقف المخازن وبداية الطابق الأول في عمل غرفتين ذات سقف منخفض تسمى "الحافة". ويتخلل الجدار المطل على الشارع لكل غرفة نافذة. ويقابل هذه الحافة وفي نفس المستوى غرفة مخزن.

وأهم ما يشتمل عليه الطابق الأول الديوان "قاعة الاستقبال"، حيث كان يشتمل على ثلاثة دواوين "جنوبي وشرقي وشمالي" وحمامين ومطبخ، ولكن في فترات لاحقة لإنشاء المنزل تم إحداث تغييرات في هذا الطابق تمثلت بشكل أساسي في تقسيم كل ديوان إلى غرفتين، فأصبح الطابق مشتملاً على ست غرف وحمامين ومطبخ، ويلاحظ الاهتمام بزخرفة الديوان بشكل خاص (سيرد الحديث عن الزخارف).

ويتكون الطابق الثاني من مجموعة من الغرف وملحقاتها من دورات المياه والمطبخ، ويخصص هذا الطابق لإقامة الأولاد من الذكور والإناث. ويوجد بين وحدات كل طابق بعض الممرات الضيقة، يطلق على كل منها "ريشة". أما المفرج الذي يعلو البناء فإنه يخصص للضيوف للراحة وجلسات تخزين القات خاصة في فصل الصيف (لوحة٧٧).

التكوين الزخرفي:

تنوعت الاتجاهات الزخرفية في منزل آل سلامة، ومن ذلك العقود المغشاة بقمريات من الزجاج المعشق في الجص، التي تشتمل على زخارف هندسية ونباتية متنوعة، والتي تعلو فتحات النوافذ في كل من الواجهة الجنوبية والشرقية والشمالية والغربية. ومن الزخارف أشكال الخطوط المتكسرة التي تمتد على الواجهة الشرقية، وعلى الواجهة الجنوبية أسفل النوافذ والشواقيص بالطابق الثاني، وهي عبارة عن شريط من خطوط متكسرة متتالية، كما نجد أمثلة للزخرفة الهندسية في غرفة المفرج عبارة عن أشكال دوائر ومثلثات ومعينات متداخلة مع الزخارف النباتية.ويزخرف جدار الواجهة الجنوبية للطابق الأول تكوين زخرفي عبارة عن شكل ورقة نباتية قلبية، على كل جانب منها ثلاث أوراق نباتية صغيرة، ونجد مثالاً لها في واجهة الطابق الثاني من الواجهة الشرقية، وفي الطابق الثاني من الواجهة الشمالية. كما تشتمل غرفة المفرج على زخارف نباتية عبارة عن أغصان نباتية تتدلى منها أوراق وأزهار.

أهمية منزل آل سلامة:

يمثل هذا المنزل نموذجاً لمنازل علية القوم في مدينة ذمار، ويظهر ذلك في عدة نقاط أهمها:

- اشتماله على وحدات لا تتوفر في المنازل البسيطة، ومن ذلك وجود فناء يتقدم الواجهة الجنوبية، ووجود حديقة تتقدم الواجهة الشمالية، وبئر للمياه.
- الاهتمام بالجانب الزخرفي، ويتمثل ذلك في عدة مظاهر، منها:-

- الشريط الفاصل بين كل طابق والآخر "الحزام"، وهو هنا عبارة عن شريط خالي من الزخرفة، لكنه يحدد نهاية كل طابق، مما يبعد الواجهة عن الرتابة.
- أشكال فتحات الشواقيص الضيقة على جوانب النوافذ والمشربيات.
- استخدام المشربيات الحجرية التي تبرز قليلاً عن سمت الجدار، وتتخللها فتحات تتخذ أشكالاً هندسية متنوعة مثل الدوائر أو النجوم، ومن أمثلتها المشربية التي تتوسط الطابقين الثاني والثالث من الواجهة الجنوبية، غير أنها في الطابق الثالث من الآجر. والمشربية الحجرية التي تتوسط جدار الطابق الثاني من الواجهة الشرقية وكذلك الطابق الثاني من الواجهة الشمالية (لوحة ٨١).
- زخرفة أجزاء من الواجهات بالزخارف النباتية والهندسية المتنوعة، ومن أمثلة ذلك الزخرفة التي توجد إلى يمين المشربية التي تتوسط جدار الطابق الثاني من الواجهة الجنوبية، وهي عبارة عن مزهرية تخرج منها أفرع نباتية ينتهي كل منها بشكل زهرة.
- الزخرفة الهندسية من أشكال معينات، والتي نجد مثالاً لها أسفل النافذة التي توجد في الطابق الأرضي من الواجهة الشرقية، وأسفل نوافذ الطابق الثاني من هذه الواجهة.

- تشكيل بعض الفتحات النافذة على شكل خطين متقاطعين "صليب"، ونجد مثالاً لها في جدار الطابق الثالث من الواجهة الشمالية، وربما يكون الإقلال من حجم هذه الفتحات ناتج عما تتعرض له هذه الجهة من رياح باردة.
- توجد أمثلة للزخارف الكتابية على أعتاب نوافذ غرفة المفرج، وتشتمل على أبيات من الشعر منفذة بالخط الكوفي المورق.

نظراً لأن لآل سلامة أكثر من منزل، فقد عمل ممر علوي " مخلفة، ساباط " يسهل عن طريقه الانتقال من منزل إلى آخر (لوحة ٨٢)وهي حيلة معمارية اتبعها المعمار في الأندلس منذ عصر الإمارة، لتسهيل انتقال الأمير من القصر إلى المسجد الجامع دون أن يمر بالشارع. ومن ذلك أيضاً الساباط الذي يربط بين مئذنة وجامع أحمد بن طولون بمدينة القاهرة.ومن أمثلته في المغرب ساباط جامع الكتبية بمراكش، كما يعلو رفرف المدخل في مدرسة الصهريج بمدينة فاس القديمة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م ساباط يربط بينها والمبنى المواجه لها، كما يربط الواجهة الجنوبية لمدرسة العطارين بمدينة فاس ٧٢٣-٧٢٥هـ/١٣٢٣-١٣٢٥م بالواجهة الشمالية لمسجد القرويين ساباط [١]. ومن أمثلته في الأندلس الساباط الذي يربط ما بين القصر والمقصورة من خلال فتحة في جدار القبلة في كل من جامع قرطبة وجامع قصبة أشبيلية [٢].ويبدو

(١) محمد السيد محمد أبو رحاب ؛ المدارس المغربية في العصر المريني، دراسة آثارية معمارية، ط ١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١١م، ص ٣٢٣.

(٢) عبد العزيز سالم ؛ بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج٥، ١٩٥٧م، ص ٢٤٤، ص ٢٤٩.

أن عمل ممرات تربط بين الأجزاء العليا من العمائر كان أمرًا سائدًا في الأندلس، حيث اتبع ذلك أيضاً في الربط بين المنازل.

منزل حارة الشيخ:

يقع في حارة الشيخ بمدينة ذمار القديمة.ويمثل نموذجًا لمنازل الطبقة المتوسطة من المجتمع ، سواء كان ذلك من حيث مواد البناء أو عدد الطوابق التي يتكون منها، والوحدات المعمارية التي يشتمل عليها وخاصة غرفة المفرج، أو من حيث التشكيل الزخرفي، الذي وإن كان بسيطاً، إلا أنه ليس معدوماً.

الوصف المعماري:

يتكون المنزل من ثلاثة طوابق، بني الأرضي منها بحجر الحبش الغير مشذب، وبني الطابق الأول بالطوب اللَبِن والآجر، بينما الطابق الثاني من الآجر. ويؤدي إلى داخل المنزل فتحة باب في الجهة الشرقية معقودة بعقد نصف دائري، يدخل منها إلى سقيفة على شكل ممر منكسر، وفي الجهة الشمالية من السقيفة توجد حظيرة للمواشي، يوجد في أحد جدرانها المطلة على الدرج فتحات ضيقة نافذة للإضاءة والتهوية.وفي الجهة الغربية من السقيفة يوجد مخزن لعلف الماشية، وقد فتح في أحد جدرانه بعض الفتحات الضيقة النافذة للإضاءة والتهوية، وفي الجانب الجنوبي من السقيفة يوجد غرفة صغيرة تستخدم لعدة أغراض، حيث خصص جزء منها كخزان للفضلات، ونصب في جزء منها طاحونة حجرية لطحن الحبوب، ويطل الجدار الغربي لهذه الغرفة على الشارع، وقد فتحت في هذا الجدار ثلاث فتحات نافذة ضيقة.وفي جانب من السقيفة يوجد درج حجري يؤدي إلى الطابق الأعلى، وينتهي الدرج إلى غرفة كانت حماماً من قبل، ولكنها تحولت إلى مخزن، وإلى جوارها باب آخر

معقود بعقد من حجر الحبش، يدخل منه إلى صالة وسطى تتوزع حولها بقية وحدات هذا الطابق، والتي تتكون من الديوان، الذي يقع في الجزء الشرقي من الصالة، وقد فتحت في الجانب الشرقي من الديوان ثلاث فتحات نوافذ تعلوها قمريات، كما فتحت فتحتان ضيقتان "شواقيص". وفي الجهة الغربية يوجد ممر "ريشة" يدخل منه إلى حمام، إلى جواره غرفة، كما يشتمل هذا الطابق على المطبخ، الذي كان مكوناً من غرفة مقسمة بواسطة حاجز إلى قسمين.وفي منتصف الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني يوجد في الجهة الجنوبية غرفة المنظر، وهي عبارة عن غرفة مستطيلة، يتخلل كل من الجدار الشمالي والجنوبي منها فتحة نافذة يعلوها قمرية، كما توجد في كل من الجدار الشمالي والشرقي قمريتان بدون فتحات نوافذ.

وبالصعود إلى الطابق الثاني فإنه يتكون من رحبة أو فناء، جزء منه مكشوف وبقيته مسقوفة، وفي الجهة الشرقية من الفناء يوجد ديوان مستطيل تتخلل جدرانه خمس فتحات نوافذ يعلو كل منها قمرية، بالإضافة إلى فتحات ضيقة نافذة "شواقيص". ويقابل الديوان غرفة في الجهة الغربية تتخلل جدرانها فتحات نوافذ تعلوها قمريات، كما توجد قمرية بدون نافذة، بالإضافة إلى فتحة ضيقة نافذة "شاقوص".وفي الجهة الجنوبية يوجد المطبخ، ويحتفظ بتخطيطه التقليدي، حيث يوجد به تنور من الفخار، فتحت أعلاه فتحة في السقف لخروج الدخان، كما توجد فتحات ضيقة نافذة "شواقيص" لنفس الغرض. كما يشتمل هذا الطابق على دورة مياه. وقد أجريت أعمال إصلاح وتجديد في هذا الطابق.

ويؤدي درج من الطابق الثاني إلى غرفة المفرج، وهي عبارة عن غرفة مستطيلة تؤدي إليها فتحة باب في الجدار الغربي، وكما هو متبع في عمارة

المفرج، فإن فتحات النوافذ تغلب على الجدران، فقد فتحت في جدرانه فتحات نافذة متسعة تعلوها قمريات، كما يلاحظ الاهتمام بزخرفة جدرانه.

الزخارف:

كون هذا المنزل يمثل نموذجاً لمنازل الطبقة المتوسطة من المجتمع، فإن الاهتمام بالجانب الزخرفي ممثلاً في عدة مظاهر نجملها فيما يلي:

- زخرفة الأشرطة التي تفصل بين الطوابق "الأحزمة" بزخارف عبارة عن خطوط متكسرة، تتخللها أشكال دوائر، أو مثلثات كما هو الحال في شريط التجواب.
- عمل أشرطة من زخارف من خطوط متكسرة منفذة بالآجر تمتد أسفل فتحات النوافذ والشواقيص.
- عمل إطارات من الجص حول فتحات النوافذ والقمريات والشواقيص، بعضها على شكل مستطيل يعلوه شكل قبة.
- عمل مشربية حجرية بارزة عن سمت الجدار في أعلى الطابق الأرضي، تتخلل واجهتها أشكال هندسية مفرغة.
- تركزت الزخارف بشكل أساسي في غرفة المفرج، وتمثلت في إحاطة فتحات القمريات بشكل فرع نباتي منفذ بالجص تخرج منه أشكال أوراق نباتية، وعمل عقود مفصصة من الجص أسفل الأرفف الحائطية، وإحاطتها بزخارف نباتية بسيطة.
- وجود كتابات بسيطة تتمثل في لفظ الجلالة، وعبارة التوحيد، بالإضافة إلى أبيات من الشعر، نفذ معظمها على أعتاب النوافذ.

منازل حارة" قاع " اليهود:

تقع حارة أو قاع اليهود في الجانب الشرقي من مدينة ذمار، بين حارة الحوطة وحارة الصلاحي. وكان القاع في الماضي يشغل حيزاً عمرانياً مستقلاً، لكنه أصبح الآن تابعاً لحارة الصلاحي. ويتكون القاع من مساحة مسوَّرة ومحصنة ولها بوابتان تقع الرئيسة منهما في الجانب الشمالي، وهي بوابة كبيرة تواجه جامع الصلاحي، ويعلوها غرفة للحراسة، وبوابة أصغر في الجانب الشرقي، ويعلوها منزل عاقل حارة اليهود سابقاً. وكانت توجد بوابة في الجهة الغربية ولكنها هدمت. وتمتد الشوارع من البوابات وتلتقي في ساحات تخصص للاحتفالات الاجتماعية والدينية. وتتسم شوارع الحارة بالضيق. وكان يوجد بالقاع معبد يهودي، وقد أقيم مكانه مسجد، مازال من آثاره المدرسة التي كانت ملحقة به.وتضم الحارة حماماً بخارياً كان يقوم عليه آل راوية، وقد تهدمت أجزاء كثيرة منه وتبقت قبته وأجزاء من الجدران الحاملة لها.

أما منازل القاع فإنها متلاصقة، ويربط بين طوابق كل منزل درج ضيق جدًا، كما يشتمل كل منزل على درج سِري يستعمل للهروب في حالة الخطر. وانفردت منازل اليهود باشتمالها على فناء داخلي تفتح عليه الغرف والسلم والنوافذ، وتتسم فتحات الأبواب والنوافذ بالضيق، ويرتبط ذلك بطبيعة مناخ منطقة ذمار، حيث يوجد مثل ذلك في منازل مدينة ذمار القديمة، كما أن المنازل في قرى اليمن متلاصقة وتفتح نوافذها على الداخل، بينما الجدران من الخارج صماء[1].كما أنه يرتبط بعوامل أيدلوجية. ويوجد في كل منزل فتحة في الجهة اليسرى من سقف إحدى الغرف، مركب عليها قائمان من الخشب، تعرف

(١) غازي رجب: الستائر الجصية ص ٦١.

باسم " الشوعة"، وهي خاصة بطقس يهودي، يؤدى عشية ليلة السبت وطوال يوم السبت، حيث يقف تحتها المشوبعون طيلة تلك الليلة لرصد النجوم، وتعلق على الخشبتين القناديل. ويشتمل كل منزل على بئر مياه وحوض للاستحمام.

ولم تقتصر إقامة اليهود في ذمار على قاع اليهود، وإنما تواجد بعضهم في الأحياء التي يسكنها المسلمون؛ ففي حارة الطعام توجد آثار منزل العيلوم الأكبر وبه أطلال المعبد اليهودي. ويعد قاع اليهود في ذمار الحي اليهودي الوحيد في اليمن المحتفظ بالكثير من تصميمه العمراني وتكوينه المعماري، والذي تنعكس فيه الكثير من المفاهيم الدينية والاجتماعية اليهودية.وقد تواجد اليهود في مدينة صنعاء، التي ذكر أنها كانت بها سنة ١١٧١هـ/ ؟ أربع عشرة كنيسة معمورة، ولكن في تلك الفترة هدمت الكثير منها وبقيت ثلاث فقط. كما ذكر أنه كان لليهود باع طويل في جميع الصناعات، وكان منهم مائة صانع في دار الضرب [١]. وكان اليهود قد طردوا من صنعاء سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٨٠م إلى المَخْا، ثم عادوا إلى صنعاء في أواخر القرن ١٧م، وبنوا حي القاع في الجانب الغربي من بئر العزب ولا يفصله عنه سوى سور صغير. وكانوا يسكنون قبل خروجهم في موضع سوق السبحة غربي السايلةفي مساكن خاصةبهم إلى الغرب من بئر العزب، وكان يطلق على ذلك التجمع السكني " قاع اليهود "أيضًا. وظلوا مقيمين بصنعاء حتى طردوا منهاسنة ١٩٥٠م [٢].

(١) جمال الدين بن القاسم: وصف صنعاء، ص ص ٦١- ٦٢.

(٢) عباس فاضل السعدي: نشأة مدينة صنعاء وتطورها، مجلة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، العدد ٣٤، صنعاء، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ٨٧.

ثانياً: منشآت الرعاية الاجتماعية

- حمَّام بهرام باشا بذمار:

ينسب إلى بهرام باشا الوالي العثماني على اليمن (٩٧٨ – ٩٨٣هـ / ١٥٧٠ – ١٥٧٥م) الذي اتخذ من ذمار عاصمة له، ثم أسس مدينة "مَلحَظ "، وجعل معسكره خارجها[١].وشيد بملحظ قصراً وحماماً وسوق. ويقع الحمَّام المنسوب إليه عند نهاية شارع المعارض، ويطل على ميدان " جولة " الحكومة. ويتبع في تخطيطه نمط الحمامات في مختلف بلاد العالم الإسلامي ومنها اليمن ؛ حيث يتكون من قاعة استقبال بها جلسات أو مصاطب للراحة، تتوزع حولها القاعات الباردة والدافئة والساخنة، ويغطي كل من قاعة الاستقبال والقاعة الساخنة قبة (لوحة ٨٣)، وكان مزوداً بمستوقد ومراجل لتسخين الماء، كما كان متبعاً في عمارة الحمامات، غير أنه يتسم بالبساطة في تكوينه المعماري والزخرفي.

- الأسبلة:

من المنشآت الخيرية بمدينة ذمار " الأسبلة " التي كانت إما أن تُبنى مستقلة، حيث كانت تتوسط الميادين التي تفضي إليها الشوارع، أو أن تلحق بمنشأة تجارية ومنها السماسر، فقد كان ملحقاً بسمسرة الهنداوي سبيل، تدل عليه كتابات اللوحة التي مازالت مثبتة على الجدار (لوحة ٨٤)، كما كان يحرص المعمار على إلحاقها بالمساجد، لكثرة المترددين عليها، ومنها الأسبلة في كل من الجامع الكبير ومسجد الإمام يحيى بن حمزة ومسجد الأمير سنبل

(١)أحمد صالح عبد ربه المصري:مدينة ملحظ " ذمار الصغرى مركز حكم ولاية اليمن في عهد الوالي العثماني بهرام باشا (٩٧٨ – ٩٨٣ هـ / ١٥٧٠ – ١٥٧٥م) كتاب ذمار عبر العصور، إشراف أحمد محمد الحضراني، متابعة وجدان الصائغ، دار جامعة ذمار للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م، ص ١٧٢.

ومسجد الطعام ومسجد لقمان ومسجد الصلاحي ومسجد القحيف ومسجد الناصر ومسجد الجيلاني.ويعد السبيل الملحق بمسجد الربوع من أحسن نماذجها ، الذيأضيف إلى المسجد في تاريخ لاحق، حيث بني المسجد سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٧م.ويلاصق السبيل الجهة الغربية من مبنى المسجد. ويشغل مساحة مربعة مغطاة بقبة، وله ثلاث واجهات في كل من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية، تطل على شارع سوق الربوع.وقد نقشت على الواجهة الغربية كتابة نصها " عمل الأسطى ضيف الله... محمد تاريخه شهر صَفَر ١٣٤٥ هجرية (١٩٢٦م). وعلى الواجهتين الشمالية والجنوبية كتابة " نصها "سبيل مستمر غفر الله لفاعله".

الفصل السادس
المنشآت التجارية بمدينة ذمار

تعد مدينة ذمار نقطة اتصال بين جنوب اليمن وشماله، وعلى طريق القوافل، ومحطة كبيرة لتجارة شرقي اليمن [١]. وكانت الطرق البرية في مختلف العصور المعابر الأساسية للقوافل التجارية في اليمن، وساعد على ذلك استئناس اليمني القديم للجمل منذ الربع الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد، وواكب ذلك زيادة النشاط الزراعي في الأودية التي ازدهرت على ضفافها ممالك اليمن القديم [٢]. وأدى مرور القوافل التجارية عبر طرق معينة إلى نشأة مراكز ومحطات تجارية في المدن والوديان الشرقية من اليمن. وعندما حوَّل البطالمة التجارة إلى البحر الأحمر، أدى ذلك إلى تحول مراكز التجارة إلى المناطق الوسطى حيث المرتفعات والقيعان، وإلى مدن السواحل الغربية.

وكانت ذمار إحدى المحطات التي تتوقف فيها القوافل، وساعد على ذلك موقعها المتوسط بين مدن شمال اليمن وجنوبه، فكانت رحلة الشتاء التي كان يتبادل فيها أهل قريش المتاجر مع أهل اليمن، تتوقف في عدة محطات في شمال وجنوب الجزيرة العربية، وهي تبوك، يثرب، مكة، الطائف، جرش، صعدة، صنعاء، ذمار، الجَنَدْ. وقد استمر هذا الطريق خلال العصر الإسلامي، وزاد من أهميته أنه صار طريقاً للحجيج، إلى جانب كونه طريقاً للقوافل، فقد ذكر المؤرخ اليمني "الهمداني" الذي عاش في القرن ٤هـ/١٠م درب الحجيج، وقال أنه يبدأ من عدن إلى مكة، ويمر بعدة محطات وهي عدن،

(١) الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط. ٢، ح٢، ص ١١١.

(٢) محمد عبد القادر بافقيه: موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام (مختارات من النقوش اليمنية القديمة)، تونس، ١٩٨٥م، ص ١٤.

- Sauer, J. Blokely, J., Archaeology along The Spice Route Of Yemen (Araby The Blest) Copenhagen, 1988, P. 101.

لحج، تعوبة، ورزان، الجند، السحول، ثم حقل قتاب"كتاب حالياً"، ثم ذمار وخدار، إلى صنعاء، ثم يمر بعدة محطات حتى يصل إلى مكة [١]. وقد نال هذا الطريق اهتمام الحكام المسلمين، وبصفة خاصة في عصر الدولة الرسولية، ففي سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م أعاد السلطان المظفر الرسولي شق الطريق إلى ذمار [٢].

وكان من الطبيعي أن تتوافق المنشآت في المدينة مع هذا النشاط التجاري الذي ازدهر في مدينة ذمار، ونلاحظ ذلك في أمرين:

أولهما: كثرة الأسواق التي يخصص كل منها لبيع سلعة معينة أو مادة من المواد، ومن أمثلة ذلك سوق السمن، وسوق المقطارة، وسوق الزيت، وسوق العلف، وسوق البز "المنسوجات"، وسوق المنقالة "الأحذية والنعال بكافة أنواعها"، وسوق البجد، وكان يخصص لتصنيع وبيع الجنبيات وما يتعلق بها، ولكنه أصبح مخصصاً بعد ذلك لبيع الأسلحة بكافة أنواعها، وسوق المحدادة، ويخصص لأعمال الحدادة من أدوات الفلاحة وأدوات البناء ومستلزمات العمائر، وسوق المنجارة، الذي يخصص للأشغال الخشبية، التي لم تقتصر على الأبواب والشبابيك، وإنما شملت أيضاً صناديق العروس، وغيرها من قطع الأثاث.

ويتكون السوق من مجموعة من الحوانيت تتميز في معظم الأحيان بصغر مساحتها، وأن لكل منها فتحة باب يفتح على ممر ضيق، كما أن أسقفها

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد ؛ صفة جزيرة العرب، ص ص ٣٣٩-٣٤٤.

(٢) الخزرجي، علي بن الحسن؛ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج. ١، ص ١٨٤.

منخفضة، ولكل حانوت مصطبة مرتفعة عن مستوى أرضية الشارع أو الممر الذي يطل عليه. وتختلف الممرات التي تفصل بين الحوانيت إذ أن بعضها مسقوف بأسقف من براطيم خشبية، كما أن بعضها مكشوف. وتنتهي الشوارع الضيقة التي تتكون منها الأسواق إلى ساحات على شكل مربع أو مستدير، يتوسطها في معظم الأحيان سبيل صغير، عبارة عن بناء بسيط مغطى بقبة تتخلله فتحات من جوانبه الأربعة، وهذه الساحة تكون فاصلاً ما بين سوق وآخر.

وإلى جانب هذه الأسواق المغلقة اشتملت المدينة على أسواق مفتوحة، تخصص لبيع الخضر والفاكهة والحبوب والطيور، وغيرها من الأشياء. وبعضها يعقد بشكل يومي أو أسبوعي. وقد سمي بعضها حسب يوم انعقاده مثل سوق الربوع نسبة إلى يوم الأربعاء. ومن أكبر هذه الأسواق المفتوحة ما كان يعقد في ساحة الجامع الكبير في يوم الجمعة عقب الصلاة، إسوة بما هو متبع في معظم المدن الإسلامية. ويضاف إلى ذلك الأسواق الصغيرة التي توجد في بعض الساحات التي تتخلل الشوارع والأزقة لتلبية احتياجات كافة السكان في كل أرجاء المدينة.

ثانيهما: أنه ترتب على توافد أعداد كبيرة من التجار والعملاء من المدن والقرى المجاورة إلى مدينة ذمار ضرورة توفير أماكن لإيواء هؤلاء وما يحملونه من بضائع أو سلع، بالإضافة إلى دوابهم، وهي المنشآت التي عرفت في اليمن بصفة عامة باسم "السماسر".

السماسر:

اختلفت مسميات أماكن إقامة التجار وبضائعهم ودوابهم باختلاف بلاد العالم الإسلامي، ففي بلاد فارس وآسيا الصغرى وبلاد الشام يطلق عليها خان [١]، وتعني المنزل الذي يسكنه التجار [٢] أو الوكالة وهي مخازن تجارية يملكها شخص أو أسرة تكون مسؤولة عن إدارتها، وقد تباع فيها سلع متنوعة، فتنسب في هذه الحالة إلى صاحبها مثل وكالة قايتباي أو وكالة الغوري أو وكالة بازرعة، أو أنها تختص ببيع سلعة معينة فتسمى باسمها. وقد شاعمسمى " وكالة " في مصر منذ العصر المملوكي. وفي بلاد شمال أفريقيا يطلق على هذه المنشآت لفظ "فندق"، وهي مأخوذة من الكلمة اليونانية Pandokien وهي مساكن تخصص للتجار، بينما يرى ابن منظور في لسان العرب أن كلمة فندق فارسية وتعادل الخان في بلاد الشام. أما في بلاد اليمن فإن هذه المنشآت

(١) كلمة خان تعني في الفارسية الحانوت أو المخدع. انظر، السيد آدي شير ؛ معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٥٨. وتعني في التركية دار العمل والتجارة. انظر، مصطفى شمس الدين الشهير بالأفتري؛ قاموس أفتري كير، ج ١، مادة خان، المطبعة العامرية، ١٣١٠هـ. وقد لقب بهذه الكلمة سلاطين تركستان (دائرة المعارف الإسلامية – مادة خان)، وهي اختصار لكلمة قاغان أو خاقان والتي تعني السلطان الأعظم (طوبيا العنيسي ؛ تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، دار العرب البستاني، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢٣.

(٢) آمال أحمد العمري ؛ المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ص ١٤٦.

تسمى "سماسر"، وكلمة سمسر تعني التوسط بين البائع والمشتري [١]. وربما جاءت هذه التسمية متمشية مع الوظيفة التي كانت تؤديها السمسرة، حيث كان يرسل التاجر بضاعته ليتم بيعها من قِبَل تجار يقيمون في السمسرة مقابل الحصول على نسبة من الربح. وكان ذلك يتم تحت إشراف موظف معين من قِبَل الحكومة يعرف بـ "السمسري" أو "المقهوي". ويذكر سرجنت أن كلمة "سمسرة" حلت في اليمن في القرن ٩هـ/١٥م محل كلمة "خان" [٢]، حيث كانت تنشأ منشآت تجارية تسمى " خان "، فقد ذكر ابن الديبع في " بغية المستفيد " أن السلطان المجاهد الرسولي أنشأ خان المجاهدي بزبيد سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م. ولا يعني ذلك أن كلمة خان قد اندثرت تماماً، بل ظلت مستعملة في اليمن على نطاق ضيق حتى تاريخ متأخر، ففي مخطوط "المنشورات الجلية" لجمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم، المتوفى بعد سنة ١١٧٦هـ ؟، تضمن وصفاً لدور صنعاء، ومما ورد في ذلك "وإن في صنعاء خانات كثيرات نحو الثلاثين، الخان كلها محدثات في بيوت الأغراب، ومحل الأمانات... الخ"[٣].

وجدت السماسر في اليمن داخل وخارج المدن، وبصفة خاصة في المدن الكبرى. وتنقسم إلى أنواع فهناك سماسر صغيرة، تتكون من مدخل رئيس إلى

(١) رفعت موسى محمد ؛ الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، ط.١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣هـ.

(٢) سرجنت، ر. ب ؛ التجار والتجارة في اليمن من القرن ١٣ إلى القرن ١٦م، كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، سلسلة الدراسات المترجمة، ترجمة نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ٦١.

(٣) ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله؛ وصف صنعاء، مستل من مخطوط المنشورات الجلية، تحقيق عبد الله الحبشي، ط. ١، صنعاء، ١٩٩٩م، ص ٨١.

جانبه حجرة المسئول عن السمسرة، كما يوجد بها موقد لإعداد القهوة والشاي للنزلاء، يلي ذلك حجرة كبيرة أو قاعة، تنقسم إلى قسمين، الأول يخصص للرجال للنوم، والقسم الثاني في نهاية هذه القاعة ويخصص للدواب. أما في السماسر الكبيرة فإن الطابق الأرضي يخصص للدواب، بينما تخصص الطوابق العليا سواء كان طابق أو أكثر لسكنى التجار وتخزين البضائع. وقد أوردأفراد الرحلة الإسكندنافية من كوبنهاجن إلى صنعاء التي تمت في سنتي ١٧٦٢ – ١٧٦٣م أوثافاً مختصرة لبعض السماسر أو الخانات التي نزلوا بها في طريقهم من تعز إلى صنعاء، وذكروا أن لها حوائط عالية في كل جانب، وكان المسافرون يدخلونها بجِمَالهم، ويشترون منها خبز الذرة والقهوة والأرز والزبدة، ويقضون الليل كله آمنين، لأن بابها كان يغلق كل مساء، ولا يفتح إلا صباح اليوم التالي، بعد أن يتأكد كل نزيل أنه لم يفقد منه شيئ. كما ذكروا أنهم وجدوا في قرية المنزل عند سفح جبل سُمارة خاناً معداً إعدادا حسناً، وأرضيته من الحجر. بينما نزلوا في يريم في نُزُل لم يكن مقسما إلى غرف، وإنما كان النزلاء في قاعة متسعة[١].كما ذكر نزيه مؤيد العظم أنه نزل في سمسرة في معبر إلى الشمال من ذمار، وأنها نظيفة وفسيحة وأن الطابق الأول مخصص للحيوانات، بينما الثاني والثالث للمسافرين، ووصف الطابق الثاني الذي نزل فيه أنه مكون من أربع غرف صغيرة ومطبخ وحمام، وأن أبوابها جميعاً منخفضة.كما انتشرت على الطرق نوع من السماسر يعرف بـ "السبيل" أو "السقف"، وسميتسبيل لأنها كانت تبنى تطوعاً ويقيم التجار فيها دون مقابل لفترة قصيرة للاستراحة من

(١) هانسن، توركيل: من كوبنهاجن إلى صنعاء، ترجمة محمد أحمد الرعدي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ص ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٨٦.

عناء السفر ومواصلة المسير [١]. وكانت هذه السماسر "الأسبلة" بسيطة في تكوينها حيث أنها تتكون من مدخل معقود لا يُركَّب عليه باب، حتى يكون الدخول متاحاً لأي قادم وفي أي وقت. ويراعى ألَّا يكون هذا الباب في اتجاه الريح. ويؤدي الباب إلى مساحة مستطيلة مسقوفة لا تشتمل على أي أثاث. ومن أمثلتها السمسرة التي أمرت الدهماء بنت المؤيد بالله وزوجة عز الإسلام محمد بن الحسن ببنائها للمسافرين عندما قام زوجها ببناء مشهد على قبر الإمام أبي الفتح الديلمي سنة ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م، في المكان الذي يعرف الآن بقاع الديلمي [٢].

- **السماسر بمدينة ذمار:**

تضم مدينة ذمار عدداً من السماسر، بعضها لازال قائماً مثل سمسرة الزبيدي (قشطة سابقاً)، وسمسرة الحودي، وسمسرة حجيرة، وسمسرة ساوي، وسمسرة الأكوع، وسمسرة علوي مهتدي (بعضها خرب وبعضها قائم) وسمسرة سلامة، التي تبقى منها الطابق الأرضي والواجهة الجنوبية. وبعض هذه السماسر مهجور ومنها سمسرة قرايش، وسمسرة حجيرة، وسمسرة دادية وسمسرة الفقيه. وبعضها خرب ومنها سمسرة الوقف، وسمسرة زيد المعطب وسمسرة الهندي.

وتنقسم السماسر حسب الوظيفة التي تؤديها إلى عدة أنواع، ومنها:

(١) الوزير، عبد الإله بن علي ؛ تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ١١٣.

(٢) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله: ؛ تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ص ١١٢-١١٣.

- سماسر الإيواء: من أكثر أنواع السماسر انتشاراً، وغالباً ما كانت تنسب إلى الأسرة التي أنشأتها وتقوم على خدمة نزلاءها. ومن أمثلتها في مدينة ذمار سمسرة سلامة، وسمسرة حجيرة، وسمسرة علوي مهتدى. وكانت هذه السماسر لإيواء المسافرين ودوابهم، فقد ذكر الحجري أن بذمار سماسر ينزلها المسافرون ودوابهم[1].(خريطة ٤)
- سماسر خزن البضائع: وهي أقل انتشاراً من سماسر الإيواء، لأن سماسر الإيواء كان يتوفر فيها مكان لخزن البضائع. وكانت سماسر الخزن تقوم بخزن البضائع والأموال، كما كان السمسري يتولى عرض عينة من البضائع المخزونة لديه على التجار، وبيعها في حالة الحاجة إليها. ومن أمثلة سماسر الخزن في مدينة ذمار سمسرة بيت الأكوع، وسمسرة بيت السقي، وسمسرة بيت النهمي (خريطة ٤)
- سماسر التسويق والبيع: وكان يتولى فيها السمسري تثمين البضائع المرسلة من التجار وبيعها. وكانت توجد بذمار سمسرة من هذا النوع وهي سمسرة "الفتيني" لكنها هدمت.

ويوجد بمدينة ذمار عدد كبير من السماسر بعضها مجدد ومازال يستخدم في أغراض متنوعة، وبصفة خاصة كمخازن لبعض السلع أو الغلال، أو لممارسة بعض الأنشطة التجارية أو الحرفية. وإن كانت هذه السماسر لا تحمل نصوصاً تأسيسية أو كتابات يمكن من خلالها التعرف على تاريخ إنشائها، فيما عدا بقايا نص وجد مسجلاً على جدار سمسرة مهدمة تنسب إلى صالح الهندي، وقد ورد فيه:

(١) الحجري، القاضي محمد بن أحمد ؛ مجموع بلدان اليمن وقبائله، مج. ١، ص ٣٤٥.

١- بسم الله الر

٢- حمن الرحيم عمر

٣- هذه السمسرة

٤- والسبيل لجناب... العـ.

٥- لي(لوحة ٨٤)

ويدل هذا النص المبتور بعض كلماته والمدون بخط غير متقن ولا منسق، أن تلك السمسرة كانت تضم سبيلاً، كما أن لقب الجناب العالي تدل على أن مؤسسها كان من علية أهل ذمار.ولا يتضمن النص تاريخ الإنشاء مثل غالبية – إن لم يكن كل السماسر في ذمار –، إلا أنه يمكن إرجاع معظم السماسر الباقية بمدينة ذمار إلى القرنين ١٢ – ١٣هـ /١٨ –١٩م، وذلك لأن معظم السماسر السابقة لهذه الفترة قد زالت. فقد ورد ذكر بعض السماسر في الوقفيات المحفوظة بمكتب أوقاف ذمار، ومنها وقفية مسجد الأمير سنبل، المؤرخة بسنة ١٠٤٣هـ(١٦٣٣م) والتي تذكر مقهاية "سمسرة" بوسط السوق أحد أبوابها إلى سوق القات والآخر إلى سوق الأحراج. كما تذكر وقفية مؤرخة في سنة ١١٥٦هـ(١٧٤٣م) سمسرة تسمى سمسرة الدرام موقوفة على جامع الربوع. وتشترك سماسر ذمار في عدة خصائص معمارية ومنها:-

١- استخدام أحجار البازلت البركانية "حجر الحبش" في بناء الطوابق السفلى.

٢- استخدام قوالب الآجر المربعة (١٦,٥سم×١٦,٥سم) في بناء الطوابق العليا.

٣- استخدام الأخشاب القوية مثل الطنب والطلح في عمل الأسقف [١].

٤- استخدام الجص في تكسية الجدران وفي عمل الزخارف.

٥- وجود أكثر من مدخل للسمسرة، كان بعضها أبواب ضخمة تسمح بدخول الدواب بأحمالها، يفتح في جانب منها باب صغير" خوخة أو فرخ" لدخول البشر.

٦- عدم الاهتمام بالجانب الزخرفي في الأجزاء الداخلية من السمسرة، بينما ظهر بعض الاهتمام الزخرفي في الواجهات، وتمثل ذلك في أشكال القمريات المنفذة بالزجاج المتعدد الألوان والمعشق في الجص، وفي الأشرطة الزخرفية التي تمتد على الواجهات، وتمثل فاصلاً بين الطوابق، وكانت زخارفها عبارة عن قوالب بارزة من الآجر، تشكل أشكال معينات، أو أشكال مثلثات متقابلة، أو خطوط مدببة الطرف على شكل رؤوس السهام.

دراسة معمارية لنماذج من السماسر في ذمار:

١- **سمسرة سلامة:** تقع بسوق اللقمة وسط مدينة ذمار القديمة (خريطة ٤)، وهي من سماسر الإيواء، وتتكون من بناء مستطيل يؤدي إليه مدخلان أحدهما في الجهة الشرقية، والآخر في الجهة الجنوبية. ويكتنف المدخل الذي في الجهة الشرقية حجرتان على جانبيه، وكأنهما برجان يحيطان

(١) يعد استخدام الأخشاب في عمل الأسقف هو الأسلوب الشائع في العمائر اليمنية بكافة أنواعها، إلا أنه يوجد في محل حجيلة من بلاد أرحب سمسرة معمورة إلى عرض الجبل مسقوفة بأحجار بيضاء منجورة طول كل حجر نحو ثلاثة أمتار، وعرضها نصف متر.حسين أحمد السياغي: معالم الآثار اليمنية، ص ٥٩.

بالمدخل. وفتحة المدخل معقودة بعقد مدبب مزدوج (لوحة ٨٥). ويؤدي المدخل إلى رحبة أو صالة مستطيلة مقسمة بواسطة ثلاثة عقود نصف دائرية تستند إلى جدران الرحبة، إلى أربعة أقسام. ويصعد من أحد جوانب هذه الرحبة وعبر درج في الجهة الشمالية من المدخل إلى غرفة مربعة، فتحت في جدارها الشرقي نافذة مستطيلة يعلوها فتحة نافذة معقودة "قمرية" على جوانبها فتحات ضيقة نافذة "شاقوص"، كما توجد نافذة في الجدار الجنوبي للغرفة تطل على المدخل الرئيس. ويوجد درج في الجهة الشرقية من المدخل يؤدي إلى حجرتين صغيرتين يفصل بينهما ممر ضيق، وقد فتحت في الممر والحجرتين فتحات نوافذ، على جوانبه فتحات ضيقة مستطيلة "شاقوص" وفي نهاية الجدار الغربي للسمسرة توجد دورة المياه.

من هذا يتضح أن هذه السمسرة اشتملت على العناصر الأساسية لعمارة السمسرة من حيث وجود الحجرة الخاصة بالسمسري أو حارس السمسرة على المدخل، ووجود غرف صغيرة مخصصة للسكن، كما أن الرحبة المتسعة في الطابق الأرضي كان يخصص جزء منها لخزن البضائع، وجزء آخر للدواب. وهذا النمط من التخطيط يعد من أكثر أنواع السماسر انتشاراً في مدينة ذمار. ويشبه هذه السمسرة من حيث التخطيط سمسرة حجيرة "ساوى حالياً" التي توجد في سوق العلف في الجانب الشرقي من سوق المدينة، وكذلك سمسرة الحودي التي توجد في ميدان الحكومة في الجهة الشمالية من السوق الكبير.

٢- **سمسرة علوي:** تقع في سوق اللقمة بمدينة ذمار القديمة، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها ١٢,٥٠م ×٧,٧٠م. ويؤدي إليها مدخل في الجهة الغربية معقود بعقد مستقيم، يعلوه فتحتان نافذتان ضيقتان للإضاءة.

ويؤدي المدخل إلى رحبة مربعة في الجهة الشمالية منها توجد مساحة صغيرة مقباة، يستخدم الجزء الأعلى منها للنوم، بينما الجزء الأسفل مخصص للدواب، حيث يوجد مذود لوضع العلف للحيوانات. ويوجد في الجهة الشرقية من الرحبة، وفي مواجهة المدخل قبو مماثل من حيث التكوين، أما من حيث الوظيفة فإن الجزء الأسفل منه يستخدم لخزن البضائع. ويوجد في نهاية الجدار الشرقي فتحة باب تؤدي إلى غرفة مستطيلة أبعادها ٨,٩٠م×٢,٥٠م، كانت مخصصة للمبيت. ويظهر من ذلك أن هذه السمسرة كانت تشتمل على مستويين مخصصين للمبيت، كل حسب إمكاناته. وفي نهاية الجدار الجنوبي للسمسرة يوجد حمام متهدم.وتمثل هذه السمسرة نمطاً متميزاً بين سماسر ذمار من حيث التخطيط. والسمسرة في حالة سيئة، وتستخدم حالياً في خزن وبيع الأفران الفخارية التي يجلبها أهالي رخمة إحدى القرى القريبة من ذمار.

الفصل السابع
الآثار الدارسة والمتاحف بلواء ذمار

كانت مدينة ذمار تضم عمائر متنوعة " دينية ومدنية وحربية ".وقد اندثر الكثير منها، نتيجة لعوامل سياسية في معظمها، ولم يتبق منها إلا ما ورد عنها في كتب الرحالة والمؤرخين، ومن تلك العمائر:

- **سور مدينة ذمار:**

السور عند العرب هو أشرف الحيطان وأعظمها [١]، كما يحدد السور النطاق العمراني الآهِل بالسكان، ويشكل السور بما يدعمه من أبراج، خط الدفاع الأول عن المدينة. ويعد من التقاليد المعمارية التي اتبعت في مختلف الحضارات والبلاد ومنها بلاد اليمن، فكانت إحاطة المدن بأسوار من الأساليب التي عرفتها العمارة اليمنية منذ أقدم العصور واستمرت حتى أواخر القرن ١٣هـ/١٩م.وقد عثر في حَمة القاع شمال مدينة ذمار– التي تعد أقدم نموذج للمدينة المشيدة فوق مرتفع جبلي شديد الانحدار، حيث بنيت في الألف الثالث ق. م– على آثار ثلاث بوابات كانت تتخلل السور[٢]. ولأن ذمار – ذمار القرن – كانت خط دفاع للعاصمة الحِميَرية ظفار، فقد كانت مسرحاً لهجمات السبئيين، وتعرضت للتدمير والخراب والأوبئة، مما تطلب الاهتمام بتحصينها. ومن ذلك إحاطتها بسور تتخلله بوابات وأبراج. وتوجد آثار السور القديم لذمار القرن على حافة الجبل، خاصة في الناحية الجنوبية الشرقية،

(١) ابن منظور، جمال الدين الأنصاري محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ / ١٣١١م: لسان العرب، مج. ٢، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت ن د. ت، ص ٢٣٧ بطرس البستاني: محيط المحيط، بيروت، ١٨٧٠ م، ص ٤٤٠.

(٢) خلدون هزاع الرازحي: ذمار القرن موقع مدينة ذمار القديمة، صنعاء الحضارة والتاريخ، مج ١، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٥م، ص ص ١٢٤ – ١٢٥.

حيث تبقَّى أحد الجدران الجانبية للبوابة الشرقية، وبرج " محفد" مربع مستقل عن جدار السور على مقربة من تلك البوابة، ويشرف على الناحيتين الشمالية والشرقية.كما تبقت آثار البوابة الجنوبية، ويوجد بها سور مشيد فوق آثار السور القديم تتخلله أبراج اسطوانية، وبالسور بوابة في الناحية الشمالية إلى جانبه برج(١).

ومن المدن اليمنية الإسلامية التي تحتفظ بأسوارها أو أجزاء منها سور مدينة صعدة، ويرجع إلى القرن ٣هـ/ ٩م، الذي يعد من أحسن أسوار المدن حالاً في اليمن، حيث يحتفظ بمعالمه الأصلية. ويحيط بمدينة ثلا سور حجري، يعدمن الأمثلة القليلة لهذا النوع من الأسوار. كما يحيط بمدينة تَعِز سور تتخلله أربعة أبواب.وكان لمدينة إب سور تتخلله خمسة أبواب، الباب الكبير وباب الراكزة وباب النصر وباب سنبل، ثم أحدث الأمير يحيى بن محمد بن عباس الشهاري المتوفى سنة ١٣٨٢هـ، الذي كان واليًا على إب، بابًا سمي الباب الجديد (٢). وتبقت العقود وأجزاء على جانبي الأبواب التي تتخلل سور مدينة يريم القديمة وهي باب المناخ والباب الصغير، ويوجد إلى جانب باب المناخ خزان المياه الخاص بالمدينة القديمة. وعندما اتخذ الإمام المهدي لدين الله محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم قرية المواهب – شمال شرق ذمار – في القرن ١٢هـ/١٨م عاصمة له ولقب بـ "صاحب المواهب" أعاد إليها الحياة بعد أن

(١) أحمد صالح العبادي: أوضاع ذمار والقبائل المحيطة بها أثناء الصراع السبئي الحميري، ص ص ٤٢ – ٤٣.

(٢) إسماعيل بن علي الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ح ٢ص ٢٣١

كانت قد اندثرت [1] وعلى الرغم من أنها تقع على مكان مرتفع، إلا أنه أحاطها بسور، كان يتخلله أربعة أبواب، وهي باب الحفش وباب الغلال وباب البرج وباب صنعاء.

ومن المعلوم أنه كلما زادت أهمية المدينة من الناحية السياسية أو الإستراتيجية أو الاقتصادية، كان ذلك أدعى إلى تأمينها وحمايتها بسور. وقد تحققت لمدينة ذمار هذه الأهمية بالإضافة إلى مركزها الديني، لكونها أحد مقاعد المذهب الزيدي الشيعي في اليمن، كما كانت مقر إقامة بعض أئمة الزيدية الذين دفنوا بها. أما الأهمية الجغرافية فتتمثل في كونها ملتقى طرق التجارة بين شمال اليمن وجنوبه، كما كانت مركزاً تجارياً هاماً خلال العصر الإسلامي.وقد وردت عدة إشارات تاريخية تدل على أن مدينة ذمار كان لها سور في بعض الفترات التاريخية ؛ ففي ذي القعدة من سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م في فترة حكم الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر، غزا عامر بن عبد الوهاب ذمار بعد أن حاصرها من أواخر ذي القعدة حتى سابع ذي الحجة ثم أخذها عنوة، وكان أهلها قد بنوا سورها وحصنوها وذلك بإشراف الشريف محمد بن علي الوشلي، الذي تزعَّم أهلها في قتال عساكر عامر بن عبد الوهاب لكنهم تمكنوا من الانتصار عليهم، ودخلها الظافر عامر فجاءه أهلها يطلبون الأمان والذمة فاستجاب إلى ذلك، ولكنه شرط عليهم تخريب ما بنوه من سور المدينة فبادروا إلى ذلك، حتى قال ابن الديبع أنهم ينطبق عليهم قول الله

(١) المقحفي؟: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط. ٣، ص ٦٤٢. أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ط.٢، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٢٥٥.

تعالى "يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين" [١].أما عن تصميم ذلك السور ومادة بنائه والأبواب التي كانت تتخلله والأبراج التي كانت تدعمه، فأنها كلها أمور غير معلومة، وتحتاج إلى إجراء حفائر لإماطة اللثام عن كل منها.

- القصر:

يستدل من الإشارات التاريخية أنه كان يوجد بذمار قصر لحاكم المدينة، ففي سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م حدث بين أكراد ذمار خلاف وقتلوا الأمير طغربل، وكان على باب المدينة في قصر السلطان [٢].وفي سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١ – ١٤٦٢م ورد الخبر أن الإمام الناصر بن محمد العلوي قد أخذ ذمار وكان فيها في ذلك الوقت الشيخ عبد الوهاب بن داود، فجمع الجموع وقاوم الناصر إلى أن وصل عمه المجاهد شمس الدين علي بن طاهر فاستعاد ذمار من قبضة الناصر وأخرب القصر ونهب عسكره البلد وحبس الناصر في حصن هران لكنه تمكن من الهرب فأمسك به أهل عرقوب وقدموه إلى الإمام مطهر [٣]. وفي فترة حكم الإمام شرف الدين يحيي بن شمس الدين، الذي تولى الإمامة سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، الذي أنشأ مدرسة في ذمار ضمن المدارس التي شيدها لتدريس المذهب الزيدي، ومما ورد عنه أنه أمر بعمارة قصر ذمار سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م [٤]. كما ورد أنه في سنة ١٠٦١هـ/١٦٥١م هبت ريح عظيمة

(١) الديبع، أبي الضيا ؟: قرة العيون، القسم الثاني، ص ص ١٨٥-١٨٦. سورة الحشر آية ٢

(٢) الديبع، أبي الضيا: قرة العيون، القسم الثاني، ص ٦٤.

(٣) الديبع، أبي الضيا: قرة العيون، القسم الثاني، ص ١٥٣.

(٤) ابن الحسين، يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد ؛ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، ص ٦٧٧. زبارة، محمد بن محمد: أئمة اليمن، ص ٣٩٦.

في بلاد ذمار فأخربت جانباً من دائر القصر [١]. وفي سنة ١٠٨٦هـ/١٦٧٦م استولى أولاد عبد الله بن القاسم على قصر ذمار ونهبوا ما فيه [٢]. ولكن يبدو أن هذا القصر قد أعيد تعميره، فقد ذكر أبو طالب في حوادث سنة ١١٢٦هـ/ ١٧٠٨م أن إبراهيم بن المهدي تولى صنعاء والجهات القبلية وشرط عليه والده نقل القاسم بن الحسين من قصر صنعاء إلى قصر ذمار [٣]. وفي يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٧م استولى المهدي صاحب المواهب على ذمار، وأرسل مجموعة ممن أسرهم إلى المواهب، وأمر بعقال الحدا وخولان وعنس الذي معهم إلى قصر ذمار، ثم وكَّل عليهم بذمار ولده عبد الرحمن[٤]. وعند حديث أبو الفيض محمد بن المرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ في كتابه "تاج العروس من جواهر القاموس" عن ذمار ذكر "وهي الآن مدينة عامرة كبيرة ذات قصور وأبنية فاخرة، ومدارس علم" [٥].

ومما ورد أن الوالي العثماني " بهرام باشا "(٩٧٨ – ٩٨٣ هـ / ١٥٧٠ – ١٥٧٥م) أسس مدينة "مَلحَظ" "، التي كانت قريبة جداً من ذمار بل جزء منها

(١) الوزير، عبد الإله بن علي: تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ١٢٩.

(٢) الوزير، عبد الإله بن علي: تاريخ اليمن خلال القرن ١١هـ، ص ٣٣٠.

(٣) أبو طالب، حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم: تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، من سنة ١٠٥٦هـ إلى سنة ١١٦٠هـ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، ط ١، صنعاء، ١٩٩٠م، ص ٣٥٥.

(٤) أبو طالب، حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم: تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، ص ٣٩٠.

(٥) الحوثي؟: مطلع الأقمار، ص ٢٤.

وجعل معسكره خارجها، وأن الأمير علي بن شرف الدين خرج من قصر ملحظ إلى خارج مدينة ذمار [١]. وإن كان فيما أوردناه دلالة على العلاقة الوثيقة بين تأسيس المدن وبناء القصور كرمز للسيادة ، إلا أن الكثير منها – وكما هو الحال في مختلف البلاد والعصور الإسلامية – زال نتيجة لظروف سياسية في معظمها ؛فقد هدم السلطان الناصر أحمد الرسولي ٨٠٣ – ٨٢٧هـ/ ١٤٠١ – ١٤٢٤م معظم قصور أسلافه وبني مكانها قصرا جديدا هو الدار الناصري الكبير في زبيد نسبة إليه " قلعة زبيد حالياً[٢].

و كما هو المتبع في كل الأزمان والبلدان من اتخاذ الحكام والولاة للقصور، لتكون مقراً لسكناهم وإدارة شئون الدولة أو الولاية، كذلك كان الحال بالنسبة لذمار، والذي أكدته الإشارات التاريخية التي ذكرناها، خاصة وإن مدينة ذمار كانت مقراً لبعض أئمة الزيدية الذين اتخذوا القصور ؛ فقد اتخذ الإمام محمد بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم المتوفى سنة ١١٣٠هـ/١٧١٩م، والذي كان يعرف بصاحب المواهب، وامتد نفوذه من ذمار إلى الطائف قصراً بقرية المواهب. فعندما زاره الكابتن سيودي مرفي Syodi Mervy الفرنسي سنة ١١٢٨هـ/١٧١٧م استقبله الإمام في قصر اللؤلؤة[٣].

(١)أحمد صالح عبد ربه المصري:مدينة ملحظ " ذمار الصغرى، ص ١٧٢.عن: محمد بن يحيى المطيب الزبيدي:بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام،

(٢)عبد الله عبد السلام الحداد: المنشآت العسكرية في مدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية، ص ٣٣١.

(٣) كان هذا أول أوروبي يزور اليمن ويُأَلِّف كتاباً بعنوان "رحلة في العربية السعيدة".

- التكية:

التكايا منشآت للرعاية الاجتماعية للمتصوفة بصفة أساسية. وقد حلت في العصر العثماني محل الخانقاوات التي كانت تؤدي نفس الوظيفة في العصرين الأيوبي والمملوكي، فعندما كثر التصوف في العصر الأيوبي كثر بناء الخانقاوات، ومن أقدم أمثلتها خانقاه سعيد السعداء، التي شيدها صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م. أما عن تكية ذمار فقد ورد أن بدر الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام تقدم سنة ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م إلى عمه الحسين بن القاسم بضوران، فأقطعه عمه بلاد الشوافي وخبان وبني سرجة ويريم والتعكر، ثم عاد إلى ذمار مجبوراً، وتعقب ذلك تقدم شرف الإسلام الحسين إلى محروسة ذمار، وأراد لما وصلها النزول بدار التكية في حوطة حسن الباب، فلم تطب نفس ابن أخيه عز الإسلام بذلك وقال لا يصلح السكون إلا في داري، والبيت بيتك والولد ولدك [1].ويستدل من ذلك أنه كان بمدينة ذمار تكية تخصص لإيواء الغُرَباء، لكن ما هو موضعها من مدينة ذمار، وما هو التكوين المعماري لها، فإن المصادر التاريخية لم تفِ بتلك المعلومات.

- دار ضرب ذمار:

ضُربت السكة في ذمار منذ فترات مبكرة من العصر الإسلامي ؛ فقد ضربت الدنانير العباسية في اليمن في كل من صنعاء وبيش وبيشة وذمار وعدن وعفر

(١) الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله ؛ تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ص ٦٨.

وسردد[١].وفي حوالي منتصف القرن ١٢هـ /١٨م صارت صنعاء الدار الوحيدة لضرب السكة في اليمن [٢]. وبعد خروج العثمانيين من صنعاء سنة١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م، وحتى دخولهم مرة ثانية في سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م حتى سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م كان أئمة صنعاء من الزيدية يضربون مسكوكات خاصة بهم، وكانت ذمار إحدى دور الضرب مثلها مثل صنعاء ورداع وشهارة وكوكبان والخضراء. وقد ذكرت نهى صادق أنها أطلعت على نماذج من المسكوكات التي ضربت بمدينة ذمار محفوظة في مجموعات خاصة، ومنها مسكوكة منقوش عليها اسم المؤيد محمد، الذي حكم من سنة ١٠٢٩هـ/١٦١٩م حتى سنة ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م، وتاريخ القطعة مفقود. كما توجد قطعة باسم الإمام المهدي محمد بن أحمد "صاحب المواهب"، وكان يلقب بالناصر لدين الله، ومنها قطعة من الفضة من ضرب ذمار سنة ١٠٩٩هـ [٣].

- مسجد الأسدي:

هناك أراء أن الذي بناه هو الأسد بن إبراهيم بن أبي الهيجاء الكردي والد فاطمة زوجة الإمام صلاح الدين [٤]. بينما يرى البعض أن الذي بناه هو أسد الدين محمود بن الحسن بن أخو نور الدين عمر، الذي كان نائباً على اليمن

(١) ربيع حامد خليفة: طراز المسكوكات اليمنية في العصرين الأموي والعباسي، مجلة التاريخ والمستقبل، مج ٢، ع ٢، كلية الآداب جامعة المنيا، يوليو ١٩٩٢م، ص ٤٨.

(٢) نيكولاس، لويك: موجز تاريخي عن دار السكة بصنعاء (كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي)، ترجمة نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص١٣٦.

(3) Lane-Poole, S. , Catalogue Of Oriental Coins In The British Museum, V, 130, No. 365X, 76-8, No. 364d,e.k, P.r.

(٤) انظر؟ مطلع الأقمار، ص ٢٥. الحجري، القاضي محمد بن أحمد ؛ مجموع بلدان اليمن وقبائلها.

من قبل المسعود الأيوبي، وكان ذلك حوالي سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م، وهو الذي آل إليه مُلك اليمن بعد ذلك ولقب السلطان أسد الدين محمد بن الحسين ابن علي بن رسول. وقد دخل أسد الدين ذمار سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٦ – ١٢٤٧م عندما كان هارباً من عمه نور الدين عمر، واتحد مع الإمام أحمد بن الحسين القاسمي ضد عمه، ولقيه عمه عند ذمار، فاستعطفه فعفى عنه عمه واصطحبه إلى صنعاء، ثم تولى أسد الدين قتال الإمام أحمد بن الحسين عند ثلا. ويقال أن الأمير أسد الدين بن الحسن بن علي بن رسول تآمر مع مماليك عمه السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول لقتله، وتم له ذلك بالفعل في الرابع من شوال سنة ٦٤٧هـ، وسبب ذلك أن عمه بعد أن أقطعه صنعاء أراد أن يعزله ويعين بدلاً منه ابنه المظفر بن منصور [١]. وقد قتل المنصور بقصر الجَنَدْ. وقد مات أسد الدين بالسجن في تعز عندما سجن مع أبيه وأخيه وعمه، وكانت وفاته سنة ٦٦٦هـ. وله مدرسة بقرية الجبالي تضم مقبرته، حيث دفن هو وذريته، كما أن له مدرسة بإب.

مسجد أويس:

ينسب إلى القائد العثماني أويس باشا، الذي كان قائداً للحملة العثمانية على اليمن سنة ٩٥٢هـ / ١٥٤٦م[٢]. وقد قُتِل بذمار ودفن بمقبرتها إلى جانب المسجد المنسوب إليه. ويقع المسجد بشارع التعاون، المؤدي من شارع صنعاء – تعز إلى وسط المدينة القديمة.وقد تبقيت بقعته ولكن درست عمارته، فلم يتبق من عمارته القديمة أي أثر، وأعيد بناؤهفي الفترة المعاصرة،.

(١) الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي ؛ قرة العيون، صص ٣، ١٣، ١٤، ١٧.

(٢) أحمد صالح عبد ربه المصري:مدينة ملحظ " ذمار الصغرى، ص ص ١٧٤ – ١٧٥.

قلاع عثمانية في نطاق لواء ذمار:

نظراً للأهمية الإستراتيجية لمدينة ذمار، فقد شيد العثمانيون بعض القلاع في نطاقها، اعتمدوا في بناء بعضها على الأحجار المقتلعة من الأبنية الأثرية بالمنطقة، ومن ذلك القلعة التي شيدت في موقع قصر الصبايا جنوب غرب النخلة الحمراء بمسافة ٢ كم وفي منطقة حيد الكميم ٣ كم جنوب النخلة الحمراء قلعة عثمانية لها سور تتخلله أبراج اسطوانية على أبعاد غير منتظمة.

وقد تبقت بعض المكونات المعمارية لقلعة النوبة في شرق مدينة ذمار. ومن ذلك مدخلها المعقود بعقد نصف دائري يعلوه عقد آخر أكبر منه في الضلع الجنوبي، وعلى جانبي المدخل من الشرق والغرب برجان اسطوانيان، وفي منتصف الجدار الغربي برج اسطواني هو أكبر أبراج القلعة، وفي الضلع الشمالي برجان اسطوانيين [١].

متاحف في نطاق مدينة ذمار

متحف بينون:

يعد هذا المتحف نموذجاً مميزاً لمتحف الموقع، حيث أنه يقع على بُعد حوالي ثلاثمائة متر إلى الشمال من موقع بينون الأثري، وعلى وجه التحديد في قرية بني أسلم إحدى قرى عزلة ثوبان بمديرية الحدا. ويرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١٩٩٠م، وهو بذلك أقدم متحف في لواء ذمار. وقد تمت توسعة المتحف سنة ٢٠٠٣م. ويلاحظ أن جدران القاعات تتخللها فتحات نوافذ متعددة ومتسعة.

(١) ربيع القيسي، صباح الشكري: دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، ص ص ٨٧– ٨٨

وكَون هذه القاعات في الطابق الأرضي من المبنى، فإن ذلك يجعل قاعات العرض أكثر عرضة لخطر السرقة، ولا يعني وجود سور مرتفع يحيط بالبناء أن هذا الأمر كافٍ، وإنما المتبع الإقلال أو انعدام فتحات النوافذ في قاعات العرض، أو أن تكون النوافذ ضيقة الفتحات وعلى ارتفاع كبير بالقرب من سقف الطابق الأرضي [1]. ولكن من الأمور الجيدة أنه أُلحِق بالمتحف مكان معد لإقامة البعثات الأثرية أثناء عملها بالمنطقة، فجاء ذلك متمشياً مع طبيعة المتحف كمتحف موقع، وما هو متبع في معظم المتاحف الأوروبية والأمريكية.

يتكون المتحف من صالة وسطى تلتف حولها غرفة وثلاث قاعات، تؤدي إلى بعضها البعض. وقد خصصت الغرفة لسجلات المتحف، بينما خصصت القاعات الثلاث للعرض المتحفي، الذي لم يخضع لأسلوب واحد في العرض، وإن كان يتبع في الغالب أسلوب العرض حسب المادة؛ ففي الخزانة الأولى من القاعة الثانية، عرضت مجموعة من اللوحات والتماثيل المُشَكَّلة من الحجر، وإلى جانبها قطعة من الخشب عليها نقش بالزابور، وقطعة من النحاس تشكل جزءاً من قدم آدمي.وإن كان الحجر والنحاس من المواد غير العضوية، فإن الخشب من المواد العضوية، التي تحتاج إلى درجة حرارة ورطوبة وضوء تختلف عما تتحمله المواد الغير عضوية. وفي الخزانة الثالثة من نفس القاعة توجد مجموعة من المباخر والأواني وأجزاء من تماثيل ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام، وإلى جانبها مجموعة من المسارج ترجع إلى العصر الإسلامي.

(١) للمزيد عن كافة الاحتياطات الواجب توفرها لحماية المتاحف انظر، صلاح أحمد البهنسي: المتاحف علم وفن، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٩م، ص ص ٣٤- ٤١، وعن مختلف أساليب العرض ص ص ٦٠ - ٧١.

ويضم المتحف مجموعة من القطع الحجرية، منها قطع مزخرفة بزخارف نباتية تمثل في معظمها أوراق وعناقيد العنب، وقد يتخللها أشكال طيور وحيوانات مثل النسر والثعبان، أو زخارف هندسية مثل الهلال والقرص، أو رمز إله القمر والزهرة. ومن المقتنيات الأثرية بالمتحف مجموعة من اللوحات التي تشتمل على رسوم آدمية وحيوانية، ومن أمثلة الرسوم الآدمية رسم لامرأة ترتدي ثوباً يتدلى منه شريطان زخرفيان، ويطوق عنقها قلادة، ولوحة لامرأة جالسة على كرسي مزخرف بزخارف هندسية، وتمسك بيدها اليمنى لوحة عليها نقش لرأس ثور، بينما تمسك في اليد اليسرى بطائر. أما التماثيل الحيوانية فمعظمها رؤوس ثيران أو أُسود ووعول. ومن محتويات المتحف مجموعة من المباخر الحجرية والتماثيل البرونزية، منها تماثيل لأُسود وخيول، وبعض النقوش منها نقش يتضمن اسم الملك "ثأران يهأمن" ملك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات، الذي حكم في الفترة من سنة ٣٦٠م إلى سنة ٣٧٠م، ومجموعة من المسارج البرونزية.وتضم القاعة الثانية مجموعة بسيطة من الآثار الإسلامية، منها مجموعة من المسارج، وآنية حجرية وأواني نحاسية، ومَحْبرة من الحجر.

وكما هو متبع في العرض المتحفي، فإن القطع الكبيرة الحجم الثقيلة الوزن ليست داخل خزائن عرض، وإنما وضعت على قواعد مدرجة مكسوة بالقماش، ففي القاعة الأولى مجموعة من القواعد والأرفف وضعت عليها مجموعة من الأفاريز التي تشتمل على رؤوس وعول، ومجموعة من الأواني الفخارية الكبيرة

الحجم. كذلك يتوسط القاعة الثانية مجموعة من القواعد عليها قطع حجرية كبيرة الحجم(١).

متحف ذمار الإقليمي:

كان المتحف عند بداية إنشائه يقع وسط مدينة ذمار القديمة، في حارة المدرسة الشمسية، ويشغل منزلاً قديماً بناه "عبد الواحد المجاهد" سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، وتتمثل فيه طريقة البناء المتبعة في منازل ذمار، حيث الأساس والطابق الأرضي من حجر الحبش الأسود، بينما الطوابق العليا من الآجر. كما أن ما يشتمل عليه من وحدات وعناصر معمارية تعبر عن عمارة المنزل اليمني التقليدي، وخاصة فتحات النوافذ المعقودة بعقود نصف دائرية أو مدببة مغشاة بستائر من الزجاج المعشق في الجص، والتي تشكل زخارف هندسية ونباتية وكتابية بديعة، والفتحات الضيقة المستطيلة "الشواقيص" في الأجزاء العليا من جدران الحجرات. وقد افتتح ذلك المتحف في يوم الأربعاء الموافق ١٢يونيو سنة ٢٠٠١م بحضور كل من السادة وزير الثقافة اليمني ومحافظ ذمار ورئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف ومدير عام مكتب هيئة الآثار والمتاحف بذمار، ومجموعة من أساتذة وطلاب قسم الآثار بكلية الآداب والألسن بجامعة ذمار.وقد تم توظيف أجزاء المبنى لاستيعاب المقتنيات الأثرية المتوفرة لدى مكتب آثار ذمار، والتي تمثل في معظمها نتاج أعمال الحفائر الأثرية التي تتم في مواقع مختلفة من منطقة ذمار، بالإضافة إلى ما جُلب من مباني أثرية قديمة، أو عن طريق الإهداء من بعض الأشخاص.

(١) هذه المعلومات من خلال زيارة ميدانية للمتحف في شهر أبريل سنة ٢٠٠٢م

ونظراً لأن حجرات ذلك المتحف كانت تفتقد بشكل عام إلى القواعد المتحفية ولا تتناسب مع أساليب العرض المتحفي، لأن المبنى لم يكن معداً ليكون متحفاً، وإنما منزل من منازل مدينة ذمار القديمة تم توظيفه كمتحف، فقد تم إعداد مبناً جديد للمتحف في منطقة هران الأثرية شمال مدينة ذمار، حيث تم افتتاحه سنة ٢٠٠٢م. ويتكون المبنى من ثلاث قاعات رئيسة بالإضافة إلى ملحقات المتحف. وقد خصصت القاعة الأولى للآثار القديمة، حيث يعرض فيها مجموعة من القطع الفخارية المتنوعة، التي تستعمل في أغراض مختلفة، وترجع إلى فترات ما قبل العصر الإسلامي، وفأس من المعدن، ومجموعة من رؤوس وعول من الفخار مختلفة الأشكال والأحجام، كانت تستخدم في الفترات السابقة على العصر الإسلامي كمقابض للأواني الفخارية، وموائد قرابين من الحجر عثر عليها بالجوف (لوحة ٨٦). بالإضافة إلى مجموعة من النقوش تشتمل على كتابات بخط المُسند، يرجع بعضها إلى عصر دولة سبأ وبعضها إلى عصر دولة حِمْيَر، منها كتابات بالمسند على لوح من الحجر عثر عليه في مدينة نشق (لوحة 87)، ومبخرة من حجر البلق، ومجموعة من التحف المعدنية المختلفة الأشكال مثل رؤوس الثعابين ورؤوس السهام، وتمثال صغير لحيوان يظهر فيه مراعاة النسب التشريحية ومحاكاة الطبيعة، ورحى ودراقة لفصل الحبوب، وكلها من الحجر، وبعض أدوات الزينة مثل تميمة معدنية تعلق حول الرقبة وسوار من المعدن. وتشتمل القاعة على مجموعة من أجزاء من أعمدة بعضها بها تشققات أو انكسارات، وبعضها عليها كتابة بخط المُسند الغائر، كما توجد جرة كبيرة من الفخار، كانت تخصص لحفظ الغلال أو الماء. كما تضم القاعة جزءاً من عمود فقري حِمْيَري عثر عليه بحفائر منطقة هران.

وخصصت القاعة الثانية للآثار الإسلامية (لوحة ٨٨). ومن أهم المقتنيات بها منبر الجامع الكبير بذمار (شكلي ٥، ٦)، الذي يعد من أقدم المنابر الخشبية الباقية في العالم الإسلامي بعد منبر جامع عقبة بن نافع بالقيروان في تونس ومنبر جامع تكريت بالعراق [١]. كما تضم القاعة طست من النحاس عليه كتابات منفذة بخط الثلث المملوكي تتضمن ألقاب وعبارات دعائية، وزخارف نباتية وهندسية، ومن أهمها الوريدة ذات الخمس بتلات التي كانت شعاراً لملوك دولة بني رسول في اليمن. وتضم القاعة مَحْبَرة من النحاس ومدق من الخشب وبندقية من العصر العثماني، وجمنة من الفخار لعمل القهوة.

وخصصت القاعة الثالثة للموروث الشعبي، مثل بعض أدوات الاستعمال اليومي من الطهي أو القهوة، وكذلك ما يرتبط منها بالعادات الاجتماعية مثل الزواج وأزياء العروس وأدوات الزينة ومعدات التجميل، ومن المكاحل المتنوعة منها مكحلة من الفضة من صنع يهود ذمار قبل رحيلهم عنها، وكذلك بعض ما يتعلق ببعض مظاهر الحياة الدينية ومنها حلقات ذكر المتصوفة، ومن ذلك مسبحة طويلة جداً كانت تخصص لجماعة المتصوفة أثناء جلسات الذكر بحيث تمتد بينهم جميعاً.ومن مقتنيات هذا القسم غطاء رأس خاص بالعروس "قرقوش" وخلخال، ومسارج، وإناء طهي من الحجر "حرض"، كما يحتوي على بندقية بالحزام مصنوعة سنة ١٣٠٥هـ، وقفل كبير الحجم يعرف بالقفل الغثيمي.

وكما كان للظروف السياسية التي عاشتها بعض بلاد العالم العربي من انعكاسات على تراثها الثقافي، ومن ذلك التفجير الذي حدث أمام متحف الفن

(١) للمزيد عن هذا المنبر انظر، ربيع حامد خليفة: منبر خشبي نادر في الجامع الكبير في مدينة ذمار، ص ص ١٠٢ – ١١٠

الإسلامي بالقاهرة في يوم الجمعة ٢٤ يناير سنة ٢٠١٤م، وأدى إلى الإضرار بمبنى ومقتنيات المتحف، كذلك فأنه نتيجة للأحداث السياسية التي تعيشها اليمن منذ سنة ٢٠١١م، فقد تعرض مبنى متحف ذمار الإقليمي لقصف مدفعي في يوم الخميس ٢١ مايو سنة ٢٠١٥م، وتضررت أجزاء من عمارته.

ملحق

مصطلحات العمارة التقليدية في مدينة ذمار

-بغلة:تطلق في العمارة الإسلامية على كتف أو دعامة ضخمة، لحمل الجسور أو الدعامة التي تستخدم لسند الجدران المائلة، لكنها تطلق في العمارة اليمنية على الدعامة النائمة إلى جانب الأجزاء السفلى من الجدران لتقويتها، كما هو الحال في جامع صنعاء الكبير وجامع شبام كوكبان.

-بلق: نوع من الحجر الكلسي، يُقَطَّع إلى قطع رقيقة يتم صقلها حتى تصبح شديدة الصفاء وكأنها زجاج [١] وتغشى بها الفتحات النافذة بحيث ينفذ منها الضوء إلى داخل المكان. ويعد استخدام البلق من الخصائص التي تنفرد بها العمارة اليمنية التقليدية. وتجلب مادته من شبام الغراس "الحزة" [٢].

(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي، ت ٤٨٠هـ / ١٠٦٦م: المخصص، السفر العاشر، ج٣، بيروت، د. ت، ص ٩٧.

(٢) الويسي ؛ اليمن الكبرى، ص ٧٢. غازي رجب محمد ؛ الستائر الجصية في الفن العربي اليمني (العقود اليمنية)، مجلة دراسات يمنية، ع ٢٨، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٦٤.

وقد وردت الكلمة في المعجم السبئي بنفس معناها المستخدم لدى أهل اليمن، وهو حجر كَلْسِي [1]. كما عُرِّفت في لسان العرب بأنها "حجر باليمن يضيء ما وراءه كما يضيء الزجاج". من ذلك يتضح أن هذا النوع من الحجر هو ما كان مستعملاً في السطح الأعلى لقصر غمدان بصنعاء، فقد ورد أن المقيمين في هذا الطابق يستطيعون رؤية الطيور التي تحلق فوقه.

بنية: ظلة القبلة في المساجد الجامعة التي تتبع الطراز التقليدي في تخطيط المساجد، أو بيت الصلاة في المساجد والمدارس التي لا تشتمل على جناحين ومؤخر، كما في مسجد الإمام يحيى بن حمزة والمسجد الشمسي الجامع بذمار.

-بيت المطحن: مكان وجود الرحى في الطابق الأرضي من المنزل.

-تابوت: التركيبة الخشبية التي توضع على القبر، والتي توجد أمثلة لها على قبور أئمة الزيدية في مدينة ذمار. وفي مصرقد يكون التابوت من الخشب أو الرخام، ففي مُكاتبة من عباس باشا الأول إلى وكيل الباشا " الكتخدا " ورد ما نصه " التابوت الذي صنع من الرخام الأبيض لوضعه فوق مرقد جدنا الأمجد"[2].

-تجواب:السور الذي يحيط بسطح المنزل بغرض الحماية من السقوط من أعلى بالنسبة للأطفال، وحجب النساء في حالة وجودهن في هذا المكان. ويختلف ارتفاعه من منزل إلى آخر، ويتراوح ما بين نصف المتر إلى المتر والنصف. ويتخلل هذا السور فتحات تتصل بالميازيب التي تمتد على

(١) بيستون؟: المعجم السبئي، بلق، ص ٢٩.

(٢) محمد علي عبد الحفيظ: المصطلحات المعمارية في وثائق عصر محمد علي وخلفائه ١٨٠٥ – ١٨٧٩م، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٤٩.

الواجهات، لتصريف مياه الأمطار. وتنفذ على جدران التجواب في كثير من الأحيان زخارف من خطوط متكسرة متتالية، أو أشكال نجمية أو غيرها من الزخارف، وتكون في الغالب موافقة للزخارف التي توجد في الحزام الفاصل بين الطوابق، وقد يتخلل التجواب فتحات مشربيات وذلك في المنازل التي يرتفع التجواب فيها إلى ارتفاع متر ونصف المتر أو أكثر، كما تتخلله في هذه الحالة بعض الفتحات النافذة.

-تِرنجة: زخرفة على شكل بخارية تنقش على أبواب المنازل وغيرها من المنشآت المدنية، وغالباً ما تُثَبت عليها سمَّاعة " مَدَّقْ " الباب.

- ثُريا:فتحات نافذة في واجهات المبنى على شكل نجوم سداسية أو مثمنة الروءس، ينفذ منها الضوء بشكل هذه النجوم، فتبدو وكأنها " ثريا ".

- جَرفْ:فتحة نافذة في غرفة المنظر أو المفرج، تتكون من مساحة كبيرة محددة بعقد، يتكون الصف السفلي منها من نافذتين مستطيلتين، يعلوهما ثلاث فتحات معقودة، ثم فتحتين مستديرتين. ويشبه هذا الجزء في تكوينه تكوين القنديلية في العمارة المملوكية والعثمانية. ويذكر الواسعي أن كلمة "جرف" كانت تطلق على الغرفة العلوية في المنازل اليمنية، والتي تخصص لاستقبال الضيوف والاجتماعات، في حالة ما إذا كانت هذه الغرفة صغيرة المساحة[١]. أما إذا كانت كبيرة فتعرف بالمنظر [٢] أو المفرج [١].

(١) اليماني عبد الواسع بن علي الواسعي: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ٣١٧.

(٢) الزبيدي ؛ تاج العروس، المجلد الثالث، ص ٥٧٥. نزيه مؤيد العظم ؛ رحلة في بلاد العربية السعيدة، ص ٩٨.

-جناح: المجنبة الشرقية والغربية في المساجد التي يتبع تخطيطها الطراز التقليدي، المكون من صحن أوسط تحيط به أربع أو ثلاث ظلات؛ فيقال الجناح الشرقي ويعنى به المجنبة الشرقية والجناح الغربي ويعني المجنبة الغربية.

-جيا:سطح البناء سواء كان مسجداً أو منزلاً أو غيره [٢]. والكلمة ليست مستمدة من اليمنية القديمة، حيث وردت كلمة "مريم" المستمدة من مادة "ريم" وتعني سطح البيت [٣].

- حاجز: فتحة الباب التي توجد على نهاية كل طابق من الدرج، ويُدخَل منها إلى كل طابق من طوابق المنزل. وسُمي بذلك لأنه يحجز كل طابق عما سواه.

- حافة: الغرف الصغيرة التي تعلو المخازن التي في الطابق الأرضي للمنزل الذماري وتفصل بينه وبين الطابق الذي يعلوه، وتتميز بأنها ذات أسقف منخفضة. ومن أمثلتها الحافة التي تعلو حواصل الطابق الأرضي في منزل آل سلامة في مدينة ذمار، وهي بمثابة " طابق مسروق ".وتعني في بعض المناطق اليمنية تكوين معماري؛ فعند حديث بونانفان عن تقسيم مدينة زبيد ذكر " ينقسم كل ربع بدوره إلى حافات، وتلعب هذه الحافات دوراً هاماً في تنظيم

(١) اليماني عبد الواسع بن علي الواسعي: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن، ص ٣١٦.

(٢) ابن الحسين، يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد ؛ يوميات صنعاء، ص ٢٢٥.

(٣) بيستون، وآخرون ؛ المعجم السبئي، مادة "ريم"، ص ١٢٠.

الحياة الحضرية في المدينة. وتضم كل حافة ما بين عشر وخمس عشرة وحدة سكنية متجاورة، ومنها حافة المهادلة وحافة الأهدل وحافة الأحمر(١).

– حبش: من أحجار الطف البركانية ويميل لونه إلى السواد. ويتميز بأنه ذو نسيج فقاعي له فجوات فارغة، وقليل منه فجواته مملوءة بمعدن الزيوليت الثانوي. ومن أشهر مناطق وجوده منطقة ذمار، ومنه نوع ملمسه ناعم يعرف ب"الصورع" يؤتى به من جبل هران بذمار أيضاً.

– حجرة:الصالة أو الرحبة التي تتوسط مكونات الطابق، وتفتح عليه الغرف وغيرها من المرافق في هذا الطابق. وتغطى الحجرة بسقف مسطح، أو تكون بوسطها فتحة يغطيها مقطور، يسمح بدخول الضوء والهواء، وهو شبيه ب " الشخشيخة " في العمارة المملوكية.

– حَرَّ: حاصل أو غرفة صغيرة مربعة أو مستطيلة تكون في الطابق الأرضي للمنزل وتستخدم كحظيرة للحيوانات أو الطيور، أو كمخزن للأعلاف والحبوب.

– حزام:شريط زخرفي يمتد على الواجهات الخارجية عند نهاية كل طابق من طوابق البناء، والغرض منه تمييز نهايات وبدايات أسطح طوابق المنازل. وكان يهتم بزخرفة هذا الشريط بزخارف تنفذ بقطع الآجر، وتشكل أشكالاً زخرفية هندسية، في معظمها خطوط متكسرة متتالية "زخرفة دالية" أو زخرفة مجدولة من دوائر متتالية متصلة، أو أشكال مثلثات أو معينات.

(١) بونافان، بول: أحياء زبيد ملاحظات في التاريخ الاجتماعي، مجلة حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، ٢٠٠٢م، ص ٥٢.

– حَمَّة: كلمة حِمْيَرِية وتعني الأكام، ومنها حمة القاع شمال مدينة ذمار، التي بنيت في الألف الثالث ق. م، وتعد أقدم نموذج للمدينة المشيدة فوق مرتفع جبلي شديد الانحدار. وعثر بها على آثار ثلاث بوابات تتخلل السور الذي كان يحيط بها.

– حوض:شرفة المؤذن التي تتخلل بدن المئذنة، وغالباً ما تشتمل مآذن مدينة ذمار على حوض واحد على نهاية الدورة الأولى من البدن.

– داير: السور الذي يدور حول المدينة أو القرية. كما تطلق على مفتاح الباب، لأنه يدار في القفل "المَغلَقة" حتى يتم فتحه أو غلقه.

– ديوان:قاعة غالباً ما تكون مستطيلة، تبنى في الأدوار العليا من المنزل اعتباراً من الطابق الأول، وتطل على واجهة أو أكثر من واجهات المنزل، حيث تفتح بها فتحات نافذة تعلوها القمريات من الزجاج المعشق في الجص، التي تشتمل على زخارف متنوعة.ويخصص الديوان لاجتماعات أفراد الأسرة التي تسكن المنزل، أو للزائرين خاصة في جلسات تخزين القات، أو في المناسبات مثل الأعراس أو الولادة أو المآتم. ويُأَثث بفرش أرضية من المراتب والمتاكي. ولأن " القات " يعد أساسياً في مثل تلك الجلسات، لذلك فإن " المتافل " من مكملات الديوان وقد يشتمل المنزل الواحد على أكثر من ديوان، ويختلف ذلك باختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي لصاحب المنزل.وقد يخصص ديوان للسيدات، وفي تلك الحالة تكون النارجيلة " المداعة " من متطلبات ذلك الديوان.

– ديمة:المطبخ، وهو عبارة عن غرفة مربعة أو مستطيلة يوجد في أحد جوانبها تنور من الفخار، يطلق عليه "طابون" تعلوه فتحة في السقف "سية" مدخنة تبرز عن مستوى سطح المطبخ "" [١].

– ريشة: ممر ضيق مسقوف بين شوارع وأزقة المدينة، ويكثر وجودها في حي الجراجيش بذمار، وقد تكون عبارة عن ممر في مبنى يتوصل من خلالها بين شارعين. كما تطلق على الممر الفاصل بين الغرف،

أو الواصل بين أجزاء الطابق الذي يوجد فيه، وهي كلمة شائعة الاستعمال بين أهل ذمار، بينما يطلق على مثل هذا الممر اسم "الطارود" لدى أهل صنعاء[٢].

– زابور:مادة الطين التي تستخدم في البناء في كثير من العمائر اليمنية الدينية والمدنية والحربية، ومن ذلك أسوار مدينة صنعاء التي بنيت من كتل الطين والحصى " الزابور "[٣].والكلمة من اليمنية القديمة "زَبَر" أي شيد، كما أنها وردت في النقوش الخشبية بمعنى "كتب" [٤]. وفي اللغة العربية فإن الزبور تعني كتاب قال تعالى "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر" [٥]. كما غلب لفظ "زبور" على صحف داود.

---

(١) للمزيد انظر: أحمد قائد بركات: الديمة، الموسوعة اليمنية، ط. ١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ١٩٩٢م، ص ص ٤٦٤-٤٦٥.

(٢) انظر: ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله: وصف صنعاء، ص ٦٦.

(٣) عبد الله عبد السلام الحداد: صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، سلسلة مدن تراثية ٢، ط. ١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٤١.

(٤) انظر: ريكمنس، جان وآخرون ؛ نقوش خشبية قديمة في اليمن، المعهد الشرقي، جامعة لوفان، ١٩٩٤م، ص ص ٨-٩.

(٥) سورة الأنبياء، آية ١٠٥.

– سايلة: مجرى أو مَخَرَّ مياه الأمطار والسيول، وتعد من الملامح الأساسية في تخطيط المدن في المنطقة الوسطى من اليمن، التي تكثر فيها الأمطار.وتكون علبارة عن قناة ضيقة على جانبي الطريق، أو قناة متسعة تتخذ مسارًا خاصًا بها.وتضم مدينة ذمار سائلة، تمر من الشرق حيث شارع صنعاء تعز إلى الفجير ثم خلف النادي الأحمر من الجهة الشمالية، وتسير على طريق المجزرة، وتمر من شرق الحوطة ثم تتجه شرقاً نحو حارة صيح.

– سقيف: المساحة التي تلي باب الدخول الرئيس للمنزل، وتكون عبارة عن رحبة مربعة أو مستطيلة، تتوزع حولها الوحدات المكونة للطابق الأرضي، كما يوجد في أحد جوانبها الدرج المؤدي إلى الطوابق العليا. وفي كثير من الأحيان يوجد في أحد أركانها طاحونة حجرية "رحى" لطحن الغلال. وتطلق السقيف بشكل عام على كل مكان مسقوف.

– سمسرة:منشأة خدمية منها ما يقام داخل المدن، وبصفة خاصة في الأسواق، وتخصص لكافة المعاملات التجارية، بالإضافة إلى مبيت التجار الأغراب. لذلك فهي تتكون في الغالب من ثلاثة طوابق، يشتمل كل طابق منها على عدد من الغرف، تستخدم في الطابق الأرضي كمخازن للبضائع وإسطبل للدواب، وفي الطوابق العليا كمبيت للتجار. أما النوع الآخر من السماسر، فهي سماسر المبيت، وتقام داخل المدن ملحقة بمنشأة أخرى، أو على طرق السفر [1].وأطلق لفظ سمسرة على الغرفة الكبيرة التي توجد في الطابق الأرضي من بيوت الأثرياء، وتستخدم مخزنًا للحطب، حيث يخزن فيها احتياجات الأسرة من

(١) انظر، حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون، ج ٢، ص ص ٤٨-٤٩.

الحطب لمدة سنة كاملة [١].واستخدمت كلمة "خان" المستعملة في بعض بلاد العالم الإسلامي في اليمن أيضاً، فعند وصف "جمال الدين بن علي بن القاسم" لمدينة صنعاء ذكر "وبصنعاء خانات كثيرات نحو الثلاثين" [٢].

– سية: مدخنة المطبخ في البيت اليمني بشكل عام، وغالباً ما يعلوها سقف جمالوني يسمح بتصريف الدخان

–شاقوص أو شاروق:فتحة نافذة ضيقة مستطيلة تغطى بستائر حجرية مخرمة خالية من الزجاج، وهي تشبه المزاغل في العمارة الحربية، ولكنها تستخدم في المنازل بغرض التهوية [٣].

–شبَّاك أو بيت شَربة:صندوق بارز عن سمت واجهة المنزل بحوالي عشرة أو خمسة عشر سنتيمتراً، ويبنى من أحجار مفرغة ترتكز على دعائم خشبية، تفصل بين كل دعامة وأخرى مسافة تسمح بالإطلال من خلالها دون تعرض النساء للكشف[٤].

–صَرْح أوصَرْحة:تطلق كلمة الصرح على فناء أو صحن مكشوف. والكلمة إن كانت لها أصول يمنية قديمة، إلا أنها تتفق مع معناها في اللغة العربية الفصحى. فمن حيث اللغة اليمنية القديمة فإن كلمة "صرحت" وردت في النقش

(١) زيد بن علي عنان ؛ صنعاء، حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعابها، مجلة الإكليل، ع ع ٢، ٣، السنة الثانية، صنعاء، ١٩٨٣م، ص ٤٠.

(٢) ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله ؛ وصف صنعاء، ص ٨١.

(٣) الألوسي ؛ بلوغ المرام، ج ٣، ص ٣٩٠.

(٤) السيد محمود البنا ؛ دراسة ترميم وصيانة سور مدينة صنعاء في العصر العثماني، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٢٤.

YMNI/3 وتحمل معنَيين، الأول جزء من بيت، أما الثاني فإنه بمعنى ساحة أو باحة أو فناء [١]. وقد ورد في القرآن الكريم "قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٢].

أي أن كلمة " صرح " تعني القصر، كما تعني الصحن، وهو ما يتفق مع المصطلح العامي لصحن الجامع في اليمن. ومن حيث اللغة العربية فإن كلمة صرح، إن كانت تعني البناء الضخم أو الشامخ، فإنها تعني أيضاً القصر أو الصحن، فيقال "صرحة الدار وقارعتها" أي ساحتها وعرصتها"[٣].

أما الصرحة فإنها الساحة التي تكون عند التقاء الشوارع، وهي مكان تجمع السكان في الأعراس والمآتم، كما أنها مكان لعب الأطفال. وتعرف أيضاً باسم عرصة.

– صف أو صفيف: الأرفف المصنوعة من الجص التي توجد في الأجزاء العليا من جدران الديوان وغيره من غرف المنزل، وتخصص لوضع أدوات الإضاءة من المسارج والقناديل، وأدوات الزينة من المزهريات والمباخر والمعاطر والمتافل المصنوعة من النحاس، ومستلزمات الولائم والأفراح. وقد اتخذت هذه الأرفف أشكالاً متعددة سواء كان ذلك من حيث القوائم الجصية التي تستند عليها، أو شكل حافة الرف؛ فقد تكون مستقيمة أو قوسية أو مفصصة

(١) بيستون، وآخرون ؛ المعجم السبئي، مادة صرح، ص ص ١٤٤–١٤٥.

(٢) سورة النمل آية ٤٤..

(٣) ابن منظور ؛ لسان العرب، مادة صرح، ج ٣، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٤٢٥.

– صَلالة:تكسية الجدران بصفائح من الحجر[١]، أو تغطية الأسقف بألواح من الحجر. ويوجد في فضاء محل حجيلة من بلاد أَرْحَب سمسرة معمورة إلى عرض الجبل مسقوفة بأحجار بيضاء منجورة، طول كل حجر نحو ثلاثة أمتار، وعرضها نصف متر[٢] يطلق عليها " صلالة ".

– صهارة:عملية دلك أوراق النبات الخضراء دلكاً جيداً على أجزاء من الجدران أو الأرضيات حتى تكتسب اللون الأخضر من عصارتها. وقد جرت العادة في ذمار أن تقوم النساء بهذه العملية.

– صوح: صحن الجامع. ويبدو أن الكلمة تصحيف لكلمة "سوح" التي وردت ضمن القصيدة المسجلة على جدار الجناح الشرقي لجامع الإمام الهادي إلى الحق بمدينة صعدة وتعني "الساحة والناحية" [٣].

– ضريح: التابوت الخشبي الذي يوضع على مقابر أئمة الزيدية في اليمن، كما في ضريح يحيي بن حمزة بذمار (٧٤٩هـ/١٣٤٨م.وقد وردت الكلمة بنفس المعنى من قبل على التوابيت الخشبية في مصر، ومن ذلك التابوت الخشبي بمشهد السيدة رقية ٥٣٣هـ/١١٣٨م وهو أقدم التوابيت الخشبية في مصر،

(١) بيستون، وآخرون ؛ المعجم السبئي، ص١٢٤.

(٢) حسين أحمد السياغي: معالم الآثار اليمنية، ص ٥٩.

(٣) انظر: إبراهيم أحمد محمد المطاع: جامع الإمام الهادي إلى الحق والمنشآت المعمارية الملحقة به في مدينة صعدة باليمن، دراسة أثرية معمارية مقارنة، رسالة دكتوراة، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٠م، ص ٤٢٧. عن الفيروز أبادي، مجد الدين محمد ؛ القاموس المحيط، ط ٢، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.

حيث وردت بصيغة "هذا ضريح السيدة رقية" [1]، كما وردت على تابوت الإمام الشافعي عبارة "عمل هذا الضريح المبارك".

– طيرمانة: الغرفة التي تغطي النهاية العليا لبئر السلم، وتستخدم كغرفة أو مخزن، كما أنها تحجز مياه الأمطار من الوصول إلى الدرج، ووصولها بالتالي إلى أجزاء أخرى من مكونات المنزل.

– عَباصِري: حجر كلسيميل لونه إلى الإصفرار. وينسب إلى منطقة عَباصر التي تقع شرق مدينة ذمار، لذلك أدى قرب مقاطعه منها إلى كثرة استعماله في عمائرها. ومن المباني الأثرية المبنية بهذا النوع من الحجر في ذمار مسجد وضريح الإمام المطهر بن محمد بن سليمان، وغيره.

– عجمية:غرفة لا تشتمل على فتحات نوافذ يمكن النظر من خلالها، وإنما تكون بها قمريات صغيرة في الجزء العلوي من الجدران، أو بعض الفتحات الضيقة "شواقيص". ومن الجدير بالذكر أن كلمة أعجمي تطلق على الأبكم، الذي لا يستطيع التحدث. مما يرجح أن وصف هذه الغرفة بهذه الصفة مأخوذ من كونها لا يمكن التحدث من خلالها إلى الغير. كما تسمى الأحجار التي تصنع منها رحي طحن الحبوب أحجار العجم.

– عدلة:الفتحة النافذة المغطاة بلوح من البلق الرقيق الشفاف، والذي يبدو من رقته كأنه الزجاج، وهي كلمة عامية تستخدم في بعض بلاد اليمن، ومنها ذمار.

(١) أحمد فكري ؛ مساجد القاهرة ومدارسها، ج ١، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٠٣.

– عَدَني: الاتجاه الجنوبي، نسبة إلى مدينة عدن، التي تقع في جنوب اليمن. إذ يقال غرفة عدنية أي الغرفة الجنوبية، أو الواجهة العدنية أي الواجهة الجنوبية.

– غريقة:غرفة توجد في إحدى زوايا المنزل، وتكون أرضيتها منخفضة قليلاً عن أرضية بقية وحدات الطابق الذي توجد فيه.

– فَرْخْ: فتحة باب صغيرة في الباب الكبير للمنزل أو السمسرة وغيرها، وهو ما يطلق عليه " خوخة " في الكثير من البلاد العربية.ويخصص هذا الباب لدخول البشر، بينما يفتح الباب الكبير عند دخول الدواب بأحمالها.

–فرشة: قوائم الخشب التي توضع أفقياً بين مداميك البناء، لتوزيع الضغط الواقع على الجدران. وهي من الموروثات في فن العمارة في اليمن، وتمنع انبعاج الجدران، كما تمنع امتداد الشقوق في كامل الجدار عند حدوث هزات أرضية.

– قِبْلي:الاتجاه الشمالي، نسبة إلى اتجاه القبلة في اليمن إلى الناحية الشمالية، ويقال غرفة قبلية أي شمالية، أو الجدار القبلي بمعنى الجدار الشمالي.

– قص: الجص، والقص كلمة عربية، فقد ورد في الحديث الشريف "نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن تقصيص القبور، أي بناؤها بالقص أو الجص. ويقال "قصص داره" أي جصصها [1].ووردت الكلمة "قص" في النقوش السبئية بعدة معانٍ، أقربها إلى هذا المعنى ما ورد في النقش R5085/7 بمعنى قصة أو جص [2]. أما كلمة "الجص" فهي أعجمية معربة. ويتميز القص

(١) ابن منظور ؛ لسان العرب، مادة "قصص"، ج. ٥، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٦٥٢.
(٢) بيستون، وآخرون ؛ المعجم السبئي، قصا، قصص، ١، ١١، ص ١٠٩.

اليمني بتماسكه نظراً لإضافة مادة الغراء "الخيرة" إليه، ويستخدم الجص بالإضافة إلى الطلاء في أعمال الزخرفة وعمل القمريات. ومن مميزات استعمال القص، أنه يجعل المنازل رطبة في فصل الصيف (١).

-قَضاض:إحدى مواد الشيد أو التكسية، وتتكون من الجير "النورة" المخلوط بفتات الحجر الجيري، أو حجر البازلت الأسود والماء. ويترك الخليط لمدة أسبوع حتى يتخمر، وبعد ذلك يتم استخدامه. ويستخدم على مرحلتين، إذ يتم الطلاء به للمرة الأولى ثم يترك لمدة ثلاثة أيام حتى يجف. وبعد الطلاء للمرة الثانية تتم عملية تنعيم للسطح باستخدام مسحوق المرمر، وبعد ذلك يدلك السطح بشحم البقر، مما يساعد على سد المسام تماماً. لذلك استخدم القضاض في طلاء الجدران والأسقف وخزانات المياه، لما يتمتع به من خاصية منع تسرب المياه أو الرطوبة داخل هذه الأماكن (٢). وذكر البعض أن القضاض يشبه مادة الخافقي في مصر(٣). ولم يرد الفعل "قضض" أو مصدره "تقضيض" في المعجم السبئي أو المعاجم اللغوية العربية بالمعنى المستخدم في العمارة اليمنية، إنما يرد بمعانٍ لا صلة لها بفن البناء، وما يتصل به من أعمال.

- قُطب: دعامة أسطوانية أو مربعة تبنى بالحجر، في منتصف مساحة بئر السلم، حيث تكون ركيزة لدرجات السلم، في مقابل جدران البناء التي يرتكز عليها الطرف الآخر لكل درجة سلم. ويطلق عليها أيضًا" عروس البيت".

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد ؛ الإكليل، ج ٨، ص ص ٩-١٠.

(٢) مطهر علي الإرياني ؛ القضاض، الموسوعة اليمنية، ج. ٢، الطبعة الأولى، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ١٩٩٢م، ص ص ٢٧٠-٢٧٢. السيد محمود البنا ؛ دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء، ص ص ١١٠-١٢٠.

(٣) عبد الله عبد السلام الحداد: صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، هامش ص ٢٧.

– قَطَّة – نعلة: الأجزاء السفلى من الجدران التي تغطى بطبقة من القضاض لعزل الجدران عن الرطوبة والملوحة. وكانت كلمة" قَطَّة " مستخدمة قديماً، أما في الوقت الحالي فإن الغالب استخدام كلمة "نعلة" للدلالة على هذا الشريط.

– قَمَرِية: فتحة نافذة معقودة بعقد غالباً ما يكون نصف دائري، وتوجد في الأجزاء العليا من جدران الواجهات الخارجية للمنزل، وتغشى بستارة من الزجاج الملون المعشق في الجص، المفرغ بأشكال مختلفة بحيث ينتج عنها زخارف هندسية ونباتية أو كتابية في بعض الأحيان.وتعد القمرية من الملامح الزخرفية المميزة لعمارة المنزل اليمني. ويطلق عليها العقود اليمنية. وقد مرت صناعة القمرية بعدة مراحل من التطور، أخذت في كل مرحلة منها شكلاً متميزاً. وربما يكون الاصطلاح على تسميتها "القمرية" ناتج عما تؤديه من وظيفة الإضاءة الخافتة، وذلك لأن كلمة "قمرية" لم ترد في معاجم اللغة بمعنى يقارب هذا المعنى الاصطلاحي، وإنما وردت كلمة قمرية بمعنى نوع من الحمام [١].

– كمَّة: جزء مقتطع من غرف الرجال والنساء تخصص للأطفال الذين لم يبلغوا الحُلُم، وهو مصطلح مستعمل أيضًا في صنعاء [٢].

– كُنة: الرفرف الخشبي الذي يعلو فتحات النوافذ أو مدخل المنزل، ويظلل حيزًا صغيرًا أمام المدخل [٣]، ويستند على عوارض خشبية مثبتة في الجدران، لحماية النوافذ الخشبية المزخرفة من الأمطار وإضفاء جانب جماليفي حالة ما إذا كانت الكنة نفسها مزخرفة.

(١) ابن منظور ؛ لسان العرب، مادة قمر، ج. ٥، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٧٣٧.

(٢) عبد الله عبد السلام الحداد:صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، ص ص ٦٠ – ٦١.

(٣) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد ؛ القاموس المحيط، ص ١١٠٧. صلاح حسين العبيدي، طلعت رشاد اليارو ؛ البيت العربي الإسلامي تخطيطاً ومصطلحاً (كتاب أنظمة المدينة العربية)، بغداد، ١٩٩١م، ص ١٥.

– كيد – حقب:مساحة مستطيلة تحدد ببناء من الحجر، وتبطن جدرانها الداخلية بمادة القضاض لعزلها عن الرطوبة، وتوجد الكيود في المخازن الخاصة بالغلال سواء التي توجد في الطابق الأرضي أو أعلى المنزل. ويرتبط وجود الكيود بالمخازن التي توجد في الجهة الشمالية، نظراً لبرودة هذه الجهة مما لا يؤدي إلى تلف الغلال. كما أن وجود الكيود يرتبط بمنازل الأسر الميسورة، التي تمتلك أراضي زراعية، وتقوم بخزن كميات من الغلال إلى وقت الحاجة. كما يطلق على أماكن تخزين الغلال اسم "حقوب" جمع "حقب".

– لبنة:مصطلح مساحي، يطلق على مساحة تعادل ٤٤ متراً مربعاً.

– متخذات:أماكن قضاء الحاجة في المساجد، وغالباً ما تكون في الناحية الجنوبية الغربية، أو الجنوبية الشرقية من المسجد [١]. كما يطلق عليها "مستراحات" جمع مستراح. وهناك نوع من المتخذات الصغيرة المساحة تكون بجوار المسجد أو غيره تسمى "مساتر" [٢].

– محفد: البرج الذي يدعم أسوار المدن أو العمائر ذات الطابع الدفاعي ؛ فكان يدعم أسوار مدينة ذمار القديمة – ذمار القرن – محافد مربعة واسطوانية.

– مَحكمة: غرفة صغيرة ترتفع عن أرضية السقيف في الطابق الأرضي ببضع درجات. ويقتصر وجودها على منازل أصحاب المناصب والأثرياء، حيث تخصص لجلوس أصحاب الحاجات، كما يقيم بها الحارس أو الخادم الخاص.

(١) ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله: وصف صنعاء (كتاب المنشورات الجلية)، ص ٦٥.

(٢) ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله ؛ وصف صنعاء (كتاب المنشورات الجلية)، ص ٥٩، ص ٦٥.

– مَخْلَفة: الجسر أو القنطرة التي تربط بين أعلى منزلين أو مبنيين. ومن أمثلتها في مدينة ذمار المخلفة التي تصل بين أعلى منزلين من منازل آل سلامة (لوحة ٨٢) وكان مثل ذلك التقليد المعماري متبعًا في عمارة بلاد المغرب والأندلس ؛ حيث يربط بين القصر والمسجد الجامع في قرطبة جسر، يعرف ب " ساباط " أو أن يصل بين مبنيين دينيين، كما في جامع القرويين بمدينة فاس المغربية والمدارس الملحقة به. كما وجدت نماذج لذلك في جامع أحمد بن طولون، وبيت الكريتلية بمدينة القاهرة.

– مراجة: تكسية الجدران من الداخل أو الخارج بالطين.

– مراجو: الحوض الذي يقام على حافة البئر ليصب فيه الماء الذي ينزع من البئر، ثم يُحوَّل إلى مجار متعددة [١].

– مرنع: المنحدر الذي يتقدم البئر لتسير عليه الدواب أثناء عملية رفع الماء من البئر [٢]، وعادة ما يكون طول المرنع مساوياً لعمق البئر.

– مصفى: حوض غير عميق يوجد في المساحة الفاصلة بين المطاهر وبيت الصلاة، كي يمر به المتوضئ لتصفية قدميه مما يكون قد علق بها قبل دخوله إلى بيت الصلاة.

– مطهار: مكان التطهر في المساجد، وتجمع بصيغة مطاهير. وهي في المنازل مواضع قضاء الحاجة والطهور أيضاً [٣].

---

(١) ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله ؛ وصف صنعاء (كتاب المنشورات الجلية)، ص ٦٤.

(٢) ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله ؛ وصف صنعاء (كتاب المنشورات الجلية)، ص ٧٠.

(٣) الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني: ت ٤٦٠هـ: تاريخ مدينة صنعاء، ط. ٣، ص ١٤٦ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله ؛ وصف صنعاء، ص ٦٥، حاشية ٣.

– مِعْلامة: الكُتَّاب الذي يلحق بالمدارس، ويخصص لتعليم الأطفال الأيتام، وتعادل الكُتاب الملحق بالأسبلة في العمارة المملوكية والعثمانية في مصر. ومن أمثلته في العمارة اليمنية المعلامة في المدرسة الأشرفية في تعز والمدرسة العامرية في رداع.

– مَفْرج: غرفة مستطيلة أو مربعة تقام أعلى المبنى، تفتح في كل جوانبها فتحات نافذة متسعة يسمى الواحد منها "جرف". ومن المرجح أنه سمي المفرج لأن الجالس فيه يمكنه التفرج على ما يحيط به من مناظر سواء كانت مزارع أو جبال أو غيرها.وفي العصر العثماني تحول المفرج من أعلى المنزل إلى الطابق الأرضي، مع الحرص على توفير المنظر الجميل، وذلك بإنشاء حديقة أمامه تتوسطها فوارة. فقد ورد في "وصف صنعاء" أن اتخذت في زماننا تحت عروش العنب، وفي بساتين الشجر،

ومُفَتْحَات الجهات الثلاث من الشرق واليمين والغرب، وعلى أبوابها البرك والفسقيات تتوسطها الشاذروانات فيكون في هذه المفارج نظارة عجيبة [١]. بالإضافة إلى ما كانت تشتمل عليه جدران المفرج من بديع الزخرف.

– مقشامة: حديقة صغيرة تلحق بالمنازل والمساجد حيث يستفاد من الماء المنصرف من الوضوء أو التطهر في زراعة بعض الخضروات وغيرها. ويذكر أن السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري، هو الذي أمر بإلحاق المقاشم بالمساجد [٢].

(١) ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله ؛ وصف صنعاء، ص ص ١٠٠–١٠١.

(٢) زيد بن علي عنان ؛ صنعاء، حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعابها، ص ٣٧.

– مقطور: فتحة مربعة أو مستطيلة أو دائرية تعمل في سقف المنزل بغرض الإضاءة والتهوية، ويتم عملها عن طريق رفع نهايات البراطيم الخشبية المستخدمة في عمل الأسقف بانحدار قليل، ويوضع ما بين البراطيم حاجز معدني بحيث تنتج هذه الفتحة، وهي تشبه إلى حد ما الشخشيخة في العمارة الإسلامية في مصري، خاصة في العصر المملوكي.

– مكان: تسمية محلية تطلق على الغرفة المخصصة للنوم، ويلحق بها صفة حسب موقعها من المنزل، فيقال المكان القبلي للغرفة التي تقع في الجهة الشمالية، أو المكان العدني للغرفة التي تقع في الجهة الجنوبية.

– ملاحة: الطين المخلوط بالتبن، ويستخدم في تكسية الجدران والأرضيات.

– مَنزلة: حجرة صغيرة منخفضة تبنى على أسطح المساجد أو بجوارها، أو على جوانب الأفنية، وتخصص لإقامة طلاب العلم.

– مَنْسَمة: درجة السلم المتسعة "بسطة" التي توجد عند منعطفات الدرج، أو عند بدايات الطوابق في مختلف المنشآت.

– مَنْظَر: كان مصطلح "منظر" يطلق في كتابات المؤرخين القدامى، ومنهم "الهمداني" على غرفة المفرج. كما أنها ما زالت مستعملة في كثير من المدن اليمنية للدلالة على المفرج [1].ولكن في عمارة المنزل الذماري فإن هناك فارق بين المنظر والمفرج، حيث أن المنظر يكون عبارة عن غرفة صغيرة تؤدي إليها فتحة باب من على الدرج مباشرة، بينما يكون المفرج في أعلى البناء في وسط السطح. وفي عمارة المنزل الصنعاني فإن المنظر أو المفرج يكون في أعلى

(١) ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله ؛ وصف صنعاء، ص ٧٥.

البناء، ولكن المنظر تكون مساحته صغيرة ونوافذه ضيقة، بينما تكون مساحة المفرج متسعة، كما أن نوافذه كبيرة "جروف" [١]. وقد ورد في بلوغ المرام "أن المفرج هو المنظر، لكن النافذة في المفرج كبيرة العرض، وتكون بعرض كل ضلع من أضلاع المفرج، بحيث يشاهدالجالسون البر والجبال

ومن الفروق بين المفرج والمنظر، أن المفرج يبنى فوق قطب السلم، أما المنظر فأنه يبنى فوق أعلى غرفة من الطابق الأخير.

– نُقرة: حفرة في باطن الأرض تستخدم كخزان للفضلات الآدمية، ويكون في جانب من إحدى غرف الطابق الأرضي، التي تستعمل كحظائر للحيوانات. وسمي "النقرة" كونه محفوراً في باطن الأرض، كما أن جوانبه تبنى بكاملها بحجر الحبش الأسود، فتبدو الحفرة وكأنها منقورة في الصخر.

– نُورَة: الحجر الجيري المحروق حرقاً جيداً المَطْفي بالماء. وهي مادة بيضاء تستخدم في طلاء الجدران في المنشآت بكافة أنواعها [٢]، بعد إضافة الماء والملح إليها حتى تكون متماسكة ولا تتساقط عند الاستخدام.

– ياجور: كلمة عامية تطلق على الطوب الآجر، وهو الطوب المحروق. وليس لهذه الكلمة أصول يمنية قديمة حيث أنها لم ترد في المعجم السبئي، كما أنها لم ترد في المعاجم اللغوية العربية. وقد استخدم الياجور في أعمال البناء في العمارة اليمنية، كما استخدم بشكل كبير في أعمال زخرفة الواجهات على

(١) زيد بن علي عنان ؛ صنعاء، حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعابها، ص ٣١.

(٢) محمد عبد الستار عثمان؛ الإعلان بأحكام البنيان لإبن الرامي، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص ١٥٣.

شكل خطوط متكسرة بارزة عن سمت الواجهات، وفي زخرفة أبدان المآذن، وأسفل شرفات المؤذنين، وذلك على شكل حطات متتالية تكوَّن أشكالاً زخرفية. ويعد استخدام الآجر في أعمال البناء من المواد المناسبة للعمارة في مدينة ذمار، التي تتميز ببرودة الطقس خاصة في فترة الليل، وذلك لما لهذه المادة من خصائص تتناسب مع أجواء المناطق الباردة، حيث أن الآجر يكتسب الحرارة بسرعة، ويفقدها ببطء، مما يساعد على تدفئة المنزل ليلاً بواسطة الحرارة التي اكتسبها طوال فترة النهار.

الخاتمة والنتائج:

- تضم مدينة ذمار واحداً من أقدم المساجد في اليمن، وهو الجامع الكبير، الذي تتفق الآراء على أنه بني في العقد الأول من الهجرة النبوية الشريفة. وإن كانت قد أجريت على عمارته وعناصره المعمارية إضافات وتعديلات في فترات تاريخية مختلفة، وأعيد بناؤه على أثر الأضرار التي لحقت به نتيجة لزلزال أواخر عام ١٩٨٢م، إلا أنه يحتفظ بالملامح الأصيلة لتخطيطه ومكوناته المعمارية.
- تضم مدينة ذمار واحدة من أقدم المآذن اليمنية الباقية، وهي مئذنة الجامع الصلاحي، التي ترجع إلى أواخر القرن ٨هـ/١٤م.
- استفادت العمارة الإسلامية في ذمار من التراث المعماري اليمني القديم، وخاصة أبدان الأعمدة وتيجانها، كما في مسجد الأمير سنبل، والأحجار المنقوشة بكتابات بخط المسند، التي استعملت في البناء، كما في جدران ومنارة الجامع الكبير، أو كأعتاب في بعض العمائر، ومنها عتب الباب الخارجي لضريح الإمام يحيى بن حمزة. ومن أساليب البناء القديمة التي استمرت في العمارة الإسلامية في ذمار سمك الجدران، وارتداد المداميك كلما ارتفعت الجدران، ووضع براطيم الخشب كفواصل بين مداميك البناء.
- على الرغم من أن المسجد الشمسي الجامع أنشئ في أواخر النصف الأول من القرن ١٠هـ / ١٦م، إلا أن نظام الأعمدة التي يرتكز عليها السقف مباشرة دونما عقود ؟، يمثل أسلوبًا اتبع في المساجد المبكرة من العصر الإسلامي، والمساجد البسيطة في دواخل وواحات صحراء بلاد المغرب.

- إذا كانت بعض الآثار الإسلامية في مدينة ذمار، مثل العديد من الآثار الإسلامية في مختلف المدن اليمنية تفتقد في كثير من الأحيان إلى النصوص التأسيسية التي يمكن الاعتماد عليها في تتبع تاريخ الأثر، وذلك نتيجة لما يطرأ على هذه الآثار من أعمال الإصلاح والتجديد، وما يترتب عليها من طمس للكتابات، فإن المسجد الشمسي الجامع يشتمل على نص كتابي تبقت معظم معالمه بحيث أمكن التعرف على وجه الدقة على مسمى المبنى وتاريخ البدء في البناء وتاريخ الانتهاء منه، كما يحتفظ مسجد الأمير سنبل بأكثر من لوحة تأسيسية.

- أن مدينة ذمار تخلو من المدارس التي تتبع طرز التخطيط الشائع في عمارة المدرسة اليمنية، وما تشتمل عليه من وحدات وعناصر معمارية. وقد أمكن من خلال ما تبقى من كتابات على كل من خارج وداخل بيت الصلاة تصحيح مسمى المدرسة الشمسية إلى المسجد الشمسي الجامع.

- أن بيت الصلاة في المسجد الشمسي الجامع لا يتبع في نظام تغطيتهما كان سائداً في بيوت الصلاة بالمدارس الكبرى والصغرى السابقة واللاحقة لتاريخ بناء المسجد الشمسي، التي كانت تغطى بقبة واحدة أو قباب متعددة أو أقبية متعامدة على جدار القبلة. كما أن بيوت الطلبة "المنازل" في المسجد الشمسي الجامع تختلف من حيث موضعها وتكوينها المعماري عما هو متبع في المدارس اليمنية.

- الاعتماد على الأدلة التاريخية في تفنيد الآراء التي قيلت حول تاريخ بناء مئذنة المسجد الشمسي الجامع، والتوصل إلى أن الزخارف الموجودة ببيت الصلاة أصيلة وترجع إلى تاريخ إنشاء البناء.

- مناقشة الرأي القائل بأن بيت الصلاة بمسجد الأمير سنبل كان مغطىً بقبة، وذلك اعتماداً على سمك الجدران الذي يبلغ حوالي ١,٢٠م. حيث أنني لا أتفق مع هذا الرأي، استناداً إلى شواهد معمارية، كما أنه من التقاليد المعمارية الموروثة في العمارة الإسلامية اليمنية ومنها عمائر مدينة ذمار سمك الجدران. ويرجع الحرص على إتباع هذا الأسلوب إلى طبيعة المنطقة التي تقع على مصطبة بركانية تكثر فيها الهزات الأرضية.
- تفنيد الرأي القائل بأن مسجد دادية كان يشتمل على منارة قبل إنشاء المنارة الحالية، وذلك اعتماداً على مقارنتها ببقية مساجد ذمار التي ترجع إلى نفس الفترة، ومنها مسجد الأمير سنبل ومسجد الحسين بن القاسم، وعلى كتابات بعض الرحالة.
- عرفت ذمار نمطين من الأضرحة، أضرحة ملحقة بالمساجد ويؤدي إليها فتحة باب من صحن المسجد وفتحة باب من بيت الصلاة، مثل ضريح الإمام يحيي بن حمزة، وضريح الإمام المطهر بن محمد بن سليمان، أو أن يكون الضريح في مؤخر بيت الصلاة من المسجد مثل ضريح الحسين بن القاسم.
- تصحيح ما ورد عند كل من الحجري والجرافي أن الإمام يحيى بن حمزة توفى سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م، وذلك اعتمادًا على الكتابات المنقوشة على شاهد القبر والتركيبة الخشبية وهو يوم ٢٩ رمضان سنة ٧٤٩هـ، وهو ما ورد عند كل من الشوكاني والحبشي
- تصحيح تاريخ وفاة الإمام أبو الفتح الديلمي، من خلال كتابات شاهد قبره الموجود بضريحه، وهو سنة ٤٤١هـ(١٠٤٩م)

- تتميز كتابات شواهد قبور الأئمة الزيدية في ذمار بكثرة الألقاب وعبارات الثناء والمديح، وتتبع سلسلة النسب وذكر المناقب، وصياغة الشهادة بالصيغة الشيعية، حيث تشمل ذكر علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم صلوات الله، وجمع كلمتي "عليه السلام" في كلمة واحدة وهي "عليلم"، وكان مثل ذلك قد ظهر في شاهد قبر عبد الله بن حمزة

- أمدتنا عمائر مدينة ذمار بأسماء بعض البنائين مثل الجعدي والطويل، وبعض الصناع والفنانين مثل محمد بن عبد الرحمن والأسطى مهدي صالح النجار، والنقاش الفقيه علي بن أحمد، وحسين بن أحمد النشر وولده علي، والنقاش "قاسم محمد الحلم" ". والكاتب محمد بن يحيى الشامي

- تتميز العمائر الإسلامية بمدينة ذمار بالاعتماد على المواد المتوفرة في البيئة للبناء مثل أحجار البازلت الفقاعي "الحبش" الأسود، والحجر المائل إلى الإصفرار "العباصري" والآجر، بالإضافة إلى تكسية الجدران بالجص والقضاض، وإعداد الزخارف بمادة الجص.

- تركزت الزخارف في العمارة الدينية بشكل أساسي على داخل بيوت الصلاة، وبصفة خاصة منطقة المحراب، والأجزاء العليا من الجدران، وشملت زخارف كتابية على أرضية من زخارف نباتية متنوعة، بالإضافة إلى الزخارف الهندسية، وبصفة خاصة أشكال الجفوت المعقودة في أشكال دوائر أو مسدسات أو معينات، والبخاريات التي تضم زخارف نباتية وعناصر هندسية بداخلها.

- تركزت الزخارف في العمارة المدنية وبصفة خاصة المنازل والسماسر، على الواجهات الخارجية، ولم تحظ الأجزاء الداخلية باهتمام زخرفي إلا في

الديوان والمفرج. وقد ساهم في إبراز الواجهات عدة عناصر رئيسة، منها زخرفة الأحزمة الفاصلة بين طوابق المنزل، وفتحات العقود "القمريات" والمشربيات، وما يتخللها من زخارف، والأشرطة الزخرفية التي تمتد أسفل هذه الفتحات، وفتحات الشواقيص، بالإضافة إلى ما كان يتم تنفيذه من زخارف على التجواب في أعلى البناء، واستخدام طريقة التباين اللوني، التي ظهرت بشكل أساسي في المنازل المبنية بالأحجار.

- أن ظهور عنصر النجمة السداسية كعنصر زخرفي على الواجهات الخارجية لكثير من المنازل يرجع إلى أمرين، أولهما أن هذا العنصر وغيره من العناصر الهندسية من أنماط الزخرفة الهندسية التي برع فيها الفنان المسلم بشكل عام، واستخدمها بشكل مكثف مع العناصر النباتية، وذلك للابتعاد عن تصوير الكائنات الحية، التي كانت أمرًا غير محبب. وقد وجدت على الكثير من العمائر الدينية، ومن ذلك الزخارف الجصية على جدران بيت الصلاة بالمسجد الشمسي بذمار، وزخارف جدار القبلة من الخارج بالمدرسة العامرية في رداع، أما الأمر الثاني فيرجع إلى أن مدينة ذمار كانت واحدة من المدن اليمنية التي تواجد بها عدد كبير من اليهود، وتوجد منطقة في ذمار تعرف بـ"قاع اليهود" كانت مقراً لسكناهم، وكان هؤلاء اليهود يعملون ضمن أنشطتهم في أعمال البناء، مما يحتمل معه أن يكون سبباً في ظهور هذه النجمة بهذا الشكل، بالإضافة إلى أنه عندما هاجر اليهود من ذمار في منتصف القرن العشرين قام بعض أهالي ذمار بشراء منازلهم، التي كانت تنقش على واجهاتها هذه النجمة.

- تنعكس في زخارف العمائر الإسلامية في ذمار بعض الصلات الفنية معمارة وفنون بلاد المغرب والأندلس، ومن ذلك أشكال بوائك العقود الصماء في بواطن المحاريب، وفي مناطق انتقال القباب، وفي الحنايا المحارية الركنية، وفي الزخارف الجصية المخرَّمة، التي تعرف في بلاد المغرب ب " نقش حديدة ".

قائمة المصادر والمراجع العربية والمعربة والأجنبية

أولاً: المصادر:

- ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد، ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م): سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦م.
- ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي، ت: ٧٤١ هـ/١٣٤٠م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م:
- الحلة السيراء، ج.٢، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن الحسين، يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م): غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، ت نحو ٣٤٠هـ / ٩٥١م: بغداد مدينة السلام، تحقيق صالح أحمد العلي، وزارة الإعلام، بغداد، د. ت
- ابن القاسم، جمال الدين علي بن عبد الله؟: وصف صنعاء، مستل من مخطوط المنشورات الجلية، تحقيق عبد الله الحبشي، ط.١، صنعاء، ١٩٩٩م.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م: المخصص، السِفْر العاشر، ج. ٣، بيروت، د. ت.
- ابن منظور، جمال الدين الأنصاري محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ / ١٣١١م: لسان العرب، ج.ج. ٣، ٥، دار المعارف، القاهرة، د. ت.وطبعة بيروت، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت، د. ت.،
- أبو طالب، حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم، ت ١١٧٠هـ: تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مطابع المفضل، صنعاء، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ؟.
- الحجري، القاضي محمد بن أحمد، ت ١٣٨هـ: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج. ١، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، ط. ١، وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب١٦/١، صنعاء، ١٩٨٤م.
- الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن، ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج.٢، تحقيق محمد علي الأكوع، ط. ٢، صنعاء، ١٩٨٣م.
- الديبع، أبي الضيا عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)؛ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٧م، وط ٢، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء، ١٩٨٨م.
- الفضل المزيد على بغية المستفيد، تحقيق يوسف شلحد، بيروت، ١٩٨٣م

- الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني، ت ٤٦٠هـ: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد الله العمري، دار الفكر العربي، بيروت – دمشق، ط ٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- الشوكاني، محمد بن عليبن محمد بن عبد الله، ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٢، بيروت، ١٩٧٣م.
- الطالبي، الحسن بن الحسين بن حيدرة إسماعيل القاسمي الحسني، ت ١٢٢١هـ / مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهلها الأمصار، تحقيق عبد الله بن عبد الله الحوثي، ط ١، دار الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- العرشي، حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في منتولى مُلْك اليمن من مَلِك وإمام، نشر وتحقيق الأب إنستاس الكرملي، القاهرة، ١٩٣٦م، وطبعة مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ١٩٣٩م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، ت ٨١٧هـ / ١٤١٥م: القاموس المحيط، ط ٢، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى بصناعة الإنشا، ج ٥، المطابع الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر،.
- المقحفي، إبراهيم: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط ٣، صنعاء، ٢٠٠٢م.
- النهروالي، قطب الدين بن محمد بن أحمد المكي، ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م: البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٧م

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م: نهاية الأرب في فنون الأدب، تاريخ مصر، ج ١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د. ت.،

- الهمداني، الحسن بن أحمد، ت ٣٣٦هـ / ٩٤٧م: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، دار اليمامة، ؟ ١٩٧٤م، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠م

- الإكليل، ج ٨، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع، دمشق، ١٩٧٩م.

- الوزير، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله، ت ١١٤٧هـ /؟: تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي (١٠٤٥-١٠٩٠هـ/١٦٣٥-١٦٨٠م)، المسمى "طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى"، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، ط ١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٥م.

- اليماني، عبد الواسع بن علي الواسعي: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ط ٢، ١٩٩٠م.

- بطرس البستاني، ت / ١٨٨٣م: محيط المحيط، بيروت، ١٨٧٠ م

- ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٣٠م): معجم البلدان، ، ج ٣، ج ٥، دار الفكر، بيروت، ؟

ثانياً: المراجع العربية:

- أجـروفيش هولنـدبي، ف. ب، وآخـرون: مشـروع ذمـار الإقليمـي لخـدمات البلديات (مهمة التخطيط الحضري لمدينة ذمار)، اليمن، ١٩٩٧م.
- أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٣م، وط ٣، مطابع البادية للأوفست، الرياض، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- أحمـد فكـري:مسـاجد القـاهرة ومدارسـها، ج ١، العصـر الفـاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- أحمـد قائـد بركـات: الديمـة، الموسـوعة اليمنيـة، ط ١، مؤسسـة العفيـف الثقافية، صنعاء، ١٩٩٢م.
- أحمـد محمـد صـبحي: الإمـام المجتهـد يحيـي بـن حمـزة وأراؤه الكلاميـة، منشورات العصر الحديث، ط ١، ١٩٩٠م.
- إسـماعيل بـن علـي الأكـوع: المـدارس الإسـلامية فـي اليمن، دار الفكـر، دمشق، ١٩٨٠م.
- هِجَر العلم ومعاقله في اليمن، ج ٣، بيروت ١٩٩٥م.
- السيد آدي شير:معجـم الألفـاظ الفارسـية المعربـة، مكتبـة لبنـان، بيـروت، ١٩٨٠م.
- جرجـي زيـدان: تـاريخ التمـدن الإسـلامي، ج ١، مراجعـة وتعليـق حسـين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٨م.
- حسـن الباشـا:موسـوعة العمـارة والآثـار والفنـون الإسـلامية، ج ٢، القـاهرة، ١٩٩٩م.
- حسـن عبـد الوهـاب: تـاريخ المسـاجد الأثريـة، ج ١، دار الكتـب القوميـة، القاهرة، ١٩٤٦م.

- حسين أحمد السياغي: معالم الآثار اليمنية، ط ١، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٨٠م.
- حسين بن علي الونسي: اليمن الكبرى، ج ١، ط ٢، صنعاء، ١٩٩١م
- خلدون هزاع الرازحي: ذمار القرن موقع مدينة ذمار القديمة، كتاب صنعاء الحضارة والتاريخ، المجلد الأول، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٥م
- ديمجريت، أليساندرو: المجموعة المعمارية الأثرية السبئية في وادي بلاد خولان الطيال، الجمهورية العربية اليمنية، أسميو، روما، ١٩٨٨م.
- ربيع القيسي، صباح الشكري: دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨١م.
- ربيع حامد خليفة: الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- مساجد مدينة صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول، ١٥٣٨م – ١٦٣٥م، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د. ت.
- رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨١م
- سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ط ٣، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، ١٩٧٨م.
- صلاح أحمد البهنسي: استمرارية بعض الأساليب المعمارية والفنية اليمنية القديمة في العمارة الإسلامية في اليمن، كتاب تقديري للآثاري الكبير الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة

الإسلامية، الكتاب الأول، ج ٢، العمارة، مجلة كلية الآداب جامعة سوهاج، ٢٠٠٨م.
- المتاحف علم وفن، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٩م
- صلاح حسين العبيدي، طلعت رشاد اليارو: البيت العربي الإسلامي تخطيطاً ومصطلحاً (كتاب أنظمة المدينة العربية)، بغداد، ١٩٩١م.
- طوبيا العنيسي ؛ تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، دار العرب البستاني، القاهرة، ١٩٦٤م.
- عادل محيي الدين الألوسي: ذمار في الإسلام حتى أواخر القرن الثالث الهجري، كتاب ذمار عبر العصور، إشراف أحمد محمد الحضراني، متابعة وجدان الصائغ، دار جامعة ذمار للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م.
- عبد العزيز الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط ٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٠م.
- عبد الله بن عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م
- عبد الله ثور: هذه هي اليمن، مطبعة المدني، صنعاء، ١٩٦٩م..
- عبد الفتاح شلبي: المقدسي البشاري، قصص الرحالة والمكتشفين، العدد الثاني عشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.
- عبد القادر بافقيه: توحيد اليمن القديم، ؟المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٧م
- عبد الله عبد السلام الحداد: صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، مدن تراثية ٢، ط ١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- عبد الله محمد الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، د. ت.
- عرفان سامي ؛ نظريات العمارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
- عفيف البهنسي: الجامع الكبير بصنعاء، الطبعة الأولى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٩٦م.
- غيلان حمود غيلان: محاريب صنعاء حتى أواخر القرن ١٢هـ/١٨م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- فاروق عثمان أباظة: الحكم العثماني في اليمن، ١٨٧٢ – ١٩١٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- محمد السيد محمد أبو رحاب ؛ المدارس المغربية في العصر المريني، دراسة آثارية معمارية، ط ١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١١م
- محمد بن إسماعيل الصنعاني: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، القاهرة، ١٩٧٧م.
- محمد بن سالم البيحاني: أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، جزءان، مطبعة العلم، دمشق، ١٩٦٤م.
- محمد توفيق: آثار معين في جوف اليمن، النقش الأول، القاهرة، ١٩٥١م
- محمد حزام العماري، عباد البراق: الخصائص الجغرافية لمحافظة ذمار، كتاب ذمار عبر العصور، إشراف أحمد محمد الحضراني، متابعة وجدان الصائغ، دار جامعة ذمار للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م
- محمد حماد: الإنشاء والعمارة، ط ١، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٦٤م
- محمد حمزة إسماعيل الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، تاريخ المدارس في

مصر الإسلامية، ، تاريخ المصريين ٥١، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٩١م

- محمد زكريا: مساجد اليمن نشأتها وتطورها، ط ١، صنعاء، ١٩٩٨م.
- محمد عبد الستار عثمان: الإعلان بأحكام البنيان لإبن الرامي، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- محمد عبد القادر بافقيه، وآخرون: موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام (مختارات من النقوش اليمنية القديمة)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥م.
- محمد عبد الله باسلامة: شبام الغراس، ط ١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- محمد علي عبد الحفيظ: المصطلحات المعمارية في وثائق عصر محمد علي وخلفائه ١٨٠٥ – ١٨٧٩م، ط ١، ٢٠٠٥م
- محمد متولي: التحضر في الجمهورية العربية اليمنية، التحضر في الوطن العربي، ج ١، الأقطار الأسيوية، معهد البحوث والدراسات العربية، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.
- محمود إبراهيم حسين: المآذن اليمنية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د. ت.؟
- مصطفى شمس الدين الشهير بالأفتري: قاموس أفتري كير، ج ١، المطبعة العامرية، ١٣١٠هـ.
- مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، ط ١، وكالة سكرين، القاهرة، ١٩٨٧م.

- دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية، ندور تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٥١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
- مطهر علي الإرياني: القضاض، الموسوعة اليمنية، ج ٢، ط ١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ١٩٩٢م.
- معروف ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ج ١، بغداد، ١٩٦٥م.
- منير عبد الجليل العريقي: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم (١٥٠٠ ق. م حتى ٦٠٠م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- نزيه مؤيد العظم:رحلة في بلاد العربية السعيدة، ج ١، ؟.
- يووسف محمد عبد الله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، جزءان، ط ١، بيروت، ١٩٨٥م، وط ٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ١٩٩٠م.

ثالثًا: المراجع المعربة:

- بونانفان، بول وغيميت: صنعاء مسار مدينة عربية، معهد العالم العربي، باريس، ١٩٨٧م.
- بونانفان، بول: أحياء زبيد ملاحظات في التاريخ الإجتماعي، مجلة حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، ٢٠٠٢م.
- بيستون، أ. ف. ل. ، محمود الغول، مولر، والتر، ريكمانز، جاك: المعجم السبئي (بالإنجليزية والفرنسية والعربية)مكتبة لبنان، بيروت، دار نشريات بيترز، لوفان الجديدة، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٨٢م.
- – ريكمنس، جاك، وآخرون: نقوش خشبية قديمة في اليمن، المعهد الشرقي، جامعة لوفان، ١٩٩٤م.

- سرجنت، ر. ب: التجار والتجارة في اليمن من القرن ١٣ إلى القرن ١٦م، كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، سلسلة الدراسات المترجمة، ترجمة نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٢م.
- شميدت، يورجن: مأرب، سد مأرب، تقارير أثرية من اليمن، ج ١، ترجمة عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، المعهد الألماني للآثار بصنعاء، ١٩٨٢م.؟.
- فنستر، بربارة: حول بعض المباني الإسلامية في اليمن، تقارير أثرية من اليمن، ج ١، ترجمة عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، المعهد الألماني للآثار بصنعاء، ١٩٨٢م.
- مالدونادو، باسيليو بابون: العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، ترجمة علي إبراهيم منوفي، مراجعة وتقديم محمد حمزة الحداد، المجلد الأول، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- نيكولاس، لويك: موجز تاريخي عن دار السكة بصنعاء (كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي)، ترجمة نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٢م.
- هانسن، توركيل: من كوبنهاجن إلى صنعاء، ترجمة محمد أحمد الرعدي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

رابعًا: الدوريات:

- أحمد صالح العبادي: أوضاع ذمار والقبائل المحيطة بها أثناء الصراع السبئي الحميري في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، مجلة الوثيقة.

- أحمد غسان سبانو:حول تطور الكشف عن الحضارة اليمنية، مجلة الإكليل، ع ١، ؟ ١٩٨٠م.
- أحمد لُطفي العطاب: مواقع أثرية جديدة في قضاء ريمة، مجلة الإكليل، ع ٢، السنة الخامسة، خريف ١٩٨٧م،
- بريتون، جان فرنسوا: البيت الشاهق، مجلة دراسات يمنية، ع ٤٥، ١٩٩٢م.
- ربيع حامد خليفة:منبر خشبي نادر في الجامع الكبير في مدينة ذمار، مجلة الإكليل، ع ١، السنة السادسة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- مسجد الأمير سنبل (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) وقبة داديه بمدينة ذمار القديمة، دراسة معمارية، مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء، ع ١١، ١٩٩٠م.
- دراسة حول التحف الخشبية اليمنية، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ع ٤، ١٩٩٠م.
- دراسة حول الزخارف الجصية والرخامية اليمنية في العصر الإسلامي، مجلة التاريخ والمستقبل، مج ١، ع ٢، كلية الآداب جامعة إلمنيا، ١٩٩١م.
- النصوص التأسيسية وأهميتها في دراسة العمائر اليمنية الإسلامية، مجلة كلية الآداب جامعة إلمنيا، مج ٢، ع ١، يناير ١٩٩٢م.
- طراز المسكوكات اليمنية في العصرين الأموي والعباسي، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب جامعة إلمنيا، مج ٢، ع ٢، يوليو ١٩٩٢
- ريكمنس، جاك: حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، ع ٢٨، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، أبريل- مايو- يونيو، ١٩٨٧م.

- زيد بن علي عنان: صنعاء، حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعابها، مجلة الإكليل، عع ٢، ٣، السنة الثانية، صنعاء، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- العثمانيون في اليمن، مجلة الإكليل، السنة الثالثة، ع ١، خريف ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥م
- سولانج ,أوري: صفحات من تاريخ مسجد العباسي، مجلة حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٢م.
- عباس فاضل السعدي: السكان وتوزيعهم حسب الأقاليم الطبيعية في اليمن، مجلة دراسات يمنية، ع ١٠، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٢م.
- نشأة مدينة صنعاء وتطورها، مجلة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ع ٣٤، صنعاء، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م
- عبد الرحمن الحداد:التراث المعماري في صنعاء القديمة(برنامج للحماية والتحسين) ؟، مجلة دراسات يمنية، ع ٢٧، ١٩٨٧م.
- عبد الرحمن الحضرمي: مدينة زبيد في التاريخ، مجلة الإكليل، ع ١، السنة الأولى، يناير ١٩٨٠م
- مدينة السلام – صعدة، مجلة اليمن الجديد، يونيو، ١٩٨٦م
- عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال، مجلة الإكليل، ع ٢، السنة السابعة، صيف ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- عبد السلام علي عثمان المخلافي: صفحات من تاريخ اليمن، مجلة الإكليل، ع ٢، السنة الخامسة، خريف ١٩٨٧م

- عبد العزيز سالم ؛ بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج٥، ١٩٥٧م
- عبد القوي محمد طالب:مميزات المواد المستخدمة في العمارة السكنية بصنعاء القديمة، مجلة دراسات يمنية، ع ٣٥، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- عبد الوهاب المؤيد: فضائل عماد الدين، مجلة اليمن الجديد، ع ٧، يوليو ١٩٨٩م.
- غازي رجب محمد: البيوت القلاعية في اليمن، مجلة سومر، مج ٣٧، الجزءان الأول والثاني، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨١م
- الستائر الجصية في الفن العربي اليمني (العقود اليمنية)، مجلة دراسات يمنية، ع ٢٨، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- فهمي هويدي: الرواجف هزت كرسي الزيدية، مجلة العربي، ع ٢٨٩، الكويت، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ / مارس(أذار) ١٩٨٣م
- محمد سيف النصر: المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، مجلة الإكليل، ع ١، السنة الثالثة، صنعاء، خريف ١٩٨٥م،
- محمد عبد الستار عثمان: مسجد سدوس دراسة آثرية معمارية، ؟
- محمد عبد الله باسلامة: هران بذمار أحد الحصون اليمنية، مجلة الإكليل، ع ٢، صنعاء، خريف ١٩٨٧م.
- محمد علي العروسي: ريمة، مجلة حوليات يمنية، المركز الفرنسي للآثار، صنعاء، ٢٠٠٢م.
- مصطفى عبد العال تمام: مدينة صنعاء ومسيرة التطور الاستيطاني الحضري، مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء، ع ٨، ١٩٨٨م.

- مطهر علي الإرياني: قصر غمدان " الحقيقة والأسطورة " مجلة دراسات يمنية، ع ٤، صنعاء، ١٩٨٠م
- مهيوب غالب: إشكالية ظهور بعض المدن الحميرية (ظفار – بينون – سمعان) مجلة سبأ، ع ١٣، جامعة عدن، ديسمبر ٢٠٠٤م
- ياسين عبد اللطيف: ثورة اليمن الأولى في مواجهة الإحتلال العثماني، مجلة الإكليل، ع ٢، السنة الأولى، خريف ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- ياسين القيم، أحمد ياسين السامرائي: أثر المحددات الطبيعية على النمو الحضري لمدينة ذمار، مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء، ع ٢٤والعشرون، ٢٠٠١م.

خامسًا: الرسائل الجامعية:

- آمال أحمد العمري: المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، كلية الآداب جامعة القاهرة،
- آمال حامد المصري: مدارس مدينة تعز باليمن في عصر بني رسول ٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩– ١٤٥٤م، دراسة أثرية حضارية، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م
- إبراهيم أحمد محمد المطاع: جامع الإمام الهادي إلى الحق والمنشآت المعمارية الملحقة به في مدينة صعدة باليمن، دراسة أثرية معمارية مقارنة، رسالة دكتوراة، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٠م.
- السيد محمود البنا: دراسة ترميم وصيانة سور مدينة صنعاء في العصر العثماني، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م.
- عبد الله عبد السلام الحداد: المنشآت العسكرية في مدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية ٢٠٤ – ٩٢٣هـ: ٨١٩ – ١٥١٧م، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

- عبده معين عبد الملك سعيد: أصول النمط البرجي في العمران اليمني التقليدي، دراسة تحليلية مقارنة للمسكن والمسار في مدينتي صنعاء وشبام، رسالة ماجستير، كلية الهندسة جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م
- علي سعيد سيف: الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وحتى نهاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة صنعاء ؟، ١٩٩٨م.
- فهمي الأغبري: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٩٤م.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

- El-Anbaawy, M., Geology of Yemen Arab Republic. Sanaa University, Publication, 1985.
- Guillemette et Paul BonnenFant, L'art Du Bois A Sanaa (Aixen-Provence), 1987.
- Lane-Poole, S. , Catalogue of Oriental Coins In The British Museum, V, 130, No. 365X, 76-8, No. 364d,e.k, P.r.
- Sauer, J. Blokely, J., Archaeology along The Spice Route Of Yemen (Araby The Blest) Copenhagen, 1988.

اللوحــات

لوحة غلاف: منظر لجانب من مدينة ذمار

لوحة (1): مصرف في سد مأرب القديم

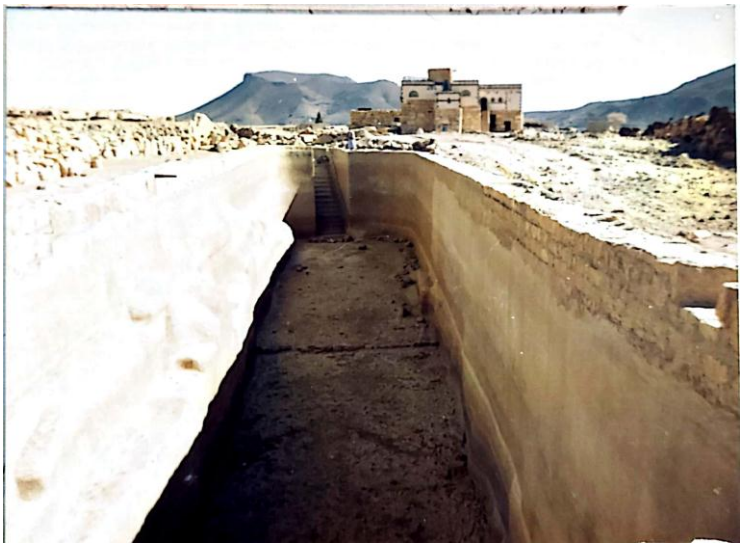

لوحة (2): سد ناعط

لوحة (3): منظر عام لمدينة جُبَن

لوحة (4): جسر شَهَاره

لوحة (5): نقش حميري على مدخل جامع ناعط

لوحة (6): زخرفة الثعبان والكف على منزل بمنطقة ناعط

لوحة (7): كتابات حِمْيَرية على حجر كَلسي–ق١م – بمتحف صنعاء الوطني

لوحة (8): أساسات مبنى سكني في الجهة الشرقية من مبنى الرصد الزلزالي بمنطقة هَرَّان بذمار

لوحة (9) :إحدى برك المياه بحصن هران

لوحة (10): حفرة الدفن التي تتوسط الغرفة المربعة من المقبرة الشمالية

لوحة (11): المقبرة الجنوبية من جبل هران وتتكون من خمس غرف لكل منها فتحة باب

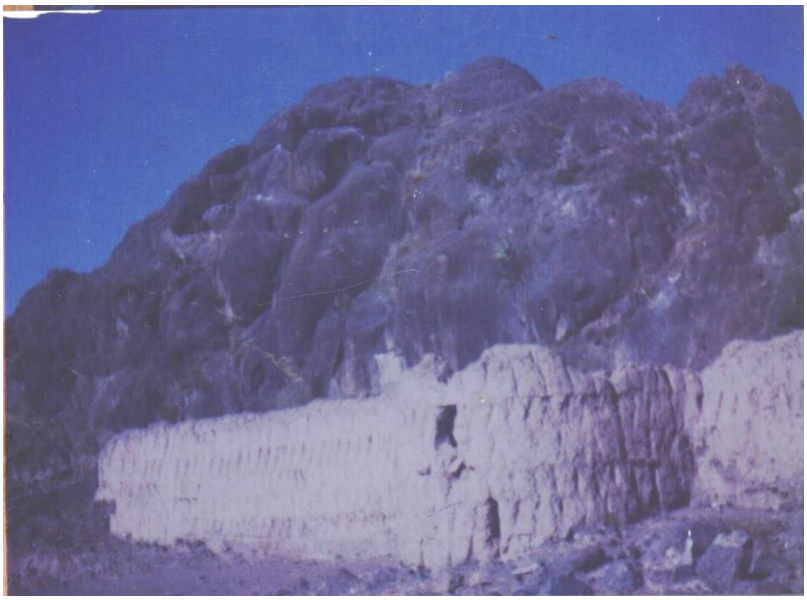

لوحة (12): جزء من السور الطين بحصن هران تتخلله فتحات تصريف المياه ويتوسطه برج

لوحة (13): منارة الجامع الكبير بذمار

لوحة (14):منارة جامع الصلاحي بذمار

لوحة (15): منظر عام للمسجد الشمسي الجامع

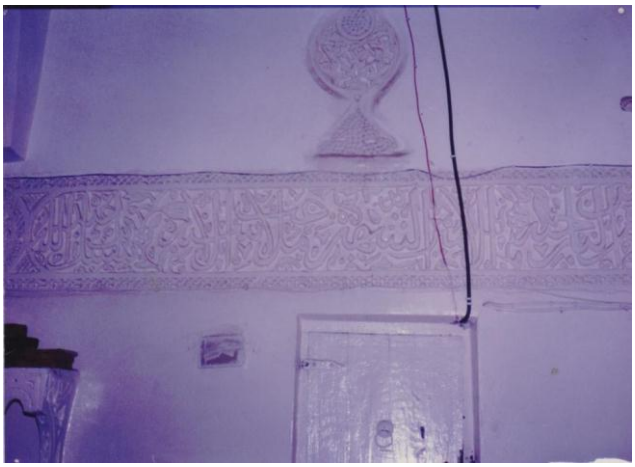

لوحة (١٦) :السقيفة الشرقية للمسجد الشمسي الجامع

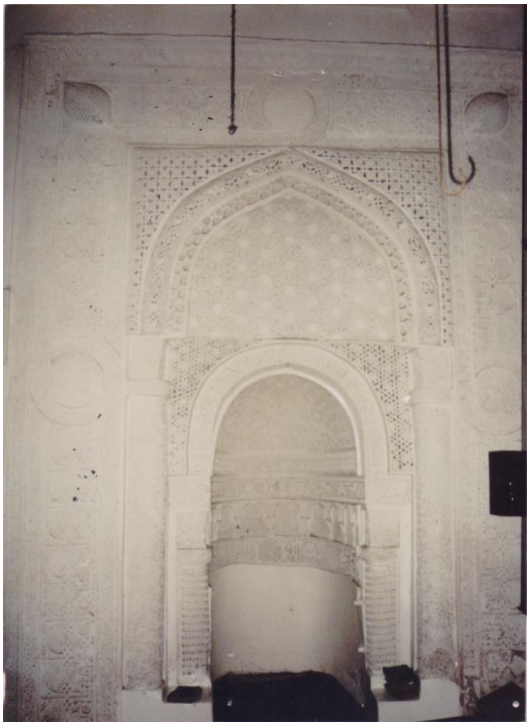

لوحة (17): محراب الجامع الشمسي بذمار

لوحة (18):زخارف كوشتي عقد محراب المسجد الشمسي الجامع

لوحة (19): الشريط الكتابي والزخارف علي الجدار الغربي

لوحة (20):وحدة زخرفية وكتاباتإلى يمين المحراب بالمسجد الشمسي الجامع

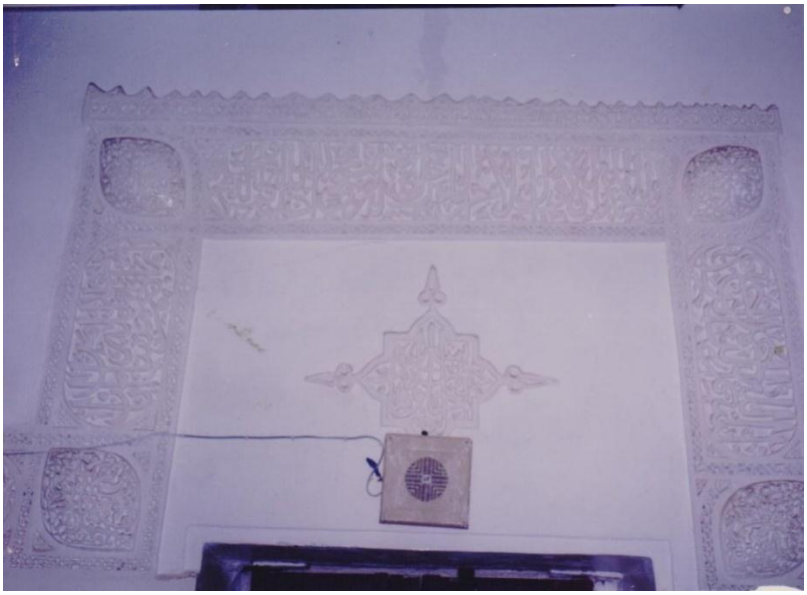

لوحة (21): زخرفة من نجوم سداسية تخرج منها خطوط متقاطعةعلى جدران بيت الصلاة بالمسجد الشمسي

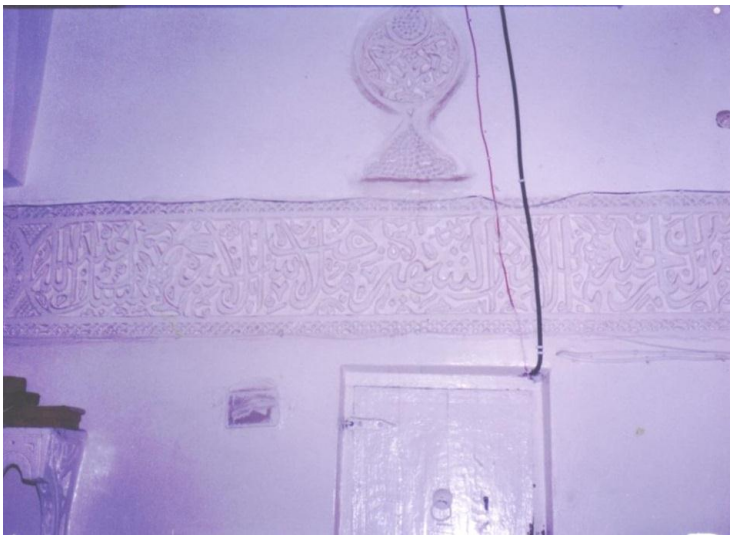

لوحة (22): الزخارف والكتابات على الجدار الشرقي بالمسجد الشمسي الجامع

لوحة (23):النص الكتابي المشتمل على تاريخ الجامع الشمسي

لوحة (24):زخارف جصية على سقف بلاطة المحراب بالجامع الشمسي

لوحة (25):منازل الطلاب بالجامع الشمسي

لوحة (26): المنازل الشمالية القديمة بالجامع الشمسي

لوحة (27): المنازل الجنوبية والشرقية بالجامع الشمسي

لوحة (28): باب الصحن الشرقي وجانب من المنازل الشرقية

لوحة (29): المنازل الغربية بالجامع الشمسي

لوحة (30): منارة الجامع الشمسي

لوحة (31): الباب الغربي للصحن وباب الدهليز المؤدي إلى الميضأة

لوحة (32): الباب الخارجي لميضأة الجامع الشمسي

لوحة (33):سقف الميضأة بالجامع الشمسي

لوحة (34): الميضأة الخارجية والقباب البصلية والحمامات الحديثة

لوحة (35): عمود بمسجد الأمير سنبل بذمار

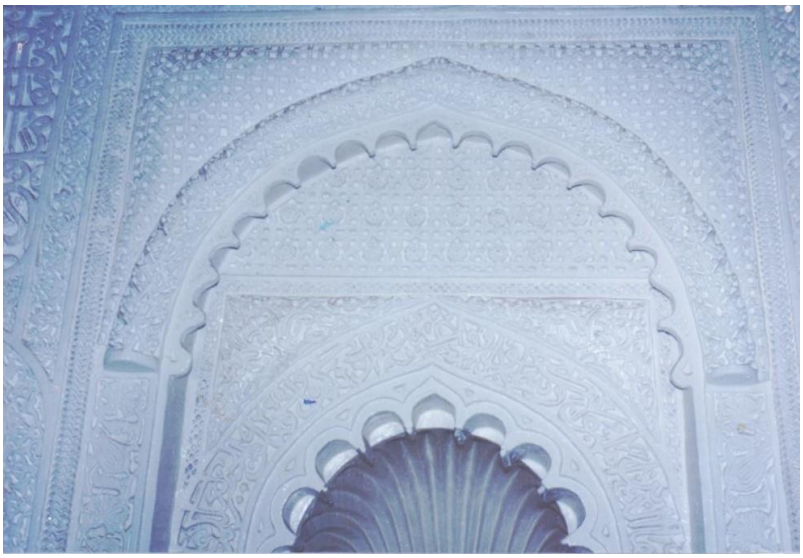

لوحة (36): محراب مسجد الأمير سنبل

لوحة (37): المستوى الثاني للمحراب والكتابة داخل الحنية" شهد الله أنه لا إله إلا هو...إله أخر الآية ١٨ من آل عمران

لوحة (38): طاقية محراب مسجد الأمير سنبل

لوحة (39): الشريط الكتابي على الجدار الشمالي لبيت الصلاة " والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون"

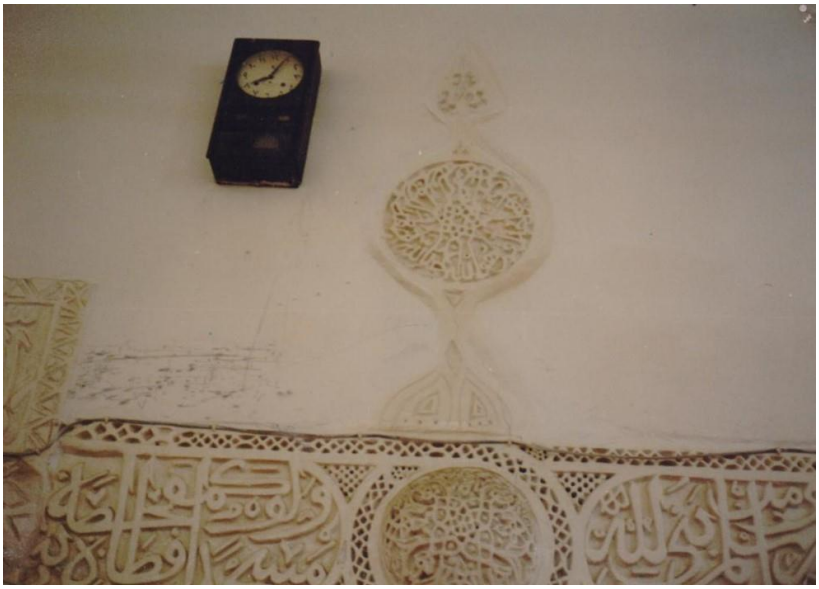

لوحة (40): جزء من الشريط الكتابي على الجدار الجنوبيببيت الصلاة

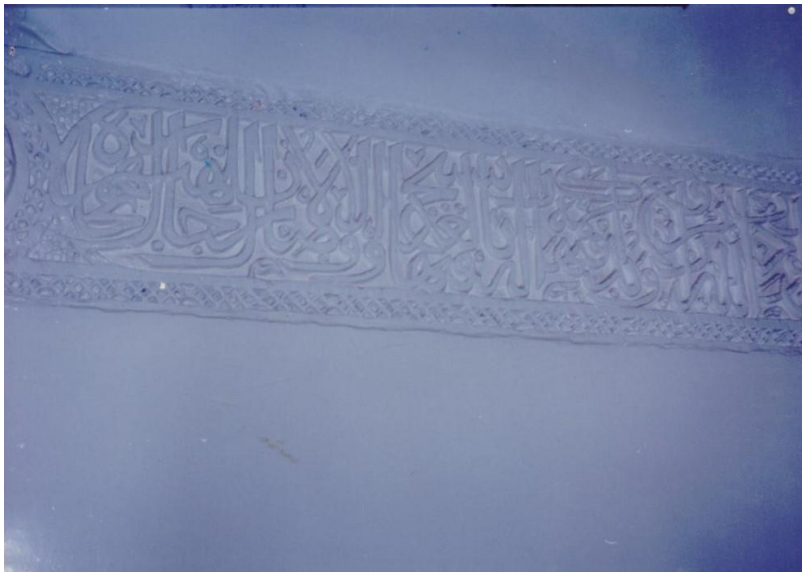

لوحة (41): الكتابة على الجدار الجنوبي لبيت الصلاة وتشتمل على سورة الإخلاص

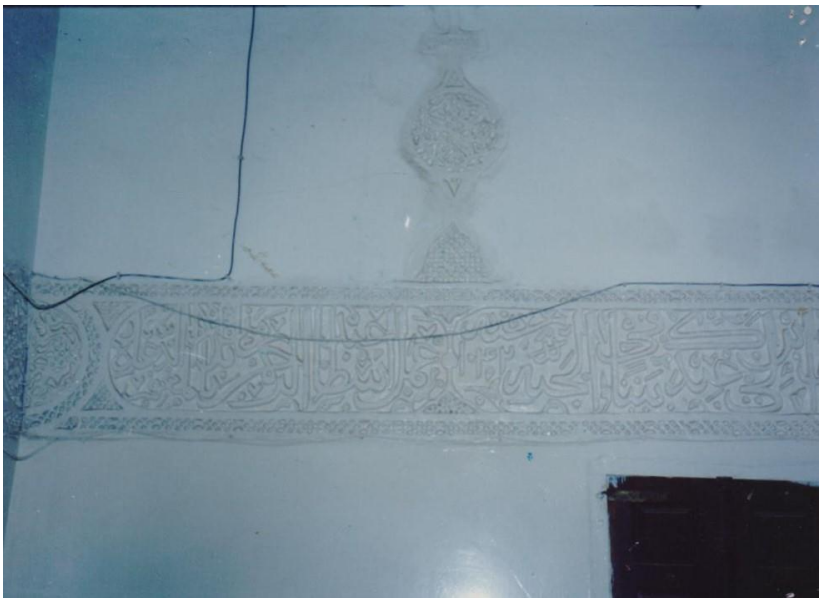

لوحة (42): الكتابات على الجدار الشرقي وتتضمن ألقاب" الأمير الشهير مُلاعب الأسنة سنبل بن عبد الله "

لوحة (43): تاريخ بناء المسجد بحساب الجُمَّل على الجدار الشرقي ببيت الصلاة

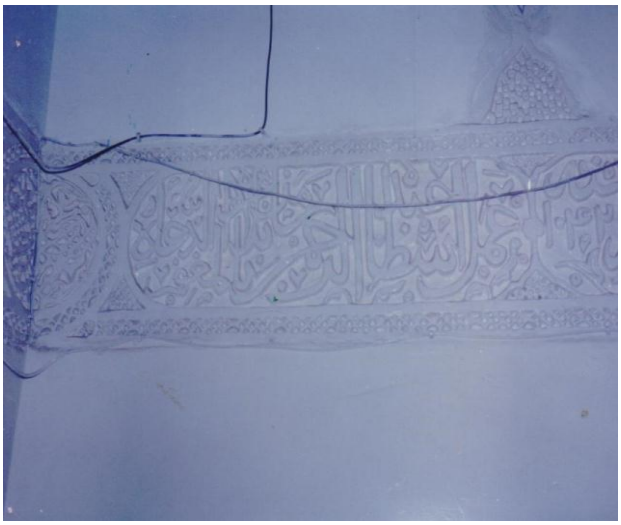

لوحة (44): توقيع الأسطا عبد الرحمن على الجدار الشرقي لبيت الصلاة

لوحة (45): النص التأسيسي على دعامة ببيت الصلاة الحديث وتشتمل على توقيع الأسطا عبد الرحمن سائلاً من قرأه الدعاء بالمغفرة

لوحة (46): منظر عام لمسجد الإمام الحسين بن القاسم بذمار

لوحة (47): سقيفة المدخل الجنوبي لضريح الحسين بن القاسم

لوحة (48): سقيفة المدخل الشرقي لمسجد الحسين بن القاسم

لوحة (49): القصيدة التي تعلو المدخل الشرقي

لوحة (50): حنية ركنية بمنطقة إنتقال القبة

لوحة (51): جدار القبلة و المحراب و زخارف على جانبيه

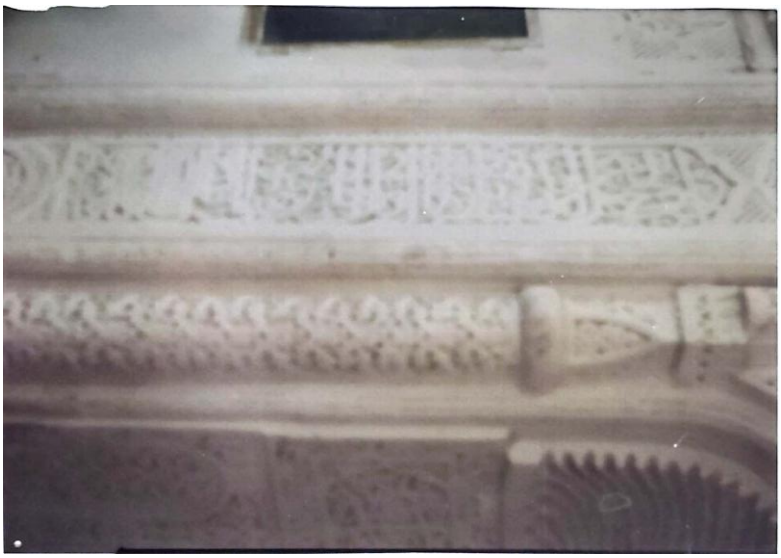

لوحة (52): عمود مندمج بحنية المحراب

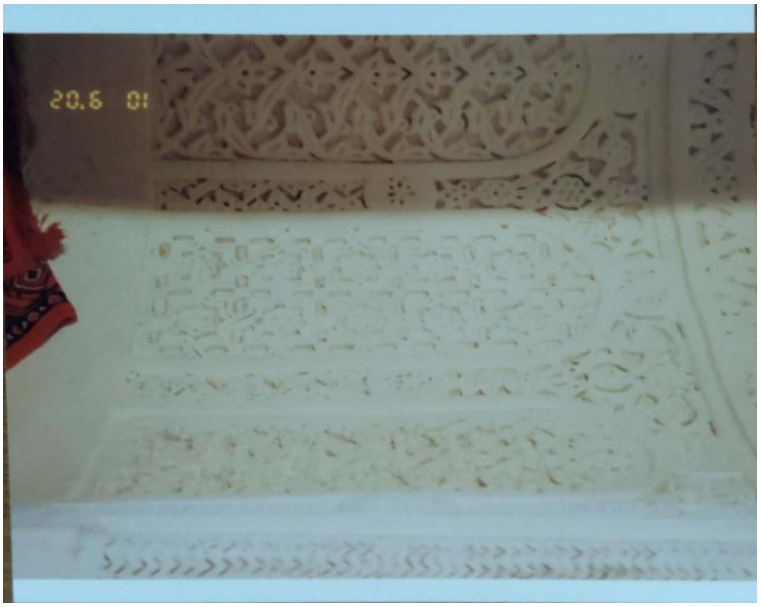

لوحة (53): زخارف في تجويف محراب مسجد الحسين بن القاسم

لوحة (54): تاج عمود بمحراب مسجد الحسين بن القاسم

لوحة (55): الزخرفة الكتابية أعلى المحراب

لوحة (56): الكتابات والزخارف على الجدار الجنوبي

لوحة (57): زخرفة النجمة الثمانية الرؤوس على جدران مسجد الحسين بن القاسم

لوحة (58): الكتابات والزخارف على الجدار الشرقي

لوحة (59): الأشرطة الكتابية حول نوافذ رقبة القبة (الجدار الشمالي)

لوحة (60): البخاريات التي تزين باطن القبة

لوحة (61): الصُرة الزخرفية في قطب القبة

لوحة (62): شاهد قبر الحسين بن القاسم

لوحة (63): جزء من شاهد الحسين بن القاسم

لوحة (64): جزء من شاهد عبدالله بن القاسم

لوحة (65):منطقة الانتقال وقطب قبة ضريح الإمام يحيى بن حمزة منقوش عليها سورة الإخلاص

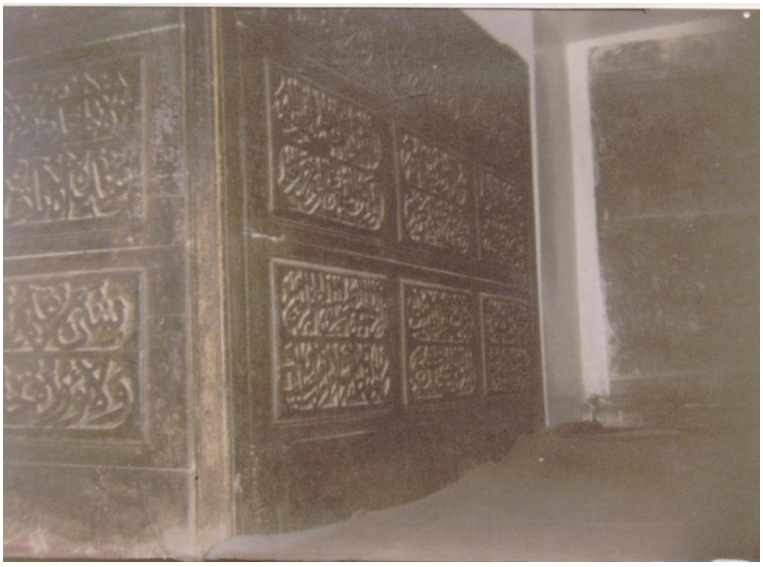

لوحة (66): آية الكرسي منقوشة على التركيبة الخشبية لقبر الإمام يحيى بن حمزة

لوحة (67): نَسَب وتاريخ وفاة الإمام يحيىبن حمزة على التركيبة الخشبية

لوحة (68): شاهد قبر الإمام يحيي بن حمزة

لوحة (69): المدخل الشمالي الغربي لضريح الإمام المطهر بن محمد بن سليمان بذمار

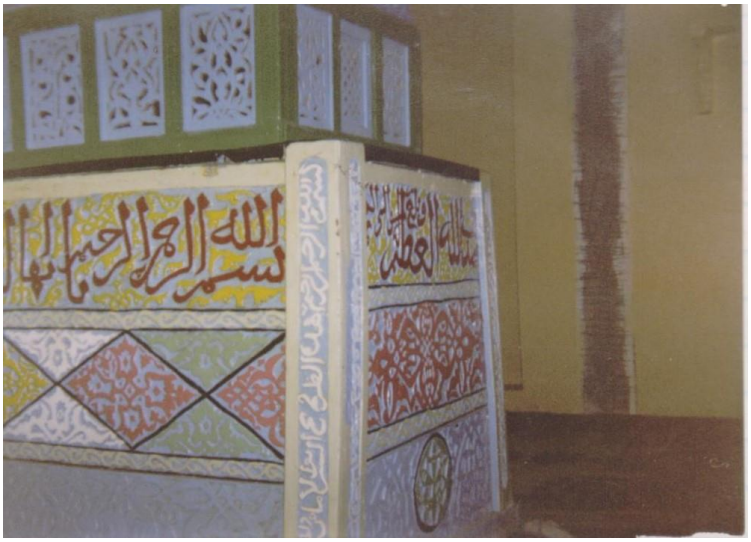

لوحة (70): المستوى الأول لتركيبة الإمام المطهر منقوش عليها اسمه ونَسَبه

لوحة(71):تاريخ الوفاة واسم الصانع على التركيبة الخشبية للإمام المطهر بن محمد

لوحة (72): الحشوة الوسطى من تركيبة الإمام المطهر وبها دخلة لوضع المجامر

لوحة (73):شاهد الناصر أبو الفتح الدَيلمي بضريحه بقاع الدَيلمي

لوحة (74): منزل بمدينة ذمار القديمة

لوحة (75): واجهة منزل بمدينة ذمار القديمة

لوحة (76): نوافذ الزجاج المعشق في الجص

لوحة (77): المفرج أعلى أحد منازل مدينة ذمار

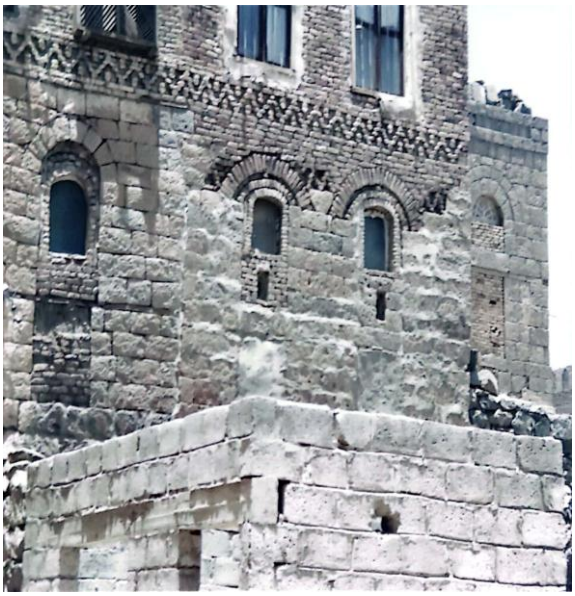

لوحة (78): زخرفة الخط المنكسر في واجهة منزل قديم بذمار

لوحة (79): حزام عليه زخارفه من خطوط منكسرة بواجهة بيت الأكوع

لوحة (80): الشواقيص في الطابق الأرضي بأحد منازل ذمار

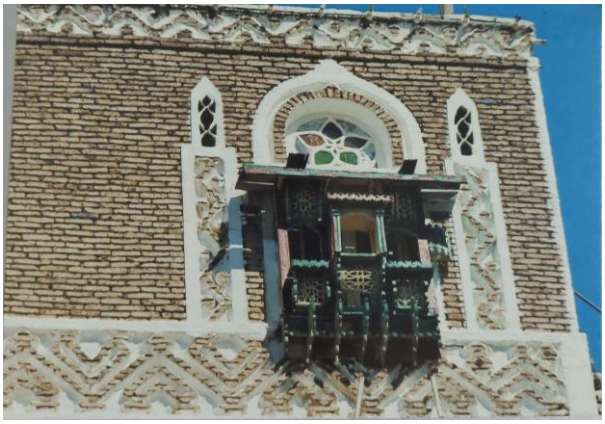

لوحة (81): المشربية التقليدية في العمارة اليمنية

لوحة (82): المخلفة "الساباط" الواصلة بين منزلي سلامة بذمار

لوحة (83):قبتا حمَّام بهرام باشا بذمار القديمة

لوحة (84): نص تجديد سمسرة وسبيل بمدينة ذمار القديمة

لوحة (85): واجهة سمسرة سلامة بمدينة ذمار القديمة

لوحة (86): موائد قرابين من الحجر عثر عليها بالجوف

لوحة (87): كتابات بالمسند على لوح من الحجر عثر عليه في نشق

لوحة (88): منظر عام لقاعة الآثار الإسلامية بمتحف ذمار

الفهارس

أولاً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩-١٤
تمهيد	١٥-٣٣
الفصل الأول: اسم وجغرافية وتاريخ ذمار	٣٥-٤٩
الفصل الثاني: الآثار القديمة بمنطقة ذمار	٥١-٦٢
الفصل الثالث: المساجد الأثرية في ذمار	٦٣-١١٢
الفصل الرابع: أضرحة أئمة الزيدية في ذمار	١١٣-١٣٠
الفصل الخامس: العمارة السكنية ومنشآت الرعاية الاجتماعية في مدينة ذمار	١٣١-١٥٠
الفصل السادس: المنشآت التجارية بمدينة ذمار	١٥١-١٦٣
الفصل السابع: الآثار الدارسة والمتاحف بلواء ذمار	١٦٥-٢٠١
الخاتمة والنتائج	٢٠٣-٢٠٨
قائمة المصادر والمراجع	٢٠٩-٢٢٦

ثانياً: فهرس الخرائط

الخريطة	الصفحة
خريطة (١): الطرق الرئيسة بالجمهورية اليمنية ومنها ذمار	٥
خريطة (٢): التقسيم الإداري لمحافظة ذمار	٦
خريطة (٣): الشوارع الرئيسة و بعض المنشآت بمركز مدينة ذمار	٧
خريطة (٤): مواقع السماسر بمدينة ذمار القديمة.	٨

ثالثًا: فهرس الأشكال

الشكل	الصفحة
شكل (١): مسقط أفقي لجانب من حصن هران	٦١
شكل (٢): السور الشمالي لحصن هران والمنشأة السكنية	٦٢
شكل (٣): مخطط السور الشرقي لحصن هران	٦٢
شكل (٤): مسقط أفقي لجامع ذمار الكبير	٧٢
شكل (٥): رسم تخطيطى لمنبر جامع ذمار الكبير	٧٣
شكل (٦): الوحدات الزخرفية في حشوات منبر جامع ذمار الكبير	٧٤
شكل (٧): مسقط أفقي للمسجد الشمسي الجامع بذمار .	٩٤
شكل (٨): قطاع رأسي للواجهة الشرقية للمسجد الشمسي الجامع	٩٤
شكل (٩): قطاع رأسي للواجهة الجنوبية للمسجد الشمسي الجامع	٩٥
شكل (١٠): مسقط افقي لمسجد الأمير سنبل	١٠٤
شكل (١١): مسقط افقي لمسجد قبة دادية	١٠٧
شكل (١٢): مسقط أفقي لمسجد وضريح الإمام الحسين بن القاسم	١١٢

خامسًا: فهرس اللوحات

اللوحة	الصفحة
لوحة غلاف: منظر لجانب من مدينة ذمار	٢٢٥
لوحة (1): مصرف في سد مأرب القديم	٢٢٥
لوحة (2): سد ناعط	٢٢٦
لوحة (3): منظر عام لمدينة جُبَن	٢٢٦
لوحة (4): جسر شَهَارة	٢٢٧
لوحة (5): نقش حِميَري على مدخل جامع ناعط	٢٢٧
لوحة (6):زخرفة الثعبان والكف على منزل بمنطقة ناعط	٢٢٨
لوحة (7): كتابات حِمْيَرية على حجر كَلسي–ق١م – بمتحف صنعاء الوطني	٢٢٨
لوحة (8): أساسات مبنى سكني في الجهة الشرقية من مبنى الرصد الزلزالي بمنطقة هَرَّان بذمار	٢٢٩
لوحة (9): إحدى بِرك المياه بحصن هران	٢٢٩
لوحة (10):حفرة الدفن التي تتوسط الغرفة المربعة من المقبرة الشمالية	٢٣٠
لوحة (11):المقبرة الجنوبية من حصن هران وتتكون من خمس غرف لكل منها فتحة باب	٢٣٠
لوحة (12):جزء من السور الطيني بحصن هران تتخلله فتحات تصريف المياه ويتوسطه برج	٢٣١
لوحة (13):منارة الجامع الكبير بذمار	٢٣١
لوحة (14):منارة جامع الصلاحي بذمار	٢٣٢

اللوحة	الصفحة
لوحة (15): منظر عام للمسجد الشمسي الجامع	٢٣٢
لوحة (16): السقيفة الشرقية للمسجد الشمسي الجامع	٢٣٣
لوحة (17):محراب المسجد الشمسي الجامع	٢٣٣
لوحة (18):زخارف كَوشَتي عقد محراب المسجد الشمسي الجامع	٢٣٤
لوحة (19):الشريط الكتابي والزخارف على الجدار الغربيلبيت الصلاة بالمسجد الشمسي .	٢٣٤
لوحة (20): وحدة زخرفية وكتابات إلى يمين المحراب بالمسجد الشمسي	٢٣٥
لوحة (21): زخرفة الجدار الجنوبي لبيت الصلاة من مناطق بيضاوية بداخلها ورقتين رمحيتين، وفي وسط الجامة شكل مسدسين متقاطعين.	٢٣٥
لوحة (22): الزخارف و الكتابات على الجدار الشرقي لبيت الصلاة بالمسجد الشمسي الجامع	٢٣٦
لوحة (23): تاريخ بناء المسجد على الجدار الشرقي من داخل بيت الصلاة	٢٣٦
لوحة (24):زخارف جصية على سقف بلاطة المحراب بالمسجد الشمسي	٢٣٧
لوحة (25):منازل الطلاب الملحقة بالجامع الشمسي	٢٣٧
لوحة (26):المنازل الشمالية القديمة بالجامع الشمسي	٢٣٨
لوحة (27):المنازل الجنوبية والشرقية بالجامع الشمسي	٢٣٨

اللوحة	الصفحة
لوحة (28): باب الصحن الشرقي وجانب من المنازل الشرقية	٢٣٩
لوحة (29): المنازل الغربية بالجامع الشمسي	٢٣٩
لوحة (30): منارة الجامع الشمسي	٢٤٠
لوحة (31): الباب الغربي للصحن وباب الدهليز المؤدي إلى الميضاءة	٢٤٠
لوحة (32): الباب الخارجى لميضاءة الجامع الشمسي	٢٤١
لوحة (33): سقف الميضاءة بالجامع الشمسي	٢٤١
لوحة (34): الميضاءة الخارجية والقباب البصلية والحمامات الحديثة	٢٤٢
لوحة (35): عمود ذو تاج بمسجد الأمير سنبل بذمار	٢٤٢
لوحة (36): محراب مسجد الأمير سنبل	٢٤٣
لوحة (37): الكتابات والزخارف على المستوى الثاني من تجويف المحراب	٢٤٣
لوحة (38): طاقية محراب مسجد الأمير سنبل	٢٤٤
لوحة (39): الشريط الكتابى على الجدار الشمالي لبيت الصلاة "	٢٤٤
لوحة (40): جزء من الشريط الكتابى على الجدار الجنوبي ببيت الصلاة	٢٤٥
لوحة (41): سورة الإخلاص منقوشة على الجدار الجنوبى لبيت الصلاة	٢٤٥
لوحة (42): ألقاب" الأمير الشهير مُلاعب الأسنة سنبل بن عبد الله " على الجدار الشرقيلبيت الصلاة.	٢٤٦

اللوحة	الصفحة
لوحة (43): تاريخ بناء المسجد بحساب الجُمَّل على الجدار الشرقي ببيت الصلاة بمسجد الأمير سنبل	٢٤٦
لوحة (44): توقيع الأسطا عبد الرحمن على الجدار الشرقي لبيت الصلاة	٢٤٧
لوحة (45):النص التأسيسي على دعامة ببيت الصلاة الحديث وتشتمل على توقيع الأسطا عبد الرحمن سائلاً من قرأه الدعاء بالمغفرة	٢٤٧
لوحة (46): منظر عام لمسجد الإمام الحسين بن القاسم بذمار	٢٤٨
لوحة (47): سقيفة المدخل الجنوبي لمسجد الحسين بن القاسم	٢٤٨
لوحة (48): سقيفة المدخل الشرقي لمسجد الحسين بن القاسم	٢٤٩
لوحة (49): القصيدة التي تعلو المدخل الشرقي	٢٤٩
لوحة (50): حنية ركنية بمنطقة انتقال القبة	٢٥٠
لوحة (51): جدار القبلة و المحراب و زخارف على جانبيه	٢٥٠
لوحة (52): عمود مندمج بحنية المحراب	٢٥١
لوحة (53): زخارف تجويف محراب مسجد الحسين بن القاسم	٢٥١
لوحة (54): تاج عمود بمحراب مسجد الحسين بن القاسم	٢٥٢
لوحة (55): الزخرفة الكتابية أعلى المحراب	٢٥٢
لوحة (56): الكتابات والزخارف على الجدار الجنوبي	٢٥٣
لوحة (57): زخرفة النجمة الثمانية الرؤوس على جدران مسجد الحسين بن القاسم	٢٥٣
لوحة (58): الكتابات والزخارف على الجدار الشرقي	٢٥٤

اللوحة	الصفحة
لوحة (59):الأشرطة الكتابية حول نوافذ رقبة القبة (الجدار الشمالي)	٢٥٤
لوحة (60): البخاريات التي تزين باطن القبة	٢٥٥
لوحة (61): الصُرَّة الزخرفية في قطب القبة	٢٥٥
لوحة (62): شاهد قبر الحسين بن القاسم	٢٥٦
لوحة (63): جزء من شاهد قبر الحسين بن القاسم	٢٥٦
لوحة (64): جزء من شاهد قبر عبد الله بن القاسم	٢٥٧
لوحة (65):منطقة الانتقال وقطب قبة ضريح الإمام يحيى بن حمزة منقوش عليها سورة الإخلاص	٢٥٧
لوحة (66): آية الكرسي منقوشة على التركيبة الخشبية لقبر الإمام يحيى بن حمزة	٢٥٨
لوحة (67): نَسَب وتاريخ وفاة الإمام يحيى بن حمزة على التركيبة الخشبية	٢٥٨
لوحة (68): شاهد قبر الإمام يحيي بن حمزة	٢٥٩
لوحة (69): المدخل الشمالي الغربي لضريح الإمام المطهر بن محمد بن سليمان بذمار	٢٥٩
لوحة (70): المستوى الأول لتركيبة الإمام المطهر منقوش عليها اسمه ونَسَبه	٢٦٠
لوحة(71): تاريخ الوفاة واسم الصانع على التركيبة الخشبية للإمام المطهر بن محمدبن سليمان .	٢٦٠
لوحة (72):الحشوة الوسطى من تركيبة الإمام المطهر وبها دخلة لوضع المجامر	٢٦١

اللوحة	الصفحة
لوحة (73): شاهد الناصر أبو الفتح الدَيلمي بضريحه بقاع الدَيلمي	٢٦١
لوحة (74):منزل بمدينة ذمار القديمة	٢٦٢
لوحة (75):واجهة منزل بمدينة ذمار القديمة	٢٦٢
لوحة (76): نوافذ الزجاج المعشق في الجص	٢٦٣
لوحة (77): المفرج أعلى أحد منازل مدينة ذمار	٢٦٣
لوحة (78): زخرفة الخط المنكسر في واجهة منزل قديم بذمار	٢٦٤
لوحة (79): حزام عليه زخارفة من خطوط منكسرة بواجهة بيت الأكوع	٢٦٤
لوحة (80): الشواقيص في الطابق الأرضي بأحد منازل ذمار	٢٦٥
لوحة (81): المشربية التقليدية في العمارة اليمنية	٢٦٥
لوحة (82): المخلفة "الساباط" الواصلة بين منزلي سلامة بذمار	٢٦٦
لوحة (83): قبتا حمَّام بهرام باشا بذمار القديمة	٢٦٦
لوحة (84): نص تجديد سمسرة وسبيل بمدينة ذمار القديمة	٢٦٧
لوحة (85): واجهة سمسرة سلامة بمدينة ذمار القديمة	٢٦٧
لوحة (86): موائد قرابين من الحجر عثر عليها بالجوف محفوظة بمتحف ذمار الإقليمي	٢٦٨
لوحة (87): كتابات بالمسند على لوح من الحجر عثر عليه في نشق محفوظ بمتحف ذمار الإقليمي	٢٦٨
لوحة (88): منظر عام لقاعة الآثار الإسلامية بمتحف ذمار الإقليمي	٢٦٩

السيرة الذاتية

- دكتور صلاح أحمد البهنسى
- عضو هيئة التدريس بكلية الآثار جامعة عين شمس
- أهم الكتب المنشورة:

– مناظر الطرب في التصوير الإيراني في العصرين التيموري والصفوي، مكتبة مدبولي ١٩٩٠م.

– طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، دار الأفاق ، القاهرة ٢٠٠٤م.

– المتاحف المصرية ، كنوز من التراث الإنساني، سسلسلة إصدارات بريزم المتخصصة ، العلاقات الثقافية الخارجية ، وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة ٢٠٠٤م.

Egyptian museums treasures of human heritage-ministry of culture Egypt 2004.

– المتاحف علم وفن– القاهرة ٢٠٠٧م.

– فن التصوير في العصر الإسلامي، الجزء الأول، القاهرة ٢٠٠٧م.

– فن التصوير في العصر الإسلامي، الجزء الثاني، القاهرة ٢٠٠٨م.

– فن التصوير في العصر الإسلامي، الجزء الثالث، القاهرة ٢٠٠٩م.

– عمارة بلاد المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، التعليم المفتوح،كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٩م.

– فن التصوير في العصر الإسلامي،الجزء الأول . فن التصوير في العالم العربي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٥م.

– فن التصوير في العصر الإسلامي،الجزء الثاني، التصوير الإيلخاني والتيموري فيإيران، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٥م

– فن التصوير في العصر الإسلامي،الجزء الثالث، التصوير الصفوي في إيرانوالعثماني في تركيا والمغولي في الهند ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،٢٠١٦م

– المتاحف علم وفن، طبعة مزيدة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الأسكندرية ، ٢٠١٩م .

– عمارة بلاد المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، طبعة مزيدة موسعة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الأسكندرية ، ٢٠٢٣م.

– النشاط العلمي :

– تدريس مقررات الآثار والفنون والحضارة والتاريخ الإسلامي وفن المتاحف في كل من كلية الآداب جامعة المنيا، كلية الفنون الجميلة– جامعة المنيا، المعهد العالي للدراسات النوعية بالهرم، قسم الآثار كلية الآداب والألسن جامعة ذمار بالجمهورية اليمنية ، قسم الآثار كلية الآداب جامعة عين شمس.

– المشاركة في عدد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية

– نشر مجموعة من الأبحاث العلمية المُحَكَّمة في كل من مصر وتونس واليمن والعراق .

– الإشراف ومناقشة عدد من رسائل الماجستير والدكتوراة بالجامعات المصرية :

– كاتب لمجموعة من المقالات الثقافية عن مفردات تراثية عربية إسلامية في عدد من المجلات الثقافية العربية، ومنها (العربي والكويت الكويتية ، المنهل والفيصل وجريدة المدينة وجريدة أخبار مكة السعودية ، تراث الإمارات ، مجلة بريزم وزارة الثقافة المصرية ، مجلة المأثورات الشعبية دار الكتب المصرية ، المجلة السياحية وجريدة العرب – لندن)

– إعداد المادة العلمية والتعليقات واللوحات الخاصة بالملف الصادر عن العلاقات الخارجية بوزارة الثقافة المصرية بعنوان فنون مصرية إسلامية.

– مجموعة مقالات منشورة في كتاب Mamluk Art الصادر عن الاتحاد الأوروبي ضمن مشروع " متاحف بلا حدود " بالعربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية .

– حاصل على شهادة تقدير من الأستاذ الدكتور رئيس جامعة ذمار بالجمهورية اليمنية، سلَّمها الرئيس علي عبد الله صالح، رئيس الجمهورية اليمنية الأسبق .

– حائز على شهادة تقدير للاشراف على افضل رسالة دكتوراة في الآثار الإسلامية للعام الجامعي ٢٠١٠–٢٠١١ من جامعة القاهرة.

– حائز على شهادة تقدير من وزارة الثقافة – قطاع شرق الدلتا للمشاركة في المؤتمرات التي ينظمها القطاع بقصر ثقافة المنصورة .